

توما بوا

اليزيديون وأصولهم الدينية
ومعابدهم والأديرة المسيحية
في كردستان العراق

ترجمة

د. سعاد محمد خضر

(استاذ مساعد في جامعات بغداد، موسكو وصنعاء سابقاً)



السليمانية ٢٠١١

٢٩٠,٩٩٥٦٧ توما بوا

٣٥٢ ت
اليزيديون واصولهم الدينية ومعابدهم والأديرة المسيحية في
كردستان العراق/ تأليف توما بوا.
١٦٦ص: ٢١×١٤,٨٥ سم. التسلسل؛ ١٣٤.
١- تاريخ اليزيدية والمسيحية- كردستان العراق.
٢- العنوان: د. سعاد محمد خضر (مترجمة)

مشرف المطبوعات: صديق صالح

التسلسل: ١٣٤

الكتاب: اليزيديون واصولهم الدينية ومعابدهم في كردستان العراق
والأديرة المسيحية فيها

تأليف: توما بوا

ترجمة: د. سعاد محمد خضر

تنضيد: سَهْنَد

تصميم: لاس

خط وتصميم الغلاف: أحمد سعيد

عدد المطبوع: ٥٠٠

السعر: ٤٠٠٠ دينار

رقم الإيداع: ١٩٥٢ لسنة ٢٠١١ من المديرية العامة للمكتبات العامة

مكان الطبع: السليمانية، مطبعة شَقَان

جميع الحقوق محفوظة.

من منشورات

مؤسسة زين

لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي

العراق: إقليم كردستان، السليمانية" الشارع ١١ بيرة مكرون، محلة ١٠٧ براتان،

عمارة (تقلارى زين) بجانب (مسجد الشيخ فريد)

الأرضي: ١-٢١٩٤٧٣٢٢ آسياسيل: ٠٧٧٠١٤٨٤٦٢٣ أو ٠٧٧٠١٥٦٥٨٦٤ أو ٠٧٥٠١١٢٨٢٠٩

www.binkeyjin.com

اليزيديون

دراسة تاريخية وإجتماعية

حول أصلهم الديني

الفهرست

٩	(١) البحث عن اليزيديين
١٠	١. الرحالة والصحفيون
١٣	٢. غرباء مقيمون في البلاد
٢٠	٣. المستشرقون الجالسون وراء المكاتب في الغرف
٢١	٤. كتاب يزيديون ونصوص يزيديية
٣١	٥. مؤرخون في حاجة لنجدة ما
٣٩	(٢) حلبات خاطئة بين الشمس والصليب
٤٠	١. العقائد البابلية القديمة
٤٤	٢. الثنائية الايرانية
٤٩	٣. الوثنية الكردية الاصلية
٥٢	٤. الاصول المسيحية المزعومة
٦٠	(٣) المسارات غير مؤكدة في الطرق الاسلامية
٦٤	١. البيئة الاسلامية
٦٨	٢. مناخ صوفي
٦٨	أ- تقوى الصوفيين الحقيقيين
٧٠	ب- منظمة دينية ذات صفة صوفية
٧٥	ج- صلوات صوفية المذاق
٨٣	٣. صوفية متطرفة
٨٥	أ- قصص اسطورية عن الاصول
٨٩	ب- التناسخ والتحول المتنقل
٩٠	ج- الشيطان: منبوذ ام محبوب؟
٩٦	(٤) من الاسلام الى الشيطان
٩٦	١. تمهيد الارضية

- ١٠١ .٢ فجر مشرق للطريقة الصوفية
- ١٠١ أ- قديس مؤسس
- ١٠٣ ب- اتباع متحمسون جداً
- ١٠٤ ج- خلفاء اوفياء لفكر المعلم
- ١٠٦ .٣ صراعات داخلية وخارجية: سياسية هي ام صوفية؟
- ١٠٦ أ- الشيخ حسن شمس الدين، زعيم هرطقي (١١٩٧-١٢٤٦)
- ١٠٨ ب- العزلة الصوفية في (الكوفة)، بعد طموحات دمشق
- ١١٠ ج- الامتداد في ربوع كردستان
- ١١١ د- وماذا بعد؟
- ١١٣ .٤ ظلمات الخرافة (من ١٤١٤ الى اليوم)
- ١١٣ أ- التخلي تدريجياً عن الاسلام
- ١١٤ ب- حماقة الشيخ فخر وانحطاط العقيدة
- ١١٧ ج- ثمن التطرف الدموي
- ١١٩ **الخاتمة**

* من المستحيل، عدم الاهتمام بالاطلال، عندما تكون تلك الاطلال، اطلال شعب ليس مجرد بقايا اجزاء الجدران. والشرق، موطن احلام جميع المهتمين بالاثار، مازال يحتضن آثاراً انسانية تغلفها الاسرار. وفي الشرق، رأّت جميع الاديان التوحيدية النور، الى جانب الخرافات الوثنية والمسيحية او الاسلامية والتي انقرضت تماماً في جميع انحاء العالم الاخرى. وهكذا بقى اليزيديون. انها طائفة لا تمثل الانفسها، ولا يتعدى اليوم تعدادها خمسين الف نسمة؛ الا انها كانت ما بين القرن الثاني عشر وحتى السادس عشر تغطي جزءاً كبيراً من كردستان، وجميع مناطق شمال بلاد ما بين النهرين، ومساحة واسعة من سوريا.

* هذه الدراسة مستلة من مجلة المشرق، يناير/ فبراير، مارس/ ابريل (١٩٦١)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١ (باللغة الفرنسية).

ونجح اليزيديون في البقاء والعيش في العراق، في وديان شيخان المغطاة بالغابات، وهي مهدم؛ وجبال سنجار وهي ملجؤهم؛ وفي سوريا، وفي بعض القرى المنتشرة في الجزيرة وهنا وهناك واخيراً، كان تعدادهم يتعدى بضعة الاف، ويعيشون في ارجاء (قارص Kars)، و(تفليس Teflis)، و(يريقان) في الاتحاد السوفيتي، وتراهم فقدوا الكثير مما يميزهم¹.

¹ تبدو الاحصائيات الجادة ناقصة نوعاً. فقد قدر "فيفر Fevre" في القرن السابع عشر عدد اليزيديين بمائتين وخمسين الف نسمة (٢٥٠٠٠٠). وعشية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) يقول "ويكرام Wigram"، انه لايقدر عددهم باكثر من مائة وعشرين الفاً دون ان يذكر على اي مصدر يستند. وفي العام ١٩٣٧، وبعد تحقيق مُفصل؛ قال "ر. ليسكو R. Lescot": ((انه توجد اربعة الاف اسرة يزيديية في جبل سنجار، واربعمائة اسرة يزيديية في جبل سمعان، ومائتين وسبعين في الجزيرة السورية، وليكن بتعداد اربع وعشرين الف نسمة في جبل سنجار وثلاثة الاف نسمة لباقي سورية)). وقدم الديمولوجي ارقاماً مماثلة عام ١٩٤٩ بالنسبة لسنجار. اما بالنسبة لشيخان ومنطقة الموصل، فقد قال بوجود (ست وخمسين) قرية دون ان يقدم تفاصيل مهمة. ولم يكن عبدالرزاق الحسني (١٩٥١) باكثر دقة. ويقدر الامير اسماعيل جول، في احدي سفراته الى القوقاز عام ١٩١٠، يقدر وجود اثنتين وسبعين قرية بمجموع ثلاثة الاف وخمسمائة اسرة. وفي مقالة كُردية في رزكاري، ترجمت الى العربية، في الحرية الصادرة في بيروت (رقم ٤١، بتاريخ ١٤ ابريل ١٩٥٩) يقول انه يقدر وجود اربعين الف كُرد في كل من جمهوريات ارمينيا واذربيجان وجورجيا. ويسكنون مدن تفليس و باتوم، ومعظمهم يزيديون. ولكن الاحصاء الرسمي في الاتحاد السوفيتي لايقدم سوى خمسة واربعين الف وثمانمائة وستة وستين كُردياً، من بينهم خمسة عشر الفاً من اليزيديين. ولكن حتى العلماء السوفيت المختصون بالشؤون الكُردية لايتفقون وتلك الارقام. مثلاً: "س. ف. أ. بينيجس C.f.A. Bennigsen" في الكُرد والدراسات الكُردية في الاتحاد السوفيتي، الجزء الثالث، ابريل- مايو ١٩٦٠، ص٥١٣-٥٣٠. فاذا ماقدرنا عدد سكان العراق من الكُرد بحوالي ثلاثين الف نسمة، وثلاثة الاف في سوريا، وبضعة الاف متفرقين في تركيا وخمسة عشر الفاً من الاتحاد السوفيتي، سنرى ان عدد اليزيديين لا يصل حتى الى خمسين الف نسمة.

واليزيديون كُرد، ويطلق عليهم الناس صفة عبدة الشيطان، مما يضعهم في الحال في بؤرة الاهتمام؛ ولكنهم في الواقع شياطين طيبون. اذا ماكانوا قديماً يتمتعون بسمعة سيئة كونهم قطاع طرق، الا انني اراني اعترف بان جميع من التقيتهم كانوا جذابين، ودودين، ان لم يكونوا بالتأكيد قديسين صغاراً.

ولست انوى التحدث عن عقائدهم بشكل نظامي، او عن عاداتهم وسلوكهم وطباعهم وهي معلومات يمكن الحصول عليها بسهولة من التقارير والمجلات والدراسات التي خصصت لهم. ولكنني افضل ان القى الضوء على اصولهم؛ تلك الاصول التي بقيت حتى ايامنا هذه في غياهب النسيان، والتجاهل من قبل كثير من الكتاب لاعتبارات كثيرة لامسؤولة ممن اهتموا بهم. ويسمح لنا كل ذلك ان نضع وبشكل افضل عاداتهم وسلوكهم في المكان الصحيح، ومن ثم انطلاقاً نحو تفهم افضل لعقائدهم.

(١) البحث عن اليزيديين:

انهم جوقة الشرق، هؤلاء الذين تحدثوا عن اليزيديين في كتابات لاتسير في نفس الاتجاه. وحتى اذا ما ادعوا ذلك احياناً، فالكثير مما قدموه يستحق النقد او الاهمال.

هناك خمس فئات من الناس اهتموا باليزيديين وقدموا لنا قسماً من معارفهم. من بين تلك الفئات، الرحالة والصحفيون، او بعض الغرباء عن عقائدهم ولكنهم يتعايشون معهم في نفس المكان حيث يلتقون بهم او يتعاملون معهم؛ او آخرون من هواة، او من يجلسون وراء المكاتب ويستخدمون معلومات الاخرين، او مؤرخون لايتبعون اصول البحث العلمي، واخيراً بعض اليزيديين انفسهم. وذلك التعدد البسيط لكتاب من اصول اخرى وتكوين مختلف، يدفعنا بالضرورة الى التزام الدقة المتناهية في اكتشاف المعلومة، والاستفادة من هذه الوفرة من الوثائق المتنوعة.

١. الرحالة والصحفيون:

جميع الرحالة، سواء كانوا سواحاً أو صحفيين ممن يزورون العراق بحثاً عن تقارير مثيرة ورائعة، يودون اللقاء باليزيديين. لقد أصبح اليوم ذلك امراً سهلاً. ولكن المعلومات التي يقدمونها لنا عادة ماتكون غير دقيقة بل مفتعلة؛ فهم يرددون غالباً ما سمعوه من اهل البلدة سواء كانوا مسيحيين او مسلمين ممن قابلوهم والذين لا يعرفون جيداً هؤلاء الناس الطيبين، بل ويمطرونهم بسيل من الاخطاء. ومع ذلك يمكن اعتبار تلك التقارير ناقصة، فهي لاتغطي سوى بعض المجاميع من اليزيديين من: شيخان او سنجار. والاكثر من ذلك فإن الجانب الفولكلوري هو ما كان يهتم هؤلاء الكتاب، وهو الجانب الايجابي الوحيد في كل جهودهم. وانطلاقاً من تلك النقطة بالذات، يعرضون لنا صوراً رائعة. وقد ساعدت الحرب على تقديم مثل تلك التقارير عن رحلات قام بها مراسلون حربيون في اوقات الاجازات، والتي تم نشرها في العديد من المجالات. وهكذا نقرأ في مجلة "بارا Barade"، ما كتبه "مازون Mason"² عن ذلك الرجل الذي يبتلع الثعابين؛ في حين قدم لنا "ستانلي ماكستون Stanley Maxton"³ وصفاً لعيد اكتوبر اليزيدي. ويقدم لنا "ج. ب. دوفور J. P. Dufour"⁴،

² R. Mason, *Feast of the Devil worshippers. Parade*, no. 159, 28 aug. (1943).

³ S. Maxton, *The Devil-Worshippers*, dans *Parade*, no. 324, 26 Oct. (1946).

⁴ J. P. Dafourg, "*Visite au peuple le plus oublie` du Monde: Les Ye`zidis*. L` Orient, nume`ros des 1,4, et 5 mars 1953.

مجلة الشرق، الاعداد الاول والرابع والخامس من مارس ١٩٥٣ ومعظم الكلمات الكُردية فيها مشوهة ولا يمكن مطلقاً التعرف عليها، من واقع النسخ الخاطئ لبعض الحروف الساكنة. والمؤلف الذي نقل بشكل صحيح، في نصه الفرنسي، الابدجية الكُردية للكاتب "ليسكو"، قد بين لمتجمة تلفظ الحروف مثلاً بشرط ان يكون هو نفسه عالماً بها. وهكذا فإن كلمة شيخ والتي تكتب بالكُردية قد نسخت في النص

تقريراً في (١٩٥٣) حول سنجان، لكنه لم يكن سوى استناداً على البحث الذي اعدّه "ر. ليسكو R. Lescot". في مجلة لبنان (١٩٥٤). تأخذنا الانسة "مارسيللا دارلي Marcella d'Arly" بدورها الى سنجان، والآنسة "دارلي" كاتبة روائية، تعرف كيف تقدم منظراً ما، او تعيد الحياة الى حوار ما، بل ونرتعش خوفاً من مغامرة خطيرة قامت بها، او تعرض لنا وبأسلوب جذاب نظريات غير مألوفة بل غريبة على عجوز يزيدي حول عدم وجود الشر، بل وهي تقدم صوراً جميلة فعلاً زيادة على كل ذلك. ولن نتطلب منها بالطبع وثيقة تاريخية لم يكن في نيتها تقديمها اصلاً. بل ولا يتردد بعض الصحفيين من تزويق مقالاتهم باختراع مواقف معينة. وكيف لنا ان نتجرأ ونجزم بان من بين اليزيديين العديد من مزدوجي الجنس (الانثوي والذكوري معاً)، او نساء خرافيات يغطي الشعر اجسادهن، او رجال ضخام بشكل غير مألوف وذوي كروش كبيرة؛ وانهم كسالي ومعطرون ويضعون الكحل؟ وكيف نصدق ان الاخوية اليزيدية اقامت معبداً في قلب مدينة الموصل للشيطان؟ وتحمي افعى مقدسة ذلك المعبد، الذي يختال في حدائقه طاووس ملكي يغطيه ريش نادر معطر ومنسق بشكل جميل لا يملكه لكي يكتبوا وهم يهزؤون من قرائهم حيث يقول احدهم مثلاً خلال خمسة ايام قضيتها في الموصل، كم من مرة رأيتني اختلط في احتفالياتهم المقامة ليس بعيداً عن مدينة الموصل مدينة الحرير، ورأيت كاهنات الشيطان، يقدمون الضحايا الى طاووس وهن يطلقن انات الايمان والتقوى. ورأيت في احد المعابد اليزيدية على حافة جبل سنجان مخلوقات برأس كلب تقفز فوق قبور القطط المقدسة. كما رأيت ((ثلاثة

العربي ونعرف ما الذي يعنيه ذلك اذا تعلق الامر باسماء الاماكن او القبائل: واذن كيف يعرف الانسان؟ انه ان تطلب من مدرس زار سنجان ويصفها جيداً. وجميع الصور الفوتوغرافية تعود الى "ر. ليسكو". وقد نسيت ان انوه بذلك.

⁵ M. d'ARLE, A Sindjar, chez les Adorateurs du De`mon dans Revue du Liban, no 24 a` 29 des 28 tev, 8, 13, 20 mars et B avril 1954.

رجال متقدمين في السن وهم يمرغون فجأة انوفهم في التراب لانهم رأوا نسرا ابيض يحوم، فهو الرمز الارضي للملائكة^٦.

وفي العام ١٩٥١، اصطحبت صحافياً ايطالياً، يعمل مراسلاً لجريدة الـ"تمبو"، والذي التقط اكثر من مائتي صورة في شيخان. وكان يصطحب شرطياً كمترجم: واستفزتني طريقة وضع السؤال، كما استطعت ان اتفهم الاجراءات المعتادة لبعض المتسائلين وموقف السكان. ورغم اصرارنا، لم نستطع رؤية او تصوير الطاووس الملك، وهو تمثال مقدس جداً يمثل الشيطان. اما الامير الذي يحفظ التمثال في ورع وقدسسية بدأ وكأنه لايعي ماذا نقصد^٧. ان اكثر الرحالة الذين قضوا فترة تطول او تقصر في العراق،

⁶ جميع تلك التفاصيل المبتكرة تماماً، تعود الى نسخة "بيتر هسليخ Peter Hessling في مجلة الشرق Le Journal d'Orient (اسطنبول) في ٧ سبتمبر ١٩٥٦. ولن نتوقف كثيراً على رش دماء ثور، ذبح لتوه بعد تزيينه بالورود، والذي مارست الكهنة ذلك الطقس احتفالاً بأحد الاعياد في معبد الشيخ عبدة النجوم والشيطان، في مدلة لبنان، الصادرة في ١٤ مارس ١٩٥٩. *En Irak, chez les Adorateurs des toiles et du diable, dans La Revue du Liban, du 14 mars 1959.*

⁷ وتتطلب طريقة وضع السؤال مقدرة خاصة. ولتسمحوا لي بعرض ذكرى شخصية في صيف ١٩٢٨، وكنت لازلت شاباً آنذاك. كنت في دير ماري يعقوب للدومينيكان يقع الى الغرب من دهوك، ووجدت هناك شاينين يزديين من أسرة الامراء يبلغ كل منهما الثانية عشرة من العمر. وذات يوم، وخلال نزهة، وبعد ان وضعت الكثير من كل انواع الاسئلة حول طريقة ترجمة اسماء الحيوانات والاشياء الى الكردية. وخاطرت بوضع سؤال حول الدين:

- انتم اليزيديون هل تؤدون الصلاة؟
- ((بالتأكيد)).
- ((وهل انت يا شكري، هل تحفظ صلواتك؟))
- ((بالطبع)).
- ((هل يمكنك ان تتلو على واحدة؟))
- يا ابانا الذي..وكانت دهشتي وعدم رضاي كبيرين، فقد كنت انتظر ان اسمع صلاة الى الشيطان او الى الشمس!

ينشرون قصة رحلتهم مضيفين عادة فصلاً خاصاً باليزيديين. ولا يمكن اعتبارها دراسة متعمقة ولكننا نجد احياناً بين ثناياها تفصيلاً مثيرة حول شخصية ماتمت زيارتها او حول عادة احس بها الكاتب^٨.

٢. غرباء مقيمون في البلاد:

ويمكن اعتبار الغرباء المقيمين في العراق، كما التبشيريون وعلماء الاثار والديبلوماسيون، الى جانب المواطنين غير اليزيديين؛ يمكن اعتبارهم كذلك فئة ثانية من الشهود. من بين التبشيريين نذكر اسماً مثل "ميشيل فيفر Michel Febvre"^٩، احد قداماء رجال الدين*، الذي وافانا في القرن السابع عشر بمعلومات رائعة عن اليزيديين في جبل سمعان. وفي بداية القرن العشرين يقدم لنا الاب "لامانس اليعقوبي le P. Lammens"^{١٠} الذي كان يستخدم ملاحظات تعود الى ثلاثين عاماً قبل ملاحظات

^٨ ولنذكر ببساطة:

Signalons simplement: H. C. Luke, "Mosul and its minorities" (London, 1925), cap. IX, *The worshippers of Satan*, p. 122-137; W. B. Seabrook, *Adventures in Arabia* (London, Harrap, 1928), ch. XIV et XV: *Among the Yezidees*: I. *In the mountain of the Devil-worshippers*, p. 265-288, II. *In the courtyard of the Serpent*, p. 289-308; J. P. Alem, *L'auberge de Mimas* (Paris, Vigneau, 1946). II. "Les e`teigneurs de lampe": *Les Ye`zidis* (romance), p. 85-162; D. Stewart, J. Haylock, *New Babylon, A portrait of Iraq* (London, Collins, 1956), c. XV1, *Yesidia*, p. 150-173; J. Leroy, "Moines et Monast`eres du Proche-Orient" (Paris, Horizons de France, 1957), ch VIII, Cheikh `Adi, sanctuaire des Adorateurs du Diable, p. 252-269.

^٩ M. Febvre, "Teatro della Turchia" (Milano), 1681, p. 343-352; "The`atre de la Turquie", trad. Franc, de l'auteur (Paris 1682).

* ميشيل فيفر، احد اعضاء فريق تطوير خط "سان فرانسوا"، اي "القديس فرانسوا".

[الترجمة]

^{١٠} lammens, S. J., "Le Massif du Gebal Sim`an et les Ye`sides de Syrie", dans M.F.O, 11, 1907, p. 266-394. Du meme, "Une Visite aux Ye`sides ou Adorateurs du Diable, dans *Relations d'Orient*, 1929, p. 157-173.

زميله الاب فونكلابي P. Fonclayer"، الذي استسلم لشروحات تبدو لي غير مبررة.

وقام الابهاء الدومينيكان الايطاليون، في تبشيرية الموصل بدراسة اليزيديين في شيخان، امثال "الاب لانزا" P. lanza (١٧٦٩) والذي اكد عبادتهم للشيطان واعتقد انهم احفاد الـ(مانيين)^{١١} الفرس*. وكذلك "الاب جارزوني P. Garzoni" (١٧٨١)، "اب الدراسات الكردية (نيكيتين)، الذي اعترف بروابطهم مع يزيد الاول^{١٢}. واخيراً الاب كامبانيلي Le P. Campanile" (١٨١٠) الذي خصص لهم فصلاً، لكنه مشوش في كتابه "تأريخ كردستان"^{١٣}. ثم "اوچين بورية Eugene Bore" الذي اصبح رئيساً عاماً لـ"اللازاريين"^{*}، بعد ان كان ديبلوماسياً، الذي قام بنشر مقالات خصص لليزيديين في القاموس الديني لـ"ميني"، في الجزء الرابع يوضح "بان كل ما لديهم في الحقيقة، انما يكشف في عقيدة زرادشت التي ادخل فيها ماني بعض التغييرات وفي اواسط القرن التاسع عشر قام احد التبشيرييين الانجليكان ويدعى "بادجير Badger" بدراسة عن اليزيديين الا انه ولسوء الحظ استند

¹¹ R. Bidawid, "Mosul in the 18th century, according to the Memoir of Domenico Landza. arad. arate de l'italien (Mosul, 1953), p. 63.

* الـ"مانية"، عن الفارسي (ماني) (القرن الثالث الميلادي). وهي ديانة سنسكريتية يجمع بعض عناصر المسيحية والبوذية والمازدية والزرادشتية، وهي تعتبر الخير والشر مبدئين اساسيين متساويين ومتضادين. وهي عبادة ادانتها المسيحية واعتبرتها هرطقة. [المتجمة]

¹² Garzoni, O. P. "Notice sur les Ye`sides", dans *Viaggi e oposcoli diversi di Domenico Sestini*" (1807), trad. fr. Par S. de Sacy (1809) in *Description du pachalik de Bagdad par MXXX*, p. 191.

¹³ G. Campanile, O. P., "Storia della regione del Kurdistan e delle sette di religione ivi esistente" (Napoli, 1818), cap. IV. "Habitanti del Kurdistan, p. 146-165.

* اللازاريين، اعضاء الاتجاه الديني الذي اسسه القديس "فانسان دو بول Vincent de Paul" في العام (١٦٢٥)؛ وهو قسيس البعثة التبشيرية. [المتجمة]

على الحقائق الواضحة والمحددة لنظريات الاديان القديمة، والتي كانت في اعتقادي اساس جميع الاخطاء التي تواردت بعد ذلك عن اليزيديين^{١٤}.
ثم جاء "او. هـ. باري O. H. Parry" (١٨٩٥)، التبشيري الانجليكاني ليصف المطارقات التي شاهدها ضد اليزيديين. في حين نرى ان "اي. ج. براون E. G. Browne"، كان اول من نشر في ملحق كتابه اول ترجمة اجنبية للكتب المقدسة اليزيدية^{١٥}. وخصصت "المبجل و. ا. ويگرام W. A. Wigram" لليزيديين بدوره فصلاً مليئاً بالطرافة في كتابه (مهد البشرية)^{١٦}.
واعد "لايارد Laytard" عالم الاثار البريطاني حوالي (١٨٥٠)^{١٧} معلومات رائعة عن الاعياد اليزيدية، وكذلك "السيوفي Siouffi" قنصل فرنسا في الموصل حوالي (١٨٨٠)^{١٨} بحثاً عن عقائدهم مستنداً على مصدر جيد هو الملا حيدر. اما حاكم الموصل "نوري بك"^{١٩}، فقد نشر دراسة عن اليزيديين، استأنفها ابنه "جلال نوري"^{٢٠}، ولكنه لم يقدم جديداً.

¹⁴ G.P. Badger, "The Nestorians and their Rituals (London, 1825), I. cap. IX, p. 105-110, et cap. X, p. 111-134.

¹⁵ O. H. parry, "Six months in a Syrian monastery" (London, cox, 1895), c. XVIII, *The Yazidis*, p. 252-262. -E. G. Browne, *The Yazidis of Mosul, Ibid.*, p. 357-387.

¹⁶ W. A. Wigram, *The cradle of Manking* (London, Black, 1921, 2 e`d.), C. V. *The Temple of the Devil (Sheikh `Adi)*, p. 87-110.

¹⁷ Layard, "Niniveh and its remains" (London, 1845). Description de la Fele de Cheikh `Adi, p. 134-148 et p. 148-158 et passim.

¹⁸ M. N. Siouffi, "Le chef des Ye`sides"; J. A. 7 ser. T. XVIII(1880); "Notice sur la secte des ye`sides", *ibid.*, t. XX (1882), p. 252-268; "Notice sur le Cheikh `Adi et la secte des ye`sides, *ibid.*, 8 ser., t.v (1885), p. 79-98.

¹⁹ M. Noury Bec, "A bede-I Iblis yakhod Ta`ifai baghiye yezidiyeye bir Nazar (Mosul 1323/1905). - `Abede-i Iblis. Yezidi Ta`ifasinin i`tikadati, ewsafı, hasıtati (Istanbul 1328/1911). Traduit en Allemand par TH. Menzel, Ein Beitrag zur kenntnis der Jeziden, dans H. Grothe, Meine Vordernasien espedition (Leipzig, 1911, t. I. p. 88-211).

²⁰ Djelal Noury, "Le Diable promudieu, Essai sur le Yezidisme" (Constantinople, 1910).

هذا وقد استغلت "الليدي دراور Lady Drower"²¹ اقامتها لعدة اسابيع بين اليزيديين في اتصال مع نساءهم لكي تدرس عادات الحياة اليومية للاسرة اليزيدية. ولكن اقترابها واستلهاها من المندائيين والاديان الاخرى عبدة الشمس لدرجة لا يمكن احيانا الوثوق بمعلوماتها. وبشكل عام، لا يمكن الوثوق تماما بالمواطنين المتعاشين مع اليزيديين سواء كانوا مسيحيين او مسلمين، اذ تنقصهم غالباً روح النقد الى جانب الاسطورة المنتشرة والمقبولة بل وغير المناسبة. ومع ذلك، فان "القس اسحق" (١٨٧٥) القريب جداً من اليزيديين، كان اول من كشف عن عدد كبير من العقائد والعادات اليزيدية والتي احب ان اضيف اليها الايمان. ولكن تعليقات الاب "جميل Le P. Giamil" (١٩٠٠) التي نشرها حول تلك المعلومات تنقصها المصداقية²². وقد جمع من مسيحيي الموصل، السيد "داوود سلمان صايغ" (١٨٨٠)، الكثير من المعلومات عن اليزيديين في الموصل، قام بنشرها السيد "ايسيا جوزيف Isya Joseph"²³ في بوسطن في العام (١٩٠٩).

²¹ lady Drower, *Peacock Angel* (London 1941), p. 214.

²² S. Giamil, *Monte Singar. "Storia di un Poplo ignoto* (Roma, 1900) p. 166) "En 1874, un pretre catholique de Ba'chiqa, cacha Ishaq, composa en chaldeen.

دراسة مطولة حول اليزيديين، في عشرة فصول في شكل حوار. وتمت ترجمة النص (بالعامية الكلدانية) بواسطة "كاشا ابلاهاد Cacha Ablahad"، لاجل "ر. پ. بونقواژان، او. پ. R. P. Bonvoisin" الرجل الاكبر في دير مار يعقوب. وقد اضاف المترجم بعض التعليقات الشخصية. واستخدام "الاب جياميل Le P. Giamil"، نسخة من "كاشا اسحق Cacha ishaq"، نسخت في القوش في ١٥ نوفمبر ١٨٩٩. ولم يقدم المعلومات حول عادات وعقائد اليزيديين الذين ظهروا في اواخر القرن التاسع عشر. ونرى استناداً على نصه، انه كان يعرف تماماً محتوى كتاب "مصحفا رش".

²³ Isya Joseph, *Yazidis texts*", dans "*The American Journal of Semitic languages*", t. XXV (1909), P. 111-156 et 218-254. -"*Devil Worship*" (Boston, 1919).

وكتب الشماس "عبدالعزيز"، الذي أصبح يعقوبياً حوالي ١٨٨٩، نبذة عن تاريخ اليزيديين المقيمين في الموصل، وقدمها الى "الشماس ارميا Eremia" ليستخدمها ، وسوف نتناول الحديث عن ذلك الشماس فيما بعد. وقام "باري Parry" بنشر جزء منها بالانجليزية، ونشر "شابو Chabot" قسماً اخر بالسريانية والفرنسية عام ١٨٩٦^{٢٤}، في حين تم نشرها جميعاً بالعربية على يد الاب المبجل خاليفي عام ١٩٥٣^{٢٥}. وقدم لنا كذلك "الاب انستاس الكرمللي Anestase"^{٢٦} من بغداد، معلومات ولكنه قام بتلطيف وتحسين للطائفة، مُنسقاً دون وعي منه احياناً المعلومات التي بحوزته. اما بالنسبة للشروحات النقدية او التاريخية التي اضافها الاب "تفنكجي Ler P. Tfinkdji" الى النصوص النسطورية لـ "راميشو Ramisho" (١٤٥١) ولـ "ايشو حب Ichô` Yahb" المعروف بـ "مار مقدم Mar Mgadam" في القرن الخامس عشر والتي نشرها "ناو Nau"^{٢٧}، فهي لاتحمل شيئاً هاماً الا فيما

²⁴ J. B. Chabot, "Notice sur le Ye`zidis", J. A., 1896, texte syr., p. 102-117; trad. Janc, p. 118-132.

²⁵ A. KHALIF`E, S. J., Al-Yazidiyya, dans Al-Machriq, 1953, p. 571-588.

²⁶ Anastase-Marie, C. D., "Al-Yazidiyya", dans Al-Machriq, 1899 (8art.), p. 32-37; 151-156; 309-314; 395-399; 547-553; 651-655; 731-736; 830-834. Ces articles ont ete resumes Presque entierement et traduits pn jrancais par N. Moutran, "La syrie de Demain" (Paris, plon, 1916), p. 403-424, sous letitre: *Les Yesidis, Adorateurs du Piable*".

²⁷ Naw, *Recueil de texts et de documents sur les Ye`sides*, in R.O.C. XX, 1915-1917. Tire`a` part (Paris, 1918) P. 117. Le texte de Rabban Ramicho a ete ecrit en 1763 des Grecs (1451 ch.) Une copie en a e`te` faite par chammacha Auch`na, fils de Thoman e`te` transcribe deuk fois par stemphane Gorguis Gorguis Reis d`Alcoche, d`abord en 1880, pour chammas Ere`mia, puis le 27 mai 1912 pour le Pasteur Andrus de Mardin. Mgr Israel Audo, metropolitain de Mardin en a pris copie en juia 1912 et Rappan Ephrem, du couvent de Mar hanania de Mardin, L`a recopiee a`sontour, le 30 Octobre 1912. Le Texte puplie par Naw comporte plusieurs parties.

يخص بالطبع الاصول الاتنية والدينية لليزيديين. وفي الاعوام (١٩٤٩) قام السيد "صديق الدمولوجي"، من مسلمي الموصل، والذي كان مديراً لمناطق اليزيديين في شيخان وسنجان ولعدة فترات في ظل الحكم العثماني، قام بنشر كتاب ضخم يضم خمسمائة وعشرين صفحة، لكن انشاءه واسلوبه سئ على اي حال. ونجد فيه الى جانب الحكايات الشخصية التي لاتخلو من طرافة، كما من المعلومات الثمينة حول اسرة الامراء وأسر الشيوخ، ويقوم احياناً بتصحيح بعض الاخطاء الشائعة حول الطائفة. ويبدو انه كانت تنقصه الروح النقدية وامكانية الاستفادة الكاملة من المصادر التي حصل عليها لكي يتمكن من كشف واستخلاص الاصول الدينية لليزيديين²⁸. ثم قام

والنص الذي نشره "ناو Nau" يحوي عدة اجزاء: (١) النص الذي يتحدث عن احتلال الدير النسطوري لمار يوحنا وايشو صابران، ص٥٦-٦٤. (٢) قصة يزيد ونسله من اليزيديين، ص٦٥-٦٧؛ (٣) معتقدات اليزيديين، ص٦٧-٧٠؛ ورؤسائهم، ص٧٠-٧٣، وعددهم ص٧٣. من كل ذلك الجزء الاول وحده الصحيح، لانه ذكر في ذلك النص قد دُيغ استناداً الى القصص الكنسية التي كتب في مارغا في غرفة البطريرق النسطوري. ولكن القس "رامشو" قال ان البطريرك النسطوري كان قد ترك مارغا، ومنذ زمن بعيد قبل ان يكتب عن ذلك. وعلى اي حال فان ذلك النص ليس سوى تزوين للنصوص التي اوردها ابن الاثير (المتوفي عام ١٢٢٣) والتي تدور حول الوثنيين في "تيراهي Tirahi" والعايدة لـ "بار هيرايوس" (المتوفي عام ١٢٨٦) حول ابناء الشيخ عدي. وقد اختلطت التواريخ لدى الكاتب. كما ان تميزه بين "تحدي المسلم وتحدي الكردي لا يستند على اي مصدر كان. ويؤكد مطران اربيل (في القرن الخامس عشر) "ايشو باب Icho` Yabh" الذي عاصره والذي يطلق عليه "مار مقدم" يؤكد كذلك بان ساكن الدير النسطوري "مار يوحنا Mar Yohannan" قد اصبح الشيخ عدي ولكنه في ذات الوقت يعترف بوضوح بان الشيخ عدي كان اسماعيلياً. اي انه مسلم وليس وثنياً. بل ويعترف كذلك بتأثيره على الناس. ويبدو انه الاصدق. اما الاجزاء الثاني والثالث فتعود ربما الى "ستيغان Stephane" النساخ ذاته.

²⁸ الدمولوجي، اليزيدية (الموصل ١٩٤٩)، ص ٥٢٠. ونحن نأسف لوجود الكثير من الاهدال في هذا البحث؛ حيث نجد تحريفاً لاسماء الكتاب الغربيين: مثلاً "شابو" اصبحت

"عبدالرزاق الحسني"، بتطوير دراسة كان قد نشرها في العام ١٩٢٩ و١٩٣١ حول عبدة الشيطان في العراق. وهي موضوعة كان قد وجدها الكاتب في نصوص عربية سابقة ولكنه اضاف اليها بعض الملاحظات الخاصة ونشرها في العام ١٩٥١. وقراءة ذلك الكتاب ممتعة خاصة وان طباعته جيدة وان الكاتب وثق الاستشهادات والمراجع بدقة بالغة^{٢٩}.

ولنذكر اخيراً بعض الكُرد الذين واتتهم الفرصة للاهتمام باليزيديين. اولاً نذكر السيد "محمد امين زكي"، الذي نشر كتاباً بعنوان: "خُلَاصَة تَأْرِيخ الكُرد وكُردستان"، ١٩٣٦^{٣٠} [الاصح هو ١٩٣١] ولكنه لم يسجل فيه سوى الاستنتاجات التي توصل اليها الاب "داوود سليمان صايغ" في كتابه "تأريخ الموصل"^{٣١} وفي عمله مع الاسف، لاتتمتع معلوماته بالاصالة مادياً، لان الكاتب حدد مساره بمتابعة "ناو Nau" في تقديراته. في حين؛ كان من السهل

"كابوت kabot"، ص٤١، وتحول "تايو Tayot" و "فورب Forbes" الى "فوريس Furis" هذا الى جانب ان المصادر والمقتطفات ينقصها الوضوح التام. وغالباً ما تنقص مناقشة الاراء الاجنبية الرزانة والجذابة. ولو كانت هناك قائمة بالاسماء لاصبح استخدام ذلك العمل الثري جداً اسهل كثيراً. ولكن يمكننا ان نوجه لذلك الكاتب نقداً شديد اللهجة، لانه يبدو مهتماً كثيراً بنقل ونسخ النصوص بشكل صحيح. ففي صفحة ١٠٢، يذكر نصاً من ثمانية اسطر من ابن فضل الله، كان تيمور قد ذكره ص٢٥، ويُسقط من ذلك النص اربع كلمات ويضيف اخرى ويغير حروف كلمتين اخريين. وفي ص١٠٣ يذكر نصاً لابن حجار، ذكره تيمور كذلك ص٢٦-٢٧. وهذه المرة النص من ثمانية اسطر، يُسقط منه ثلاث كلمات احدها هام جداً، فهو موضوع خلاف: "بيت" بدلاً من "بنت"، بل حتى انه يُغير تنقيط الحروف لكلمات خمس ويكتب الموصل بدلاً من دمشق.

²⁹ عبدالرزاق الحسني، عبادة الشيطان في العراق.

Abdul Razzaq al-Hassan, *Abedet al Sheitan fil Iraq* (Saida, 1931), P. 84.- *Al Yasidiyya fi Hadirihim wa madihim* (saida, 1951), P. 112.

(اليزيدية في ماضيهم وحاضرهم).

³⁰ A. Zeki, *Khulaset tarikh al-kurd wal-Kurdistan* (Trad. En Ar. Ze caire, 1936, P 310-314.

³¹ S. Saigh, *Tarikh al-Mosul* (Le caire, 1923), p. 297-317.

عليه ان ينهل من المنابع خاصة وانه يعيش في المكان. ونشر الامير "جلادت بدرخان Jeladet Baderkhan" في مجلة هاوار الكُردية في ١٩٣٢ نبذة حول "الانجيل الاسود"^{٣٢}، وفي العام ١٩٣٣ نشر اربعة صلوات اصلية حقيقية غير منشورة قبلاً للكرد اليزيديين^{٣٣}. هذا وقد جمع "عثمان صبري" في "رونهي" المجلة الكُردية عام ١٩٤٢ بعض المعلومات الجديدة عن اليزيديين في سنجار على لسان بعض شيوخهم المهاجرين الى سورية^{٣٤}، ولكن اولئك الكتاب جميعاً قوميون من الكُرد، يعتقدون ان اليزيديين هم بقايا سلالة الدين الزردشتي والذي كان جميع الكُرد يؤمنون به قديماً ونتيجة لذلك فلا علاقة لهم بالاسلام. وهي موضوعة من الصعب تأييدها في ايامنا هذه.

٣. المستشرقون الجالسون وراء المكاتب في الغرف:

هناك بعض المستشرقين الذين لم يقابلوا ولم يروا مطلقاً يزيديين بشحمهم ولحمهم. انما رأوا فقط عبر دراستهم، وارادوا بذلك فقط توفير المعلومات وثمار قراءاتهم لمواطنيهم. فهم اذن على الاكثر مجرد جامعي معلومات، و مترجمين او معلقين. بالانجليزية، لدينا التجميع الذي تعرفنا عليه سابقاً للناشر "عيسى يوسف". بالالمانية قام السيد "ج. بيتنر" في ١٩١١ بدراسة واعية بنصوص الكتب المقدسة باللغة الكُردية ولسوف ندرس ذلك فيما بعد، وكذلك الابحاث التي قام بها "أ. ديرر" A. Dirr^{٣٥} ومختلف الدراسات التي قدمها "منزل" Menzel^{٣٦} وبالفرنسية وثائق القرن السابع عشر التي

³² Dans "Hawar" (Damas, 1932), no. 14, 15, 16.

³³ Dans kitebxana haware (1933, no. 5, 8 pages.

³⁴ O. Sebri ets. Wikander, "Un te`moignage kjurde sur les Ye`zidis du sindjar" dans *Orientalia suecana*, 11, 1953, p. 112-118.

³⁵ A. Dirr, *Einiges uber die Jesiden*, dans *Anthropos*, XII-XIII, 1917-1918.

³⁶ Th. Menzel, ses articles dans *Encyc. Ist., Yazidi seykh, `Adi (Suppl.)*, Kiteb el-Dzilwa outré sa traduction Allemande de Noury (Supra no. 19).

اكتشفها "بردريزية Perdrizert" في (١٩٠٣)^{٣٧}، والمختارات التي قدمها "ناو Nau"، والتي ذكرناها سابقاً، حيث اعاد تقديم زبدة وخلاصة كل ماتم نشره آنذاك حول اليزيديين، و اضافته للنص الكلداني وترجمته الفرنسية التي قام بها "رابان راميشو Rabban Ramicho" في ١٤٥١. ثم كتاب "أ. منان A. Menant" في ١٨٩٢ والذي لا يحوي شيئاً أصيلاً، والذي يقول دائماً "اليزيديين"^{٣٨} ولا نعرف لماذا؟ وأخيراً، وبالإيطالية نصوص ودراسات "فورلاني Furlani"^{٣٩}.

ويحتفظ كل ذلك التوثيق بأهميته، ولكننا لا يمكننا استخدام التعليقات المرادفة لها الا بحذر شديد. ونجد بعض الآراء المفيدة في التعليق الذي قدمه "ر. س. تيمبل R. C. Temple" على كتاب "امبسون Empson" حول عبادة "الطاووس- الملاك" ١٩٢٨. وانني اذا لم اكن ابالغ او اتجاوز، لم يترك المعلق شيئاً هاماً من نظريات الكاتب الشخصية^{٤٠}.

٤. كتاب يزديون ونصوص يزديية:

كان يكفي الرحالة الاجانب ان يفتحوا عيونهم فقط وينظروا حولهم ليستطيعوا وصف المعابد والاعباد اليزيدية. ولكنهم بالضرورة كان يجب عليهم قضاء وقت طويل بينهم، يتواصلون معهم ويتعرفون على معتقداتهم ليتمكنوا من سبر اغوارها. ولكن يجب ان نعتز بدورنا بان معظم من تحاورنا معهم من اليزيديين يجهلون الكثير عن انفسهم باعتراف كل من تحاور معهم من امثال الاب لامنس "او" ر. ليسكو". ومع ذلك،

³⁷ Perdrizet, "Documents du XVII^e Siecle relatifs aux Ye`sides (1903).

³⁸ A. Menant, "Les Ye`sides, Episodes de L'histoire des Adorateurs du Diable (Paris, muse Guimet, 1892).

³⁹ Furlani, "Testi religiosi sui Ye`sidi", (Bologne 1930), p. 124; "Sui Ye`sidi", dans R.S.O., XIII, 1932, p. 92-132; I santi de Yezidi, dans Der islam, XXIV, 1937, p.154-174.

⁴⁰ Empson, "The cult of the peacock Angel (London, 1928); R. C. Temple, A commentary, ibid., p. 161-222.

يوجد رواة يزيديون من ذوي الخبرة والمعرفة الثمينة والذين قدموا الكثير من التوضيحات لكل من تحاور معهم. نذكر "الشيخ ناصر" الذي التقى "بادجير"، او "كوچك براهيم"، الذي التقى "كاشا اسحق"؛ و"الملا حيدر" الذي تحاور مع "السيوفي" و"حبيب" الذي اصبح "عبد المسيح وحمو" الذي تحدث مع "ر. ليسكو"، او الشيوخ "حيدر خلف" و"خضر" الذين التقوا "عثمان صبري".

واية صدقة جيدة تلك عندما يعرض لنا احد اليزيديين بنفسه اسرار دينه. حسناً، هناك اثنان منهم، وحسب علمي، قد استطاعا كما يبدو الاستجابة لرغبتنا: احدهم من طبقة امير، والاخر رجل بسيط اصبح فيما بعد قسا سريانياً كاثوليكياً^{٤١}.

الامير "اسماعيل بك چول Ismail Beg Chol"، رجل طموح، بلا ضمير كتب قصة حياته بين رفاق العقيدة، وعن رحلاته، مثقف جداً وقدم الكثير من التفاصيل المجهولة عن تأريخ سنجار. ولكن كل ما قدمه لنا حول العقائد والعادات لم يكن سوى تجميع لما نشرته المجالات العربية حول الموضوع. وهو خليط لا يخلو من التناقضات. ومع ذلك فهو يقدم بعض التفاصيل حول العقائد وطقوس الحج. وقام "س. زريق" بنشر كتابه في بيروت عام ١٩٣٤^{٤٢}.

⁴¹ D. Stewart, J. Haylock, *op. cit.*, p. 188, signalaient la preparation d'un gros livre de Goo pages sur les Ye'sides, par un instituteur Ye'sidi lui-meme, Faiq Sadiq, don't le frere Racid await fourni des renseignements a Lady Drower. Mais cet ouvrase qui, d'apre's son auteur, devait "corriger maintes errijurs" n'a jamais vu le jour et, selandesvenseighents qu'am m'a communiqes (1957), beaucoup moins volumineux qu'an la'nnonc ait, "n'apportait rien de nedf sur la question, n'apportait rien de neul sur la question, audire de M. Tewfiq wehbi qui, deson cdte, preparait an article our le meme sujet.

⁴² Ismail Beg Cohl, "AL-Yazidiyya qadiman wa hadithan (Beirut, Amer, Press 1934, XVI (p. 136); Damaloojc, *op. cit.*, p. 412-422, Juge tre's se've'rement ce personnage.

اما بخصوص القس "بهنام" والذي قضى فترة في دير الشرفية^{٤٣} في لبنان، فقد نشر في عام ١٩١٦ نبذة باللغة السريانية^{٤٤} حول اليزيديين، لم يأت فيها بجديد بل نقل كل ما اورده "الاب انستاس" بالحرف الواحد. ونشرت المقالة في مجلة (المشرق، عام ١٨٩٩). وقد اهمل في مقالته بعض المقاطع، ولخص بعض الفقرات ولكنه ابتعد عن مصدره في نقطتين: الاولى عندما اطلق اسم "بشير" على الامير في زمانه، في حين الامر كان يتعلق بـ"سعيد بك". والثانية عندما اعترف انه شارك شخصياً في جلسات طقوس "ليلة الكفشة" التي لم ينسبها "الاب انستاس" لليزيديين رغم الاقوايل الشعبية. بل ويبدو حتى ان الاب شبلي^{٤٥}، الذي نشر المقالة في مجلة المشرق عام ١٩٥٢، لم يعمل حساباً آنذاك لكل ذلك^{٤٥}.

ونحن نرى اذن ان هذين الشاهدين رغم كل المظاهر ليسوا مؤهلين تماماً. الاول لانه من اسرة الامراء وهؤلاء كما سنرى فيما بعد يلعبون دوراً سياسياً او تنظيمياً اكثر منه عقائدياً. والثاني، ولانه كان مجرد "مُرِيد"، لم يكن مُزوداً بما فيه الكفاية من المعلومات. وكلاهما، كانا صادقين ولو بشكل غير مباشر، وقدا في كتاباتهما ما يعتقدونه عملياً كأعضاء للطائفة. ومع ذلك، فشهادتهما تنقصهما الاصاله.

كتب اليزيديين المقدسة:

وهنا يجب ان نأتي على ذكر كتب اليزيديين المقدسة. وينسب الناس للطائفة كتابين مقدسين لا يتعدى عدد صفحاتهما الاثنتي عشرة صفحة اذا

⁴³ C'est probablement à lui que Damalooji, *op. cit.*, p. 321-324, Fait allusion.

⁴⁴ Comme on le sait, "le karchouni" est l'alphalet utilisé pour transcrire des texts arabes. Cf. L. Costaz, S. J.) *Grammaire syriaque* (Beyrouth, 1955, P.2.)

⁴⁵ P. Che`bli, *Meqalet fil yazidiyya*, dans al Mashreq, nov. De`c. 1951, P. 533-348; janv. Fe`v. 1952, p. 29-40. Tire` a` part, p. 28.

ما استطعنا تسمية تلك الكتابات بالكتب. انهما كتاب الوحي كتاب "جلوة"، والثاني "مصحفا رهش" اي (الانجيل الاسود)، هذا اذا ما كانت ترجمتنا مُوفقة، وقد ظلت تلك الكتابات وحتى منتصف القرن التاسع عشر مجهولة للاجانب الذين انكروا وجودهما تماماً كما فعل "لوفقر". ومع ذلك، ومنذ (١٧١٤)، كان الشيخ المسلم "عبدالله الريتكي" يعترف بوجود كتاب لليزيديين يسمى "الجلوه"، وهو كتاب مرده الى "الشيخ فخرالدين". وكان "الاب انستاس" نفسه قد ذكر في مقالاته المنشورة عام ١٨٩٩ بأن "مصحفا رهش، اي "الانجيل الاسود" لم يكن سوى مختارات من الايات القرآنية عن الشيطان وعن اللعنات ضده قاموا بمحوها او تغطيتها بالحبر ومن هنا تلك التسمية بالاسود. ومع ذلك فان "الدكتور فورب Dr. Forbes"^{٤٦}، كان قد سمع في احدى رحلاته ١٨٣٨ الى سنجار عن وجود كتاب اسود، يعود للشيخ عدي نفسه. وفي العام ١٨٩٥، وكما ذكرنا سابقاً فان "اي. ج. براون E.G. Browne"^{٤٧} قدم لأول مرة تلك الكتابات للجمهور الاوروبي بالانجليزية وتبعته بعد ذلك ترجمات اخرى بالالمانية والفرنسية والايطالية والعربية^{٤٨}. وفي تلك الاثناء قدم شخص فريد الا وهو الشماس "ارميا شامير"، قس كلداني قديم في "حاخامية هورمز Rabban Hormez"، والذي اصبح واعظاً كنسياً^{٤٩}، قدم لنا معلومات حول "مؤلفي تلك الكتب المقدسة وعن التواريخ المفترضة لوجودها"^{٥٠} كل ذلك اثار فضول الباحثين حتى جاء ذلك اليوم

⁴⁶ Forbes, "A visit to the sindjar Hills, dans R. G. S., LX.

⁴⁷ E. G. Browne, The Yazidis of Mosul, dans O.H. Parry, supra, no. 13.

⁴⁸ Voir Les recueils de ja` cite`s des I. Joseph (1908), Bittner (1913), Nau (1918), Furlani (1930). En arabe Damlooji (1949), p. 121-124; A. Hasani (1951), p. 38-42, etc.

⁴⁹ O. H. Parry, op. cit., p. 252 et svx donne quelques de`tails sur ce curieux personnage, bavard et imaginaire, qui mourut dans un age avance` 1906.

⁵⁰ D`apre`s "Nau", *Recueil*, p. 15, n. I, "E`remia faisait savoir, le 28 october 1892, a` M. Andrus que le Livre "Al-Djelwa" aurait ete ecrit en

الذي قدم فيه "الاب انستاس" اكتشافه المذهل المثير^{٥١}، فقد وصف لنا وبطريقة روائية كيف حصل على المخطوطتين، وكيف وصفهما لنا وقدم صورة تحاكي الاصل مصحوبة بالترجمة العربية. واعترف "ماسينيون" في الحال باهمية ذلك الكشف ولكنه تقبله في تحفظ حذر^{٥٢}.

ها نحن نرى نصاً مكتوباً بحروف مجهولة تم تقديمه في صورة محاكاة له. فهناك اذن مايثير الشكوك والظنون حول صحته. ويجب تقديمه في شكل نقدي واجراء دراسة معمقة للنص. وذلك ما قام به "الدكتور بيتنر Dr. Bittner"^{٥٣} ولكن تلك الدراسة الواعية جداً لايمكنها ان تضع حداً للنقد. اما الهجوم الاشد فقد قام به القس السابق الكلداني "أ. منگانا A. Mingana" في تكييف بالقرب من الموصل. وكان ذلك القس قد اصبح مسؤولاً عن مكتبة النصوص الشرقية في الجامعة الانجليزية^{٥٤} ولكن النقد الذي اتبعه كان اخف

558/1162 par Cheikh Fakhr ed-Din, secretaire de Cheikh `Adi et qui l'original en serait conserve` chez Molla Haidar a Ba`cadre. Quant au "Livre Noir", d'apre`s une lettre du meme au meme du 9 novembre 1901, il serait du a la plume d'un certain Hassan al-Basri en 743/1342. L'original se trouverait chez le chef `Ali de Qasr izz ed-Din (Qusrezdin) pres de semmel.

⁵¹ P. Anastase-Marie, "La De`couverte re`cente de deux livres sacre`s" des Ye`zidis, dans *Anthropos*, VI, 1911, p. 1-39.- Les traductions du Pere sont rarement litterales. Elles sont toujours de belles infideles qu'on doit examiner de pre`s, car le traducteur aime les periphrases, les euphemisms, les expressions litteraires...

⁵² L. M., "Les livres sacre`s des Ye`zidis, dans *Revue de l'Hist. des Religions*, t. LXIII, 1911, p. 245-246; *ibid.*, t. LXIV, 1911, P. 264-265.

⁵³ M. Bittner, *Die heiden heiligen Bucher der Jeziden*, dans *Anthropos*, VI, 1911, p. 628-629; *Die heiligen Bucher der Jeziden oder Teufelsansbeter (Kurdisch and Arabisch)*, dans D. K.A.W.W. (Wien band LV, 1913), IV, p. 98; *Die heligen Bucher der jeziden oder Teufelsanbeter* (fac-simile du texte kurde), *ibid.*, 1913, V. 18p.

⁵⁴ A. Mingana, *Devil-Worshippers. Their beliefs and their sacvred books*, in J.R.A.S., 1916, p. 505-526; *Sacred books of the Yasidis*, *ibid.*, 1921. simple note de 3 pages.

وطأة مما كان يبدو⁵⁵. واللغة الكُردية هي اللغة المستخدمة في هذين النصين.

⁵⁵ ينسب "منگانا Mingana" في واقع الامر هذين الكتابين للشماس ارميا بل يقول انه هو الذي اكمل كتابتهما بنفسه قبل الاعوام ١٨٦٥. ولكن البراهين الخارجية التي يقدمها لا تقنع احداً، (لايوجد لهما اي اثر قبل "ارميا Eremia"، من المستحيل ان تكون سراً، بل واماكن حفظهما). اما بالنسبة للبراهين الداخلية فانها ايضا اضعف اثباتاً. ونقده ينصب في الحقيقة على النص العربي. كما نشره "ا. يوسف I. Joseph"، والذي لم يكن في حد ذاته سوى ترجمة للاصل. واذا ما دققنا قليلاً في اللغة، نرى ان الشماس يمكن ان يكون هو الكاتب. فاللغة قريبة من اللهجة الموصلية الشعبية المرصعة بتراكيب من اللغة السريانية. اما الاخطاء التي يدعى انه اشار اليها في الكتاب الاسود غير موجودة اصلاً في الحقيقة: انها في الملاحق. ولذلك ترك ملاحظاته جانباً. وتعبير ايمر ذلك العالم (الجلوة: ١-٤) ان هو الا ترجمة خاطئة. ويحمل النص الكُردى التعبير التالي في كل مرحلة يظهر رجل عظيم، وكل من هؤلاء العظام ينجز عمله بدوره". وبالمثل، فان التمييز بين القساوسة والعلمانيين "حرفياً" لا يوجد في النص الكُردى. ولكنه يوجد في الملاحق. فقط اسم "بيلزيب Beelzebub" (الكتاب الاسود، XXVI) هو وحده يحمل عبقاً مسيحياً. ويجب ايضاً التأكد من ان الاسم مجهول للمسلمين الذين على اتصال مع المسيحيين، كما هو حال اليزيديين. ويتحول الكاتب بعد ذلك الى النص الكُردى لينتقده بشدة، والنص الكُردى كان قد نشره استناس فيقول، اولاً، لا يوجد احد يعتقد بوجود ادب كُردى قديم مدون. ولكنه اخطأ في ذلك، فقد تحدث كل من "خودزكو Chodzko" في العام ١٨٥٧ و"ژابا Jaba" في العام ١٨٦٠ عن ثراء الادب الكُردى القديم المدون. واقدم نص كُردى معروف، وهو دعاء مسيحي مع ذلك، يعود للعام ١٤٠٠، وحتى قبل ذلك استناداً على ما اورده "مينورسكي Minorsky" الذي نشر منه منگانا مقالته، نجد انفسنا اكثر معرفة بالتأكيد في ذلك المجال. وارجو القارئ الى العودة الى مقالتي "نظرة على الادب الكُردى" المنشور في نفس هذه المجلة عام ١٩٥٥، في الصفحات ٢٠١-٢٣٩. واندعش المؤلف في الحال لوجود ترجمة عربية لذلك النص الكُردى الاصيل ولا يرى الفائدة التي يجنيها الكُرد من استرجاعه. ولكن اليزيديين يعرفون جيداً مدى اهتمام الاجانب بكل ما يخص طائفتهم. وثن منگانا مترجم النص الذي يقدم لاحسن الدارسين دافعاً لاعادة النظر في ذلك وباللغتين الكورانية والسامية. وذلك شئ طبيعي جداً، طالما ان اللغة

الكردية ليست كورانية او سامية، وانما هندو- اوروبية. وعلى كل حال، اذا ما كان ذلك النص يحمل صعوبات لمستشرق اوروبي قابع في مكتبته ولايكاد يعرف الكردية فليس ذلك هو حال شخص يتحدث الكردية بطلاقة مثل ارميا والذي يمكنه ان يجد العون في نفس المكان من اي كردي. ان اخر ما يقلق او يهجم نقدنا الذي يجابه الخداع، هو تلك الكتابة الغريبة جداً، والتي ليست هيروغليفية، او ان تكون ناقصة ومتداخلة، او سريانية، كما انها ليست ارامية او عبرانية او عربية، او من مجموعة اللغات الاورالية (التركية* والمنغولية**) -وهي مجموعة اللغات الاورالية الالتائية، او مجموعة اللغات الاوغلية-التاتارية وهي تحوي اللغات السيبيرية***-الاستية*** الفوجولية**** والهنغارية***** والفنلندية*****. (الترجمة)

حسناً الامر بسيط جداً في الواقع، لانه مهما بدا ذلك غريباً، فان الامر يتعلق بوجود ابجدية كردية خاصة. وقد اعترف بوجودها المستشرق "دوكور دمانش Decoard emanche" عندما قال انه من بين الابجديات التي يحتفظ بها، توجد ابجدية كردية. (انظر: الديوان ص ١٥، رقم ١). وربما هو نفس الموضوع (الابجدية) التي تحدث عنها الاب "كامبانيلي Campanile"، (نفس المقتطف، ص ١١٦-١١٧).

لقد رأني "موسى بك" امير عكار ذات يوم الابجدية الكردية والتي يظن جميع الكرد انها غير موجودة اصلاً. وقال لي: ((لايوجد في الحقيقة كتاب كتب بتلك اللغة ولكن توجد فقط بعض الصفحات المتفرقة من الشعر الكردي المدون باللغة الكردية، أراني اياها من يقال له السيد الاكبر. ولكن رغم جميع محاولاتي ومجاملاتي الرقيقة الدافئة لم انجح في اقناعه باعطائي نسخة من ذلك الخط، وتشبه الابجدية الكردية الابجدية الفارسية فيما عدا بعض الحروف)).

ويمكننا توجيه الملامة الى "منكانا" لانه ركز نقده على النص العربي المترجم، بل وعلى فقرات خارج النص؛ واخيراً على لهجة وكتابة كردية يجهلها تماماً. اذن ماذا تبقى من جدله؟ لا شيء. اذن ليس هو "الشماس ارميا" الذي وضع ذلك النص والذي ظهر في وسط مسيحي للبلاد ما بين النهرين، والذي يمكن اعتباره بائه ليس باقدم من منتصف القرن التاسع عشر. والكتاب الذين يذكرون هذين الكتابين المقدسين لايعودان مطلقاً الى النص الكردي الذي يجهله تماماً الا بانه سمع ما يُقال. ومع ذلك، ورغم اننا لا نصف بصدق البعض كما "ليسكو" او "منكانا" على رأسهم، ويعترفون مع ذلك بانهما يحيويان عناصر حقيقية صادقة عن عقيدة وطقوس البيزيديين.

وليست اللهجة التي يتحدث بها اليزيديون اليوم في شيخان وسنجان . انها الموكري، اللهجة التي يتحدث بها الكُرد المقيمون في ضواحي بحيرة اورميا، او مع بعض التنويعات لهجة كُرد السليمانية. انها حقيقة مثيرة. يجب علينا اذن ان نقدم شروحنا انطلاقاً من صفة الكتابات الدينية؟ اليس المقدس محاط دوماً بالكتمان والاسرار، على اية حال، لاتسمح تلك اللهجة بتحديد تأريخ معين ومعلوم حتى ولو كان قديماً، ومهما كانت ظنون، "فورلان" بخصوص ذلك⁵⁶. ومع ذلك تبرز تساؤلات اخرى. اذ من الصعب كما نعتقد ان نعود بـ"مصحفا رش" الى القرن الرابع عشر ونسبته الى "الحسن البصري"⁵⁷. ومن هو فخرالدين هذا الذي يعود اليه تأليف كتاب الوحي

⁵⁶ انا لا اعرف حقيقة على ماذا يستند ذلك الكاتب "Texti, p. 131" لكي يعيد تلك النصوص الى القرون الوسطى. اما فيما يخص تأكيد "انستانس، (المذكور لدى "بيتنر Bittner"، المقتطف، الجزء الرابع، ١٩١٣، ص٩، رقم١)، تأكيده بان ((تلك اللهجة لم تعبر حية ومستخدمة اليوم))، فقول مناف للحقيقة كما ارى.

⁵⁷ يوجد العديد من الاشخاص يحملون اسم "حسن البصري" ولا اعرف ايا منهم هو المعني - اولاً: انه واحد من اقوى واكمل الشخصيات المعروفة باسم "حسن البصري"، المولود في المدينة عام ٦٤٣/٢١ وتوفي في البصرة عام ٧٢٨/١١٠ (راجع ماسينيون، دراسة، ص ١٧٤-٢٠١). ولا يمكن ان يكون الامر متعلقاً به، رغم انه معروف تماماً لحي اليزيديين. وهناك متصوف اخر يدعى "جعفر بن علي بن جعفر بن رشيد". الشيخ المسند، المعمر شرف الدين المرقي، الذي عرف كذلك باسم الحسن البصري. واستناداً الى "توعري- بردي Toghri Berdi" يمكن ان يكون قد ولد في الموصل عام ١٢٠٨/٦٠٤ وتوفي في دمشق عام ١٢٩٣/٦٩٨ (راجع تيمور، المقتطف، ص١٨). لقد استطاع ان يتعرف تماماً على العدويين وعرفوه بدورهم. وهناك شخص ثالث ينسب اليه الشماسن ارميا اسماً على وجه الخصوص "الكتاب الاسود"، والذي يكون قد توفي في ١٣٤٢/٧٤٣، ولكنه غير معروف في مكان اخر. ويبقى الشيخ حسن شمس الدين، ابن حفيد اخ او شيخ، اي الشيخ عدي، والذي كان لمن خلفه الافضلية على شيوخ اليزيديين كذلك بلقب "البصري" (تيمور، المقتطفات، ص١٨)؛ و ا. الحسيني، المقتطفات، ص٩، رقم١). ولكنه توفي عام ١٢٥٤/٦٥٢. ابن شاکر، توفي (١٣٦١)

كتاب جلوة^{٥٨} من المحتمل اننا نواجه نصوصاً ليست صحيحة ربما، وهي ظاهرة ليست بنادرة تماماً في الميدان الديني.

على اية حال، يختلف هذان الكتابان تماماً أحدهما عن الآخر، سواء بالنسبة للمحتوى او طريقة العرض. ويحوي كتاب الوحي خمسة فصول قصيرة، والمقدمة على لسان الطاووس الملك يخاطب الناس مؤكداً على قدرته وقوته العالمية. وكيف انه سوف يجزى المخلصين من امثاله ويعاقب الآخرين. وهو يشير هنا الى نظرية التناسخ، ونظريته بتقديس صورته وذاته وطاعة خدامه.

ويبدأ الكتاب الاسود، بنص حول نظرية الخلق مؤكداً فيها على الملاك جبريل و فخرالدين مبرزاً كلاهما بشكل واضح. ويلى النص قائمة باسماء قدماء ملوك اليزيديين، ثم نص معترض آخر وطويل يعرض جميع التابوات

يتهمه بكونه يعود في اصله الى الهرطقة اليزيدية (ليسكو، ص٣٦). وينسبون اليه "كتاب الجلوة لارباب الخلوة"، والذي يشبه عنوانه بين ايدينا، ولكن لا صلة ابدأ له بذلك الكتاب المقدس. وذلك هو الرأي المُسبب لحكام مؤهلين كما "تيمور"، و"ليسكو"، و"الدملوجي".⁵⁸ في القرن الثامن عشر، اتهم "عبدالله الريتكي" وهو مفتي كردي- اتهم اليزيديين، بانهم فضلوا سخافات الشيخ فخرالدين على جماليات القرآن. ولكنه لا يقدم اية معلومة او تفصييلة صغيرة عن ذلك الرجل. ولم يكن أرميا الشمس أكثر حذراً منه، عندما اكد بدوره ان كتاب الجلوة من تأليف الشيخ فخرالدين سكرتير الشيخ عدي" وانه الفه عام ١١٦٢/٥٥٨. وذلك غير صحيح تماماً ويعرف الناس شيخاً اخر، يُدعى "فخر الدين"، ابن الشيخ حسن، ابن الشيخ عدي الثاني والذي كان يجب عليه ان يهرب الى مصر. ولدى عودته للبلاد، القى المغول القبض عليه واعدموه عام ١٢٨١. ولكننا لا نملك معلومات كافية عن حياته ونشاطاته. ويقال ان "ابا شيخ"، الرئيس الاعلى لليزيديين من وجهة نظر عقائدية، يقال انه من ذريته. وعلى اي حال، فان افتراض ان ذلك الكاتب هو الشيخ فخرالدين من طبارستان (١١٥٠-١٢١٥)، والذي تحدث عنه "امبسون Empson" او على الاكثر مع "فخرالدين ابن قرقماش" زعيم الدروز (١٥٧٢-١٦٣٥) يعد ذلك الافتراض ضرباً من ضروب الخيال. نفس المصدر، ص١٨١.

التي نجدها مجسمة في طلب ١٨٧٢ والذي سوف تذكره فيما بعد؛ تعود الى ملوك اليزيديين. وينتهي الكل للقارئ بأنه ناقص، لم ينته بعد^{٥٩}.

ومهما كان امر المؤلف او تأريخ الكتابة، فان كتاب جلوة يعود حتماً الى مرحلة اقدم عن "تأريخ الكتاب الاسود". والحقيقة ان اسلوب الكتاب قوي متناسق مع نشيد يُنسب للشيخ عدي، وهو نص ديني يزيدي يُضاهيه طولاً. ولكن "بادجير" نشر ذلك النص ولأول مرة بالانجليزية مترجماً عن العربية، لغة النص. وانطلاقاً من تلك الحقيقة يمكن اعتباره اقدم. وقد نشر الدملوجي النشيد بالعربية ومصحوباً بتعليقات (المكتب السياسي: مقتطفات، ص ١١٥-١٣٥). ويقول "الدملوجي" ((انه كان قد وجد ذلك النص ضمن مختارات من الشعر الديني. تعود للشيخ حسن، وكانت لدى احد الشيوخ اليزيديين من اسلافه. وتلك تفصيلاً لاتخلو من اهمية))^{٦٠}.

ويمكننا ان نضيف لتلك النصوص الدينية وثيقة رسمية وحيدة اصدرتها السلطات اليزيدية التي وقعتها شخصيات معروفة. انها التماس تم تقديمه للسلطات التركية وعلى وجه الخصوص للعميد "طاهر بك" الذي كان قد حضر في العام ١٨٧٢، ليعمل على تجنيد اليزيديين في الجيش العثماني. ويشمل الطلب مجموعة من المحرمات والتابوات المعروفة آنذاك تدلل على ان الحياة العسكرية لاتتلاءم والدين اليزيدي ولهذا لم يتردد الكتاب، الى جانب الممارسات الحقيقية، في تقديم عادات

⁵⁹ تتوقف هنا هنا نسخة "اسماعيل بك" العربية ايضاً. (المقتطفات، ص ١٠١-١٠٣). ولكن النص الذي اورده الحسن (المقتطفات، ص ٤٠-٤٦)، وغيره من الكتاب اكبر كثيراً. ويحوي عناصر عن محمد، السناجق، والعادات اليزيدية والذي قدمه لنا وعرفنا به "كاشا اسحق": وبذلك يسبق بسنوات عديدة نشاطات الشماس "ارمبا" في هذا المجال. ولايوجد ما يدفع للافتراض بان تلك الاضافة تعتبر جزءاً من النص الكردي البدائي الذي لم يستطع نسخه النساخ المشغول جداً التابع للاب "انستانس".

⁶⁰ الدملوجي، المختارات من المقتطفات، ص ٨٩، رقم (١).

تهدف كما يبدو لتجسيد الصعوبات التي تقف امام انخراطهم من الجيش⁶¹. وقد نجحوا في مساعهم هذا على ما يبدو.

٥. مؤرخون في حاجة لنجدة ما:

وكما رأينا حتى الان، فيجب علينا ان نستوعب جيداً ان كل مالدينا من ملاحظات دونها الرحالة، او اكتشافات للعقائد والممارسات الحالية للطائفة، او تعليقات العلماء ذوي الشهرة، لاتستطيع كلها مجتمعة ان تلقى الضوء على الاصول الدينية لليزيديين. ويتداول المسيحيون والمسلمون واليزيديون انفسهم وبشكل سطحي اخبار عادات متناقضة ومتضادة احياناً ذات صلات قديمة بالاسلام. ولكن الانطباعات وحدها لايمكنها اقناعنا. ان لايمكن ان يقدم اي تماثل عرضي مع عقائد قديماً، او محيطية شرحاً لكل شئ. ففي الميدان العقائدي، يعتبر كل تقارب عرضي امراً حساساً ودقيقاً. بل ويجب علينا على الاكثر ان نكون حذرين جداً قبل الحديث عن استعارة او امتداد لهذه العقيدة او تلك. فالنظريات لادخل لها هنا بذلك. انها مسألة حقائق، يجب علينا ان نبحث عنها وان نجدها حتى نتمكن من التوصل الى حل يمكن ان يكون هو الحل الحقيقي. وهنا يفرض المنهج العلمي نفسه. ولهذا يرى مؤرخين من ذي المكانة، قد اختاروا طريقاً اخر مخالفاً لذلك الطريق الذي تنتهجه معظم الكتاب الذين تحدثنا عنهم آنفاً. ونراهم يرفضون الدراسات حول اصول اليزيديين، وهم يتبعون بمنهجية الخط الذي انتهجه الكتاب القدامى الذين تناولوا تلك الطائفة بالدراسة. وهكذا فتح "احمد تيمور" الطريق ومهده منذ الاعوام ١٩٢٧، حيث برهن على ان اليزيديين في البداية كانوا الطريقة جماعة العدوية، الحقيقية التي اسسها الشيخ عدي، وكيف ان فرعاً من هذه الزاوية

⁶¹ الدملوجي، المختارات من المقتطفات، ص ١٣٥، ١٤٠.

قد استقرت في مصر منذ نهاية القرن الثالث عشر، وحتى نهايات القرن الثامن عشر^{٦٢}. وقد وجد المحامي العراقي "عباس العزاوي" بدوره فيها بعض الصلات التي تربطها بالصوفية^{٦٣}. في حين نرى ان الايطالي السيد "م. أ. جيدي M. A. Guidi" قد انتهج طرقاً أخرى في العام ١٩٣٢^{٦٤}، ووضع الطائفة كما احدى الولايات المؤثرة التابعة "للغلو" الاموي. اما النتائج التي توصل اليها هذان الكاتبان فهو توافقهما في بعض النقاط. وفيما بعد ذلك بقليل، سيقدم السيد "ر. ليسكو R. Lescot" في العام ١٩٣٨ في كتابه بعنوان دراسة حول اليزيديين في سوريا وجبل سنجار^{٦٥}، ما سيؤكد في معلومات لم تنشر قبلاً وبشكل مقبول على ذلك التوجه الذي اختطه هذان الكاتبان.

ودون ان نهمل بالطبع تلك العناصر العديدة والشمينة التي قدمها من سبقهما من الكتاب، فانني قد اعتمدت وبشكل كبير على الوثائق والجدل الذي قدمه هؤلاء المؤرخون: الى جانب ما قمت به انا من ابحاث شخصية، لكي اغامر بدوري واقدم عرضاً للاصول العقائدية لليزيديين.



⁶² احمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، القاهرة، ١٣٤٧، ص ٤٨.

⁶³ عباس العزاوي، تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم، بغداد، ١٩٣٥، ص ٢٣٠.

⁶⁴ M. A. Guidi, Origine dei Yazidi e storia religiosa dell'Islam e del dualismo. dans RSO, 1932, p. 265-300, Nuove ricerche sui Yazidi, ibid, p. 377-421.

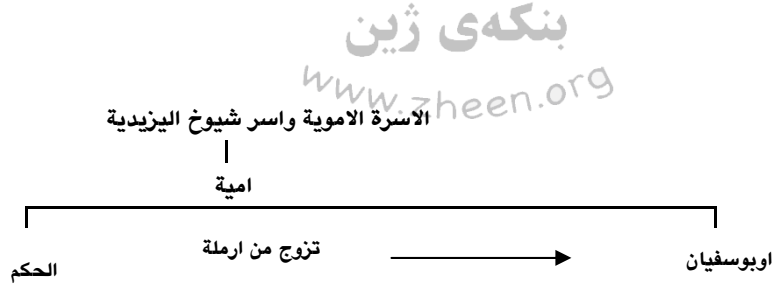
⁶⁵ R. Lescot, *Enquete sur les Ye`zidis de syrie et du Djebel sindjar* (Beyrouth, Imp. Cath., 1938).

السلالة الأموية واسرة شيوخ اليزيدية

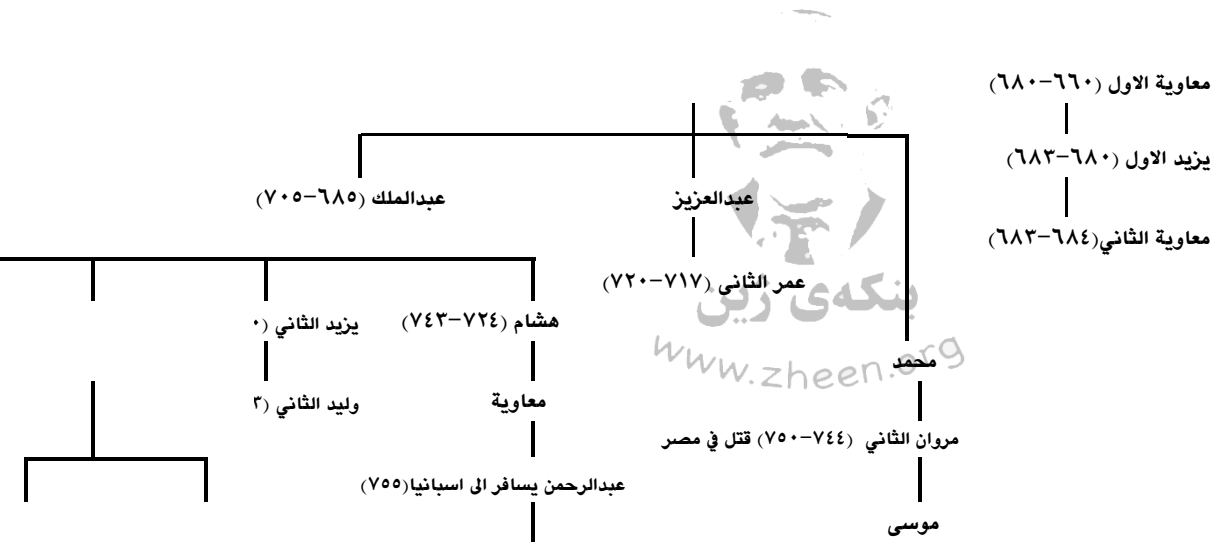
اعتمدنا في تركيب عناصر تلك الخريطة- اللوحة على اصول متنوعة وذات قيمة متباينة، واستقينا شجرة الدولة الاموية اعتماداً على كتاب "تأريخ العرب" للسيد "س ل. هيوارت Sl. Huart". في حين اعتمدنا على السيد "ر. ليسكو R. Lescot"، في كتابه "ابحاث، ص ٢٣٤"، لكي نقدم شجرة عائلة الشيخ عدي بفرعيها المصري والكوردي. حيث انه اعتمد على شواهد القبور في "كرفة Carafa" والتي ذكرها (تيمور في المختارات والاستشهادات، الصفحات ٣٩-٤١). وكذلك على تأريخ الانساب والتي ذكرها ونشرها "ليسكو" بنفسه في (ص ٢٢٧-٢٣٥).

فاذا ما كان الواقع يذكر احد الامويين الذي هرب من الموت واسس اسرة اموية حاكمة في اسبانيا، فما مدى اعتمادنا للاصل الاموي للشيخ عدي. وعلى اي حال فان نظرة على الخريطة-اللوحة، تكفي لتوضيح الفجوة بين مروان الثاني والمسافر.

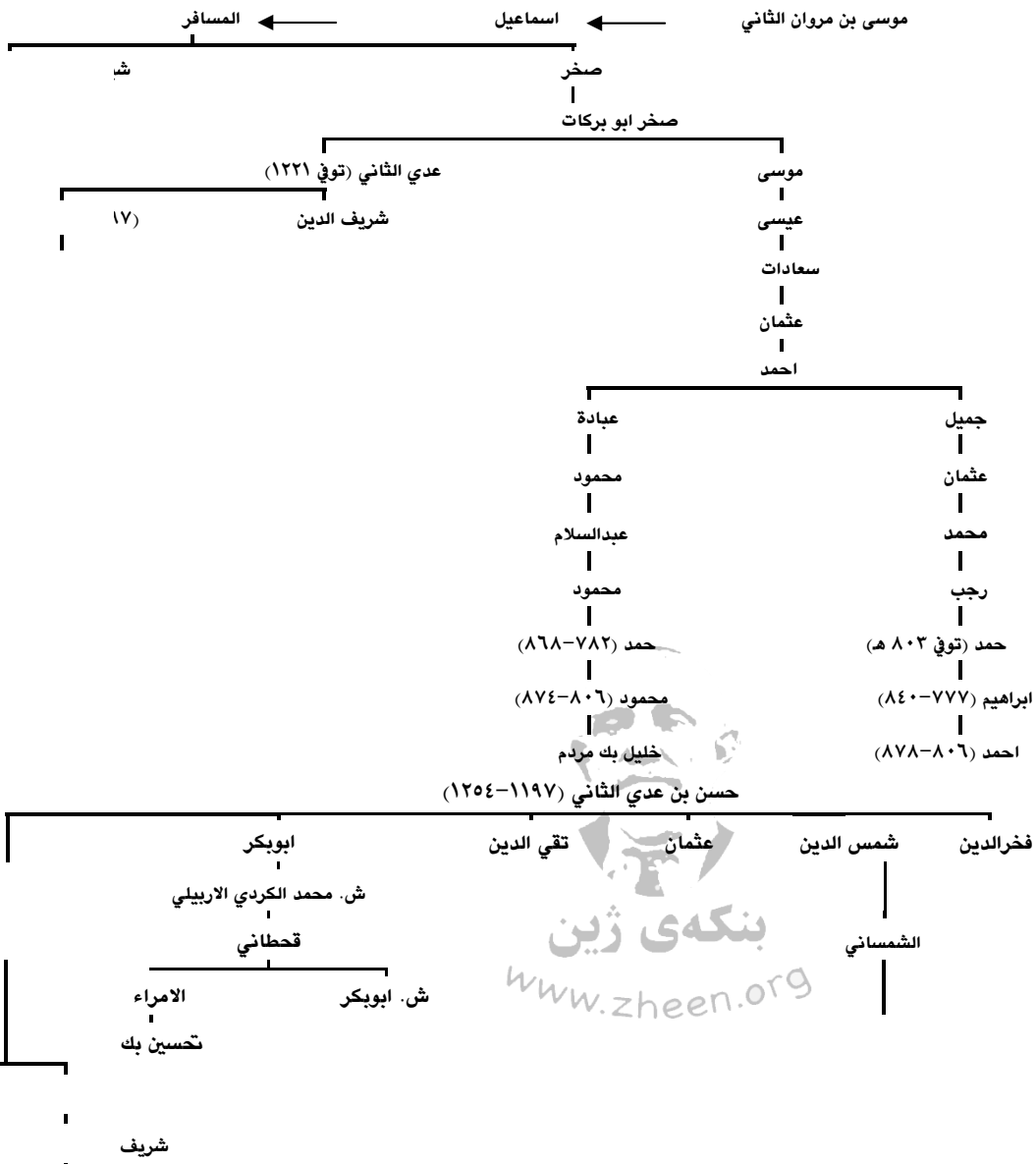
والقضايا التي تخص ربط الشيخ حسن واولاده الثلاثة الكبار من اليزيديين وهم كل من اداني وشمساني وقاتاني - كما تمت الاشارة اليها- مأخوذة من كتاب - الديملوجي الصفحة ٤١-٤٤ وابقيتها على الاسماء التقليدية في كل من الاسامي، رغم انها يدخل في باب التخمينات، الا انها لا تخلو من الفائدة.



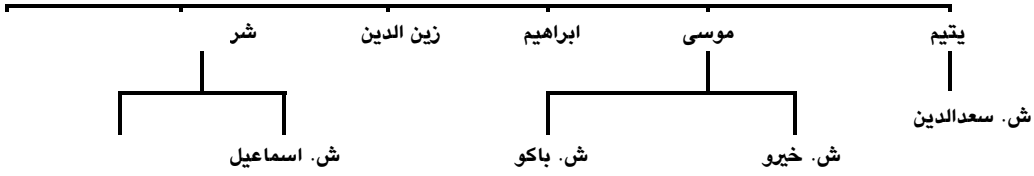
مروان الاول (٦٨٤-٦٨٥) يتزوج من الارملة فاخة



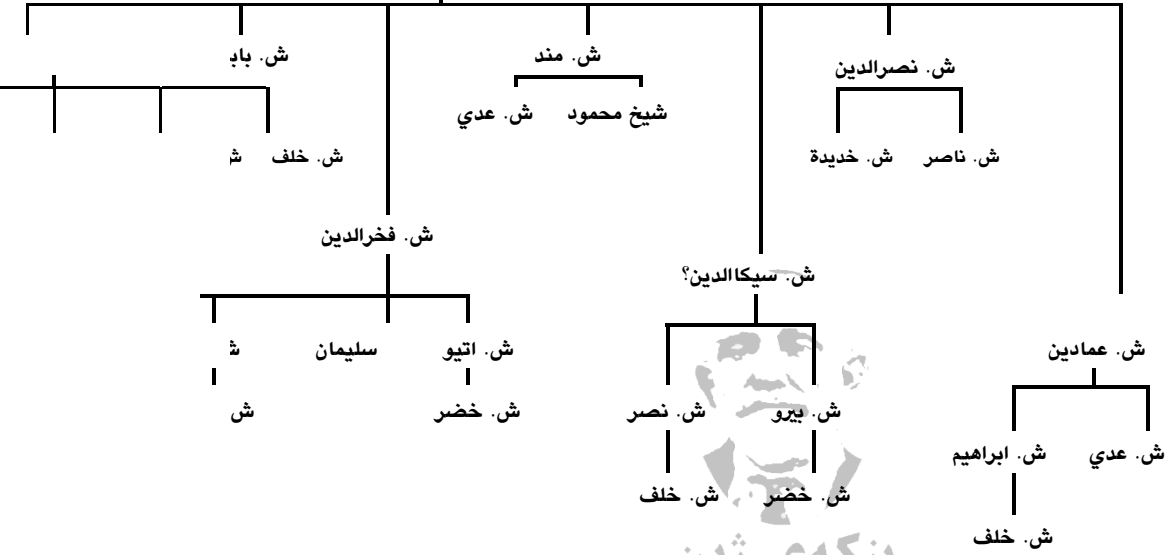
امويو اسبانيا (٧٥٦-١٠٣١)



برهان الد
ابوالمحا
بدرالد



الشمساني بن شمس الدين



(٢) حليات خاطئة بين الشمس والصليب:

رغم كل الحقائق الواضحة التي سوف نعرضها فيما يلي: ورغم البيانات التي قدمها لنا دونما اي لبس اليزيديون انفسهم حول اصولهم، ورغم النصوص الواضحة والتي ظلت مجهولة لوقتٍ طويل، فقد كان المسيحيون اول من قدم اليزيديين، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا التعرف على الصفات الحقيقية وعلى اصولهم الدينية التي رأوا انها غريبة.

وهناك العديد من الاسباب التي تقف وراء استحالة التوصل منذ الابحاث الاولى، الى نتائج قوية بما فيه الكفاية اولاً، تلك الفترة الزمنية التي جرت فيها اولى تلك الابحاث التي تصادفت والاكتشافات الاثرية في بلاد ما بين النهرين حيث تعرفنا على العقائد الاشورية والبابلية. ثم تلك الحقيقة الاتنية القائلة بان اليزيديين اكراد واسلافهم كانوا من مريدي زرادشت. هذا، الى جانب ان المعبد الرئيسي مهد الطائفة يقع في منطقة الجبال التي ازدهرت فيها المسيحية قديماً. واخيراً معرفتي مازالت غير كافية عن الاسلام وعن تفرعاته.

ويمكننا ان نظن احياناً، ترى لو كان مثلاً معبد الشيخ عدي في شمال افريقيا وكل سياق عقائده وعاداته اكتشفت هناك مثلاً، هل كنا حينذاك اقل تخبطاً حول الاصول الدينية لليزيديين وكلنا استطعنا ومنذ وقت طويل تقديم الاستنتاجات، كما نفع اليوم مثلاً؟

واذا كنا نرفض الشروحات التي قدمها بعض الكتاب، فذلك لانها تحديداً جزئية ومجرد مقطوعات متفرقة لا ترتبط ببعضها البعض باية صلة. واذا ما كانت توضح فصلاً من عقيدة او ممارسة دينية ما، فانها تغلف بالغموض ما هو اكثر بكثير مما تقدمه. وسنحاول اذن الكشف عن تلك النقاط الغامضة، وسنطير حينذاك من بابل الى زرادشت، ومن المسيحية الى الاسلام.

وسنتحدث عن البوذيين والصابئة وسنقدم انذاك خليطاً غير مقبول او تجمعاً لعوامل ولا يمكننا شرحها بل ولن نجدها في اي مكان كان. ومع ذلك اذا

ما استطعنا الكشف في خط وحيد يقودنا، ويمكنه ان يوضح بمافيه الكفاية العادات والعقائد المنتشرة والمتناثرة والتي يمكن تفهمها انذاك..الا يمكننا حينذاك ان يقودنا ذلك الخيط الى الطريق الصحيح والمكان المطلوب؟ وذلك الخيط قائم وموجود: انه الاسلام. ولكن المسلمين انفسهم يتنكرون له. ونتساءل هل كان اليزيديون ورثة العقائد البابلية القديمة ؟ يجب علينا ان نظن انهم احفاد الزرادشتية وعبدة الشمس الذين عاشوا قديماً على الارض التي يقيمون فيها اليوم ؟ هل يمكن ان يكونوا هم من حافظ على الوثنية الكُردية ؟ وهل نستطيع اليوم القول باننا نجد بعض بصمات واضحة لاصول مسيحية؟ ان الاجابة على كل تلك التساؤلات ستمهد الطريق امامنا. وفيمايلي اذن عدد من المواقع الخاطئة التي اتبعها ومازال يتبعها بعض الهواة:

١. العقائد البابلية القديمة:

لقد كنا نود ان نجد لدى اليزيديين بقية من آثار العقائد البابلية القديمة. الا نضاعف لدى اليزيديين ثلاثة الهة من الهة البابليين: تموز، شماش اله الشمس، وشن اله القمر؟ وفي لغتهم العقائدية يتحدثون دائماً عن طاووس ملك، او الملاك الطاووس. وانني اعتقد تماماً ان الامر يدور حول طقس قديم. وقام السيد "ليتز بارسكي" Litz barski⁶⁶، المتخصص باللغة الاشورية، ويتبع خطى "شولسون" Chwolson، وجد ان اسم الاله تموز، وهو لايشك لحظة في ذلك، انه في التطور والتحول اللغوي العادي للغة الكُردية تحول بين الحرفين "م. و. M. W." ولكن السيد "كليمونت جانو" Clermont hanneau⁶⁷ فند ذلك الادعاء

⁶⁶ Litzbarski, *Ein Expose` dei Jeziden*, dans Z.D.M.G., LI, p. 592-604.

⁶⁷ Dans Rec. d'Arche`ol. Orient, t. 111, p. 86. Cite` dans Nikitine, *Les kurdes. E`tude sociologique et historique* (Paris, 1956, p. 360). P. 236, n. 1.

التقريبي المعين، بين ملك طاووس وتموز، مُبيناً انه لا يوجد ولا عيد واحد حتى يحتفلون به في تموز للملك طاووس، وهو شهر يخصص وبشكل خاص للاله تموز. ووجه "فورلاني Four Lani" نفس النقد⁶⁸. ويوجد كذلك ضريح خُصص للشيخ شمس الدين والذي يُشار اليه بالاسم المختصر الشيخ شمس. ولم يتردد "ويگرام Wigram"⁶⁹ او "الليدي دراور Lady Drower"⁷⁰ وآخرون، لم يترددوا في دمجهم بالشمس. ولكن اسم الشيخ شمس الدين لم يكن سوى خداع نظر بالنسبة للمسلمين⁷¹. ولكننا نعرف تماماً ان الشيخ شمس الدين كان موجوداً فعلاً. وهو معروف ومشهور جداً داخل الطائفة. وهو في الواقع من افراد اسرة الشيخ عدي. انه الشيخ حسن ابن الشيخ عدي الثاني. ويعتبرونه من الاسباب في اصول بعض الانحراف الديني في التوجه الاسلامي

⁶⁸ Sui Yezidi, p. 116-119.

⁶⁹ Wigram, Cradle, p. 101.

⁷⁰ Drower, Peacock Angel, p. 101.

يبدو ان الكاتب قد تأثر تأثيراً كبيراً برسومات الشمس والقمر والنجوم التي ترصع الجزء العلوي من الابواب في معابد اليزيديين. ولكنها هنا نوع من الزينة والتي يمكن رؤيتها في كل مكان؛ وعلي وجه الخصوص صور الشمس على القبور الكُردية للناس ولا تحمل اي مغزى خاص.

Cf G. E. Hobbard, *From the Gulf to Ararat* (Edinburgh, Blackwood, 1917), p. 222P Dr. K. Bedir-Khan, *Le Soleil Noir*, dans *Hawar*, no. 26, p. 14/418.

⁷¹ يعود ذلك التحقيق كذلك الى "شولسون" Chwolson

Chwolson, *Die Ssabien*, p. 296, qui e`crit:

((ان معبد الشيخ شمس هو دون ادنى شك معبد للشمس فقد بُنى بشكل يسمح لان تتخلله اولى اشعاعات الشمس قدر المستطاع. ودون شك فهو شئ جريئ و واضح)).

وقد نقل ذلك المقتطف من (ملحوظة) H.O. Parry, op. cit. p.359

الصحيح للطائفة. وسلسلة طويلة من الشيوخ الحاليين. يعتبرون انفسهم من سلالته، ولذلك يتمتعون ببعض الامتيازات^{٧٢}.

واخيراً، وكما يقول الدمولوجي، فلربما عبد اليزيديون الشمس. والبرهان على ذلك، انهم يذبحون ثوراً ابيض في عيد الشيخ عدي. واطافة الى ذلك، يسجدون للارض التي تستقبل اولى اشعة الشمس. بل ويتجهون في صلاتهم لها عند الشروق والغروب. وبهذا نرى بعض الكتاب يصفون اليزيديين بالشمسيين او عبدة الشمس^{٧٣}. ولكنهم اذا صادف وذبحوا ثوراً وليس ابيضاً فلا علاقة له بطقس اضحية عبادة الشمس. وهي عادة ترجع الى الشيخ عدي نفسه^{٧٤}. ولكن حقيقة التوجه نحو الشمس اثناء الصلاة لاتعني بالضرورة احد طقوس العبادة. فالكنائس المسيحية كانت قديماً دائماً شرقية، اي انها كانت تتجه نحو المشرق، ويصلى المسيحيون الشرقيون غالباً وهم يتجهون في نفس الاتجاه^{٧٥}. ولايعني ذلك انهم يعبدون الشمس

⁷² Cf. R. Lescot, op. cit., p. 86, n.3P Damalooji, op. cit., p. 41-43.

⁷³ حول قرية "الشمسية" بالقرب من ماردين والتي لم تكن تحوى سوى خمسين اسرة في بدايات القرن التاسع عشر والتي لا علاقة لا مطلقاً باليزيديين والتي ربما تكون قد اختفت ربما اليوم، نستطيع ان نجد بضعة اسطر تتحدث عنها في المقالة:

Mardin de V. Minorski dans E.L. et Campanile, *Storia del Kurdistan*, p. 194-200.

⁷⁴ *Op. cit.*, P. 194, n. 5.

⁷⁵ J. M. Fiey, O.P., *Mossoul chretienne. Essai sur l'histoire, et L'etat actuel des monument, chretiens de la ville de Moussoul* (Beyrouth, Imp. Cath., 1959).

في كتاب الموصل المسيحية تقدم لنا على الصفحات ٧٠-٧١، بعض الشروحات لتلك العادة استناداً الى كاتب نسطوري قديم. وقد اخترنا بعض الكلمات "ان ما يُسمى جورج من اربيل قدم اسباباً صوفية جيدة لذلك التوجه قائلاً: اننا نستدير نحو الشرق للصلاة فهو مكان ملائم ومناسب وجدير، مكان للحياة، مكان للقديسين، المكان الذي طردنا منه (الجنة الارضية)، حيث تشرق الشمس التي نستمد اصلنا منها، مكان امتدحه الله على لسان انبيائه... الخ".

والتي بدونها، لا تكون الاشياء على ماهي عليه⁷⁶. وهناك شيخ اخر يدعى الشيخ سجادين، الذي اشتهر اسمه كذلك كونه من اسرة زعماء دينيين، وينادي غالباً باسمه المختصر الشيخ سن: فهل يجب علينا ان نخلط بينه وبين اله القمر، احد الهة البابليين؟ اننا نعرف جيداً على اي شئ يمكننا الاعتماد. ومهما كانت عقائد العرب القدماء، لا يوجد اليوم من يصف المسلمين بعبادة الشمس والقمر، وذلك رغم الهلال الموجود في كل مكان والذي اصبح رمزاً للمسلمين، بل ورغم الشمس والنجوم التي تزين اعلام الشعوب العربية المسلمة، ورغم ان كل متدين يستجيب للصلاة بعد نداء المؤذن مع شروق وغروب الشمس.

واخيراً، فان القرية الواقعة بالذات بين بعشيقة وبهزاني مليئة بالاثار ذات الشكل المميز، وتوجد مثلها قرى كثيرة تحوي نفس الاثار. انها اضرحة مربعة الشكل طولها متران او ثلاثة بنيت فوق درجة سلم او درجتين يعلوها مخروط مضلع متعدد الزوايا. ويسمى اليزيديون تلك الاضرحة (چققس

⁷⁶ لقد قال لي المرحوم صاحب السيادة الاب "شوريز" chauriz "القس الكلداني من مدينة "سرت" في تركيا بان والده كان معتاداً قديماً ان يستدير نحو الشرق لاداء صلاة الصباح. ومن المحتمل انه لم يكن الوحيد الذي يقوم بذلك. ويمكن ان نضيف انه في ((طقوس العبادة الكاثوليكية))، نراهم يسمون المسيح غالباً بالنور وشمس الدنيا. مثلاً ذلك النشيد الكنائسي لصلوات الغروب اثناء الصيام ((ايها المسيح! انت النور والنهار، يامن يبدد ظلمات الليل، اننا نعتزف انك نور النور، معلناً نور السعادة!)). وهناك نصوص مشابهة ولكن لا يوجد احد كما اعتقد، ممن يؤكد ان المسيحيين يعبدون الشمس وهم يمزجونها بشخص المسيح. على اي حال، فان القديس اغسطس (سان اوجستين) معلقاً على هذه الفقرة في انجيل يوحنا (الجزء الثامن، ١٢، حيث يسمى المسيح نور العالم. ويقرر ان المانويين مزجوا المسيح الاله بالشمس، ولكنه اضاف قائلاً ان عقيدة الكنيسة الكاثوليكية تستهجن تلك العقيدة ويصفها بالشيطنية (Tract. 34 in Joannem).

(Chaq̄s) وهي دون شك الكلمة العربية شخص^{٧٧} لفظت بالكردية^{٧٨}، وذلك لان كلا من تلك الاضرحه يمثل شخصاً او يعود لشيوخ من الطائفة. ولقد اراد البعض ان يرى في تلك الكلمة المفردة العبرية "شكاش Shqas" والتي تعني شيئاً مكروهاً او ربما صنماً^{٧٩} او حتى ما هو اقوى اي المعنى التي تعنيه المفردة البابلية "شاكشو Saqasu" بمعنى الوحش او السوء او الماكر^{٨٠}. طالما ان البعض يرى منهم عبدة الشيطان فلا يعملون. الا ما هو شر. ولكن هل ذلك يتعارض تماماً وبشدة مع الممارسات اليزيدية ومع ذلك المعنى المتدارك للكلمات وللأشياء.

٢. الثنائية الايرانية:

تتداخل الثنائية الايرانية وبشكل كبير في الدين اليزيدي. فاليزيديون كُرد في واقع الامر. ويعتبرون احفاد الميديين ودينهم المجوسية. وزادشت المصلح كما يسمونه ولد في كُردستان عام ٦٦٠ ق.م^{٨١}. فاذا كان قد

⁷⁷ حول المعاني المختلفة لتلك الكلمة، انظر:

J. Chelhod, *Intrduction ala sociologie de e`lsom* (Paris, 1958), p. 30 et 31 et 36, n. I).

⁷⁸ Sur ce phe`nome`ne phonetique frequent et normal ou le q arabe ou turc et le gh arabe, persan ou turc, deviennent kh en kurde, par ex. Weqt deviant wext, teqsir, neqs nexs et le phenomene inverse ou le kh arabe devient q en kurde, voir O. Mann, *Die Munqart den Mukri kurden* (Berlin 1906) I, XXXVII et Celadet Bedir-Xan, *Grammaire kurde*, (inachevee et hors commerce) no 43. p. 34

⁷⁹ Isya Joseph, *Yazidi Texts*, p. 251, no. 40.

⁸⁰ Cf. C. Bezold, *Babylonisch-assyrisches Glossar* (Heidelberg, 1916), p. 284.

Ces deux derniers texts sont dans Furlani, *Text religiosi*, p. 52.

⁸¹ D'après Damlooji, *op. cit.*, p. 146-150.

استناداً الى الدمولوجي، فيمايلي جميع مؤشرات التأثر الذي استشفه اليزيديون من الزرادشتية عبر المانوية، قبل اعتناقهم الاسلام: الايمان بوجود الهين، اله الخير واله الشر، الايمان بالتناسخ، عبادة النار (وانها لا توجد في مكان معين وانما هي الضياء في

تخلّى عن الاضحيات الدينية الدموية، فقد ابقى على اضحية النار، رمز العدالة والصراع ضد قوى الشر^{٨٢} كما ان مبدأ الخير والشر يحكمان العالم في الواقع، كما ان كل انسان يجب ان يختار بين النور والظلام، بين

كل مكان)؛ باللجوء الى اهل التقوى والبر من الناس، وذلك عبر التمني، او المنح على شرف الاحياء والاموات على السواء، عبادة الشمس، تقديم الاضحيات والقصائد على شرف الموتى. وان نظرة تتسم بالاهتمام سوف توضح للمتلقى كيف يجب ان ننظر لتلك التأثيرات.

⁸² تعتبر عبادة النار من الصفات المميزة لدين الزرادشت. ويجب ان نجد اثراً واضحة وغزيرة لتلك العبادة لدى اليزيديين. اذا ما كانوا فعلاً بقايا الزرادشتيين كما الفرسي مثلاً. ولا يوجد رحالة او اي مؤرخ قد تحدث عن تلك العبادة. ومن المثير للدهشة ان الكُرد عامة، يعترفون بان اجدادهم كانوا مجوساً ويعبدون النار:

(Cf. P. sykes, The caliph`s last heritage (London, 1915, p. 425).

وبعد "اكيزاروف Eguiazaroff" تأتي مدام "شانتر Chantre" في كتابها ارمينيا الروسية، باريس ١٨٩٣. وتقول في الصفحات ٢٥٨ ((الكُرد يحتفظون ببالح الاحترام والتقدير للمنزل العائلي ولشيوخهم. ان ذلك المنزل المكون من بعض الاحجار له هذه القدسية، هو والنار التي تشتعل داخله والتي يعتبرونها عنصراً نقياً. واخفاء ذلك يعتبر اهانة مميتة. وترى الكُرد يقيم بيته. ويدورون بالمولود الجديد في ارجائه، كما ان الفتاة التي تتزوج الام ابنها، انها تذهب ان تتركه للحاق بزوجها. وهل تُزوج الام ابنها؟ انها تذهب بنفسها لتهيئ منزل المتزوجين الجدد مع بعض النار التي تأتي بها من منزل الاسرة. كما انهم لا يحبون ان يقتضوا النار من الجيران فذلك يعتبر فحلاً سيئاً. انهم يحفظون البيت خلال فصل الربيع كله حتى تضع الاغنام وليدها. ونجد لدى جميع القزلباش الكُرد في اسيا الصغرى الذين لا يريدون ولا يريدون ان يكون لهم اي شئ مشترك مع عبدة النار، انظر:

(Cf. Hasluck, *Christianity and Islam under the sultans*, 2vol., Oxford, 1929, I, p. 150).

وهكذا اذن، اذا كانت هذه الممارسات، التي ليست عبادة للنار، بالمعنى المعروف، والتي يقوم بها اليزيديون، فانها ليست لانهم يزيدون وانما يميز ذلك مظهراً خاصاً لدينهم، وانما لانهم ببساطة كُرد.

الخير والشر، بين اهورامزدا و اهريمن. ولكن اليزيديين لا ينظرون بهذه الطريقة لعقيدة الملك الطاوس.

يرى "بادجر Badger" ان كلمة اليزيديين مشتقة من المفردة "يزيد" او "يزدان"، وهي لقب من القاب الاله الاكبر لدى قدماء الفرس. ويقول آخرون انها صفة مشتقة من اسم مدينة "يزدم"، مدينة فارسية يقام فيها طقس عبادة النار. ويضيف "بادجر" ان قديسهم الاكبر الشيخ عدي، يندمج في "يزد" وان اسمه "عدي" تصغير للكلمة العبرية "Adonai" والتي تعني بدورها "الاله". انها لفتة لغوية طريفة، اذا ما كان الامر كذلك. ولكن يبدو لي ان بادجر قد تخيل سياقاً خاصاً جمع كل ماسبق مما ساعده على تقديم كل ما عرفه عن اليزيديين دون الاخذ بنظر الاعتبار التناقضات والحقائق الواضحة. وكان الاثاري "لايارد Layard" قد اكتشف في حفرياته في نمرود على قطعة من الرخام، وقدم له رسماً تخطيطياً مضيئاً اليه كلمة (العصافير المقدسة)؛ وهي رمز يعود الى الديانات البابلية والاشورية. وكانت تلك الاشكال شكلاً من اشكال الشيطان التي تؤثر بشكل خاص على الانسانية، مما يشبه جوهر النظام الزرادشتي)). واستنتج بادجر في الحال من كل ذلك وهو يستند الى ذلك النص قائلاً: ((لا يوجد أدنى شك ان الملك الطاوس هو في جوهره تلك الروح الحارسة للزرادشتية)) (المختارات، استشهاد، ص ١٢٧). وازداد قائلاً: ((وانني اعتقد انه من المحتمل تماماً استخدام ذلك التصور لاهداف التنبؤ والتكهن في التجمعات اليزيدية السرية اليوم)). انني اعتقد ان تعبير "ادنى شك" قاله فعلاً في عجلة.

ويجب اليزيديون اضاءة الاضرحة واماكن الحج بالكثير من المصابيح، وهو عمل يُعتبر من ذكريات النار. ولكنني اقول ان واقع الحال لا يؤيد ذلك الادعاء تأييداً حاسماً⁸³

ويطلق اليزيديون على انفسهم اسم "داسني"؛ ويسميهم مسيحيو ضواحي الموصل المتحدثين بالسورانية "دسناية" وهم يعنون اليزيديين عادة. على اي حال؛ تعترف الشرفنامه (١٥٩٦) بدورها باهمية تلك الطائفة اليزيدية. وهي من اهم كتب التأريخ الكردي. وتعني المفردة "داسني"

⁸³ تعتبر عبادة النار من الصفات المميزة لدين الزرادشت. ويجب ان نجد اثراً واضحة وغزيرة لتلك العبادة لدى اليزيديين. اذا ما كانوا فعلاً بقايا الزرادشتيين كما الفرس مثلاً. ولا يوجد رحالة او اي مؤرخ قد تحدث عن تلك العبادة. ومن المثير للدهشة ان الكرد عامة، يعترفون بان اجدادهم كانوا مجوساً ويعبدون النار:

(Cf. P. sykes, *The caliph's last heritage* (London, 1915, p. 425).
وبعد "اكيزاروف Eguiazaroff" تأتي مدام "شانتر Chantre" في كتابها ارمينيا الروسية، باريس ١٨٩٣. وتقول في الصفحات ٢٥٨ ((الكرد يحتفظون ببالح الاحترام والتقدير للمنزل العائلي ولشيوخهم. ان ذلك المنزل المكون من بعض الاحجار له هذه القدسية، هو والنار التي تشتعل داخله والتي يعتبرونها عنصراً نقياً. واخفاء ذلك يعتبر اهانة مميتة. وترى الكردي يقسم بيته. ويدورون بالمولود الجديد في ارجائه، كما ان الفتاة التي تتزوج الام ابنها، انها تذهب ان تتركه للحاق بزوجها. وهل تُزوج الام ابنها؟ انها تذهب بنفسها لتهيئ منزل المتزوجين الجدد مع بعض النار التي تأتي بها من منزل الاسرة. كما انهم لا يحبون ان يقتضوا النار من الجيران فذلك يعتبر فحلاً سيئاً. انهم يحفظون البيت خلال فصل الربيع كله حتى تضع الاغنام وليدها. ونجد لدى جميع القزلباش الكرد في اسيا الصغرى الذين لا يجدون ولا يريدون ان يكون لهم اي شئ مشترك مع عبدة النار، انظر:

(Cf. Hasluck, *Christianity and Islam under the sultans*, 2vol., Oxford, 1929, I, p. 150).

وهكذا اذن، اذا كانت هذه الممارسات، التي ليست عبادة للنار، بالمعنى المعروف، والتي يقوم بها اليزيديون، فانها ليست لانهم يزيدون وانما يميز ذلك مظهراً خاصاً لدينهم، وانما لانهم ببساطة كرد.

وببساطة من يسكن مدينة "داسن" في منطقة الهكاري وحيث تعيش الطائفة تحديداً. كما ان تكوين تلك المفردة اشتقاق نظامي. ويعتقد بعض العلماء ان تكوين تلك المفردة بسيط جداً⁸⁴؛ ولاعتقادهم بان اليزيديين مانويون فاشتقاق تلك التسمية من "بارديزان Bardesane" يدعو للسخرية فقد ولد بارديزان هذا الهرطقي السيرياني (١٥٤-٢٢٢) في مدينة اديسة (اورفا) على شواطئ نهر دايزان، واليه يعود اسمه. اما والداه فقد كانا دائماً من سكان اربيل. وطور مريدوه نظرياته في خط الثنائية المانوية، ولكن القديس "افريم Ephrem" (٣٧٩م) قاومها وحاربها. وظلت تلك النظريات مع ذلك في بلاد ما بين النهرين في القرنين السابع والثامن الميلاديين اعتماداً على ما اورده "جاك Jacques" من اديسة وجورج العربي. في حين يقول المسعودي انها ظلت في القرن العاشر. ويبدو ان الاب لامانس قد استفاد من ذلك الجدل فيما يخص اليزيديين في جبل سمعان، طالما انه اعتقد انهم السلالة المباشرة لجماعة "البلسيين Pauliciens" كما كان يُسمى مانويو سوريا. وقد هاجمهم القديس "جان داماسين Jean Damascene" (٧٤٩+) في عدة مقالات⁸⁵.

واعتقد "الاب لامانس P. Lammens" في نفس الفترة ان اليزيديين من سكان جبل سمعان الاصليين، في حين انهم جاءوا للاقامة في ذلك الجبل قبل القرن الثالث عشر⁸⁶ من جهة اخرى، من الغريب حقيقة الا يتساءل المستشرق الشهير لماذا يتحدث هؤلاء السكان الاصليون بالكرديّة في منطقة بعيدة كل هذا البعد عن كردستان! لهذا اعتقد ان شروحاته لاتحمل قيمة في ذاتها الا في حالة عدم وجود ما يُماثلها. ويعتقد "أ. نياندر A. Neander" من جانبه ان القول بتداخل شخصية عدي الاله الاكبر،

⁸⁴ Ainsî Chwolson, *op. cit.*, p. 812; A. Mingana, *Devil-worshippers*, *op. cit.*, p. 512.

⁸⁵ Lammens, *Relations d'Orient*, p. 169.

⁸⁶ L. Lescot, *op. cit.*, p. 231.

ومحاولات تقريب اليزيدية من المانوية لا اساس له^{٨٧}. واذاف، ان عبادة الشمس تبدو بالتاكيد واحدة من الصفات المميزة لليزيديين، ولكن ليس صحيحاً ان نرى فيها تأثير المانوية بالضرورة. ان التأثير على الاكثر جاء من الفريسيّة* التي اثرت في طوائف اخرى مقدماً "الصديقيين"^{**} مثلاً على ذلك التأثير^{٨٨}.

٣. الوثنية الكُردية الاصلية:

الى جانب عبادة النجوم وقوى الطبيعة، كان القدماء في جميع انحاء العالم تقريباً، يتصورون وجود ارواح خيرة واخرى شريرة، تسكن بعض ينابيع المياه وبعض الاشجار مما جعلها مع الوقت من المقدسات. وشاطر الكُرد بدورهم تلك الممارسات الوثنية العالمية والتي هاجمتها وحاربتها المسيحية. وفي القرن الثالث الميلادي، استطاع القديس "مار ماري اورفا" (٢٢٦م)، في شهر كرت الواقعة بين داقوق واربيل، اقناع الملك وشعبه الذين كانوا يقدسون الاشجار ويقدمون القرابين لها في صورة نحاس بترك دينهم^{٨٩}. مازال التقديس البدائي للطبيعة موجوداً في كردستان^{٩٠} لدى الزازا^{٩١} كما عند اليزيديين وغيرهم من شعوب اسيا القديمة^{٩٢}، وقد استغلها السيد "ن. ج. مار N. G. Mar" الاكاديمي السوفيتي ووجدها فرصة للدفاع عن نظريته

⁸⁷ A. Neander, *Ueber die Elemente aus denen die lehren der Jeziden hervorgegangen zu sein scheinen* (Berlin, 1850).

* الفريسية، عقيدة الفريسيين احدى الطوائف اليهودية. [المتجمة]

** الصديقيين، طائفة يهودية. [المتجمة]

⁸⁸ Cite` dans Nikitine, *op. cit.*, 231.

⁸⁹ Cf. Minorsky, art. "Kurdes de l'E. I.

⁹⁰ Driver, *The religion of the Kurds*, dans B.S.O.S., 1922, p. 197-215; Wioram, *op. cit.*, 100, 127, n. 1, 205. Memes coutumes chez les Bakhtyaris. Cf. Bishop, *Journeys in Persia*, London, 1891). 11, p. 101.

⁹¹ Temple, *op. cit.*, p. 174.

⁹² Hasluck, *op. cit.*, p. 175-179; 238-239 et passim.

الاصلية حول اليزيديين والتي اطلقها في السنوات ١٩١١. وتعارض النظرية جميع الثوابت التي انتشرت في ذلك الميدان آنذاك. وظلت تلك النظرية مجهولة ولم يتناولها من يهتمون بتلك المشكلة. ولكن "ب. نيكيتين B. Nikitine" عرضها علينا في كتابه الملى بالمعلومات الثرية عن الكُرد^{٩٣}.

ويتخلص الموضوع في ان اليزيدية عقيدة كُردية خالصة، وكانت موجودة قبل ان يعتنق ذلك الشعب الاسلام، ص ٢٣٥. كما ان السيد "مار Mar" باختصار يخلط وبامتياز اليزيدية بالكُردية. ويبدو ذلك مخاطرة لاول وهلة. ولكي يدافع الكاتب عن موضوعيته تلك، سنراه يستخدم الجدل اللغوي والديني والاتني. ويمكننا ان نلخص جدله في اربع نقاط كمايلي: الاول: كان للدين البدائي الكُردى تأثيره على الهرطقات المسيحية التي ظهرت في الاواسط الارمينية، كما "الاشويت" * و "البوليسين" **، وكذلك على بعض الطوائف المنشقة عن الاسلام وعلى وجه الخصوص "الدراويش" مثلاً. ثانياً، تتطابق كلمة "چلبى" مع كلمة "اليزيدي" وهي مأخوذة عن الكُرد وعن الاتراك في القرن الخامس عشر. ويقول الكاتب: ((وفي الحقيقة، اذا ماكانت المفردة "چلب" تعني الاله"، وهي من اصل "يافتي")، بالاحرى يافتي جنوبي. واذا ما كانت الصفة المشتقة منها "چلبى" تعني ليس فقط "الالهي" بل تعني كذلك المحبوب، النبيل، السيد، سيد (صاحب) البيت، الموسيقار، المغني،

⁹³ T. Menzel, art. Yazidi dans *E. I.*,
(ان المفهوم الخاطى القائل بانهم يعبدون الشمس، يعود الى حقيقة ان الاله المطلق (ملك الطاووس) يعتبر سيد القمر والظلمات، وكذلك سيد الشمس والضوء). col. 1230.
* الاوسيت: طائفة مسيحية ارمنية. [الترجمة]
** البوليسن: طائفة مسيحية ارمنية. [الترجمة]
* "يافت" ابن آدم و "يافتي" صفة مشتقة منهع واحفاده الجنس الاربي، الهندو-اوروبي، وكانوا يعيشون في هضاب آسيا الغربية في العصور التاريخية. [الترجمة]

الشاعر ثم المثقف، المتعلم، المحتضر، النبيل، الشريف، المهذب، واخيراً السيد الصغير؛ فمن الواضح اذن ودون الاستعانة بالبراهين واننا نجد في هذه الكلمة بقاء جزء كبير من تأريخ ذلك الشعب الذي خلقها. وذلك الشعب هو الشعب الكردي.

ثالثاً، لغة الكرد البدائية لم تكن اللغة التي يتحدثون بها اليوم. رابعاً، واخيراً، فان الكرد ليسوا مطلقاً هندو- اوربيين، وانما هم من سلالة "يافت"، اي "يافتيون".

ويقدم كل ذلك الجدل مشاكل اكثر مما يتوصل الى حلول. لان تسلسل تلك الاراء في الواقع والتي يساند احدها الاخر ليست سوى فرضيات يجب لها ان تستند على حقائق معينة. واذا بالعكس هو الذي يحدث، لان الاحداث التي تحققت حسب الاصول تتعارض وتلك الفرضيات.

والاطروحة بحد ذاتها وبالتحديد هي موضوع التساؤل وعبادة الشمس والقمر اساس المشكلة. ويقول "منزل Menzel"⁹⁴ ان تأويلاً خاطئاً الصق ذلك كله باليزيديين، وقال غيره كذلك كما اوضحنا اعلاه.

ويحيط الشك بالتاريخ اللغوي للمفردة چلبى، التي يستعمل في اللغة الكردية الجديدة، بمعنى الجميل والموسيقار المتجول والتي تعتبر كذلك لقباً رسمياً لرئيس طائفة البكتاشيين الاعلى⁹⁵. ويستند التاريخ اللغوي لها والذي اختاره مار من بين تواريخ اخرى، يستند بدوره على فرضيات اخرى:

⁹⁴ Bartholed, art. *Celebi* dans E. I.

⁹⁵ لنتذكر ان "مار" يلصق كلمة الكردي بالكلمة الارمنية التي تعني الاغا او طواشي. فهل صادف في حياته كردياً حقيقياً لكي يجزؤ على مثل ذلك القول؟ وهو حر الان في التأكيد على تميز الاغاني الشعبية الكردية ويعزو ذلك الى حقيقة انها تراث وتني في عاداتهم الرئيسية وطموحاتهم؟ متغاضياً عن انها تعود الى فضائل واخلق الفرسان لدى هذا الشعب كما يؤكد على ذلك جميع الرحالة والعلماء الباحثون. الا يجب هنا ايضاً اعتبار ان ما يعرضونه مشكلة مفروضة ان هي الا نتيجة مكتسبة؟

مثلاً، انه كانت هناك قبيلة كُردية تحمل ذلك الاسم ومن ثم، اصبح مع الوقت اسم يُطلق على الامة كلها. ومع ذلك، فان الشرفنامه التي عرضت لنا تأريخ القبائل الكُردية واصولها، وتقدم منها ما كان يزيدياً قبل ذلك العصر او مابعده، ولا تذكر مطلقاً تلك المفردة "جلبي".

ومن جهة اخرى، لا يوجد حدث مُحدد يسمح بالتأكيد على ان الكُرد قد غيروا لغتهم. ومع ذلك وعلى حد قول المسعودي، ربما تكلم الكُرد العربية في البداية. ولكننا لانرى كيف ان مثل تلك النظرية قد تخدم فرضية مار بل على العكس.

وواقع الامر يقول، اذا لم يكن الكُرد هندو- اوروبيين، رغم انهم يتحدثون لغة هندو- اوروبية، يتوجب الامر اذن تقديم الدليل على انهم كانوا يتحدثون باللغة اليافتيية". ولم يقم احد بذلك مطلقاً. حينئذ، كيف نتمكن من البحث عن اساس تستند عليه يافتيية" الكُرد ؟

وباختصار، تبدو لي تلك الطريقة التي تعتمد اللغة لمعرفة تأريخ الانسان عبر العصور الجيولوجية والتي اعتمدها "مار" تبدو مثيرة للخيال اكثر من مشكوك فيه. وهكذا، ورغم ذلك التصعيد المتواصل للجدل الفاقد لقوة الاقناع، لن نتمكن من القول بان اليزيدية هي في الاساس الوثنية الكُردية الاصلية القديمة.

٤. الاصول المسيحية المزعومة:

من حقائق اليوم، تعيش بعض الجماعات اليزيدية والتي استطاعت البقاء، في المناطق الجبلية؛ في جبل شيخان حيث مركزهم الديني، وعلى وجه الخصوص سنجار وجبل سمعان. ولا يدور حديثي هنا عن اليزيديين في جبال القوقاز، والذين يبدو انهم قد فقدوا صلاتهم باخوانهم في الدين في المناطق الاخرى وبل شهدت بدايات القرن التاسع عشر، كتاباً ارمينيين من امثال: "تشامتشيان Tchamtchian" و "ابو فيان Abovian"، وكانا يعتبران

اليزيديين هراطقة انفصلوا قديماً عن الكنيسة الارمنية⁹⁶. ومن جهة اخرى، كانت جبال شيخان، سنجار وجبل سمعان قديماً مراكز معروفة ازدهرت فيها حياة الديرية المسيحية. وفي الشيخان، بلا "دازن" كما يسمونها اليوم كذلك، انتشرت وكثرت الديرية النسطورية المزدهرة كما يورد ذلك "توماس دو مارغا Thomas de Marga" (٨٤٠) ويمكننا ان نذكر دونما شك وجود عدة اديرة كانت قائمة في تلك المنطقة: "دير مار انانيشو Mar Ananicho" فوق "هيتارا Hetara"، "دير مار اينالاهما Mar Ithalaha" في "لالش Lalesh"، "دير هبهيشا السعيد Le bienheureux Hebhisha" في "هنيس Hnes"، "دير مار آدای Mar Addai" المعلق، "دير ريشا Recha" وغيرها كثير. وقد اسس الموسيقار "رابان باباي Rabban Babai" اربعاً وثلاثين مدرسة حوالي (٧٥٠م)، من بينها تلك الموجودة في (هيتارا)، (هنيس)، و(بيت آدري) (باعذرة حيث عُقد المجمع الكنسي النسطوري عام ٨٤٥م)، وهي قرية تُسمى اليوم (باعذرة Ba`adre) وحيث يقيم كبير امراء اليزيديين. وعلى اي حال، فأن اسماء الاماكن جميعها كلدانية⁹⁷.

وفي سنجار، حيث كان يقيم مطران نسطوري فيما مضى، كان يقيم بالمثل ومنذ (٦٣٠م) قساوسة يعاقبة يتبعون بطريركية* تكريت. وكانت لهم اديرة عديدة مزدهرة كذلك من بينها اديرة (بار تورا Bar Toura)، و(مار آرون Mar Aaron)، و(مار بيتيون Mar Pe`thion)، و(باروثا Baroutha)،... الخ.

⁹⁶ Nikitine, *op. cit.*, p. 230.

⁹⁷ Sur les couvents anciens de la region l'ouvrage fondamental est eridemment *le livre des Superieurs* de Thomas De Marga, ed. Budge, *The book of Governors* (2 vol., London, 1893). - Sur les couvents cites ci-dessus, *ibid.*, 11., p. 574-577. - Le P. Fiey, dans un article de *proche Orient chretien*, IX, 1959, p. 79-108, intitule "A la Recherche des anciens monasteres du Nord de l'Iraq", a releve le nom d'au moins 58 couvents. - Sur les, lieux-dits, vestiges d'anciens couvents dans la region, cf. Damalooji, *op. cit.*, p. 168, n. I.

* البطريركية، تابعة للكنيسة المسيحية الشرقية.

وما زالت تحتفظ بذكرى كل تلك الاطلال الباقية مثل اطلال (دير العاصي Deir Assy) و(دير الزلازل Deir el-Azlazil)⁹⁸.

وتغطي جبل سمعان اطلال كبيرة مثيرة للاهتمام، تعود للفترة اليونانية المسيحية، وتجعل منها مشهداً فريداً⁹⁹. واختفت تلك الديرية في جميع المناطق، واما قد اصبحت مهجورة او تحولت فيما عدا معبد الشيخ عدي (آدي) في شيخان.

كان قد تم تشييد ذلك المعبد في وادي (لالش) الضيق على حافة الجبال المغطاة باشجار السرو المقدسة، ويبدو المعبد متميزاً وسط كل تلك الخُصرة ويقودنا الى المعبد ممر مُسقِف متهدم نوعاً؛ ومن ثم نقطع سيرا على الاقدام ثلاث ساحات للتوضؤ لكي ندخل الى المعبد نفسه والذي يحمل مظهر الكنائس النسطورية القديمة. وفي داخل المعبد ثلاث باحات تشبه صحون الكنائس القديمة وتحوي يُسراها رفات ومقبرة الشيخ عدي. وقبل الدخول يتوجب نزع الاحذية ليس فقط داخل المعبد فهم يعتبرون اليزيدي كافراً اذا لم ينزع الحذاء ويسير حافي القدمين حال رؤيته للمعبد من الجبل. على الارجح نجد انفسنا في حضرة دير نسطوري. فالى جانب نظام الابنية واتجاهها، يؤيد موقع البناء في هذا المكان المنعزل وجود مثل تلك الاصول. ومع ذلك، تتفق جميع التقاليد المسيحية حول تلك النقطة. ولا تختلف الا في حال توصيف هذا النذير المختفي او ذاك. وفي رسالة الى احد القسس، اورد "الحبر راميشو Rabban Ramicho"، كاتب نسطوري من دير (بيت آفي Beit Awe) ذكرنا، اسمه سابقاً، يقول انه في عام ١٤٥١، واستناداً على وثائق قديمة، كيف ان كُردياً يدعى "عدي" قد نهب دير (يوحنا) الشهير؛ و دير (ايشوع صابران). على اي حال لايعتبر ذلك الامر شيئاً مستحيلاً او غير

⁹⁸ V. Cuinet, *La Turquie d'Asie* (Paris, 1891), II., P. 841.-Par ailleurs sa *Notice sur les Ye`zidis*, *ibid*, II p. 772-778 est pratiquement sans valeur.

⁹⁹ Lammens, *Le Massif du Gebal sim`an*, p. 369.

عادي¹⁰⁰. بل انه كان عملاً مألوفاً حينذاك، وحيث تتكرر غارات القبائل

¹⁰⁰ يمكننا ان نصدق ما امكنا ان نعرفه من رسالة الحبر راميشو التي تقول: ((ان دير مار يوحنا وايشوع صبران اصبح في الواقع معبداً للشيخ عدي (او احد حلفاءه) لكي يستقر فيه. وما كان ذلك ليتطلب العنف بالضرورة والا تهدم الدير ويهجرونه آنذاك. وكنت مازلت لم ابدأ بحثي، فقد كنت في حالة التأثر والانطباع الى ان وصلتني رسالة زميلي "ج. م. فيي J. M. Fiey

"O. P., *Jean de Dailan et l'imbroglio de ses fondations*, dans R.O.C., X (1960) p. 195-211".

ووجدت في الصفحات (٢٠٥-٢٠٩) فقرة طويلة حول المعبد اليزيدي للشيخ عدي. واذا اردنا الدقة فقد حذرنا الكاتب من النص الذي اورده الحبر "راميشو". وكنت قد قلت سابقاً في الحاشية (٢٧) وجهة نظري تجاهه. ولكنني لم اتفق مع تساؤل "ر. ب. عما اذا كان اليزيديون هم فرقة اسلامية في واقع الحال؟))، ص٢٠٨. (وانني اعتقد ان بحثي هذا سوف يقنعه) ولكنه عندما استبعد واهمل ((كون جدية البراهين التي وصلتنا لحد الآن، حول هوية معبد الشيخ عدي هما دير (جان دويلم Jean de Dailam) او اي دير آخر))، ص٢٠٩. وان لم يتعلق الامر (بدير جان دوريلم)، فكل شئ جائز. وليس ذلك ما يهيم هنا، فمن الصعب القبول بان الامر لا يتعلق بأي دير. ففي الواقع، من يتأمل المعمار سيرى الساحة الخزان، وهناك صحنان: الصحن العلوي يعلو بثلاث درجات. المعبدان الجانبيان يقعان الى يسار حيث نتعرف على المذابح والمحراب الجانبيان يقعان الى اليسار حيث نتعرف على المذابح والمحراب ومخزن الزيت وهو معمار لا يختلف عن تخطيط اية كنيسة مسيحية قديمة، وكما وصفها الموقر نفسه في كتاب (الموصل المسيحية)، في الصفحات (٧٠، ٨٠، ٨٢).

اما استناد ما يورده "بادجر Badger" لمعارضه ذلك تبدو لي دونما ادلة. فاذا ما كان في الواقع مختصاً، اذا ما كان فعلاً، بشؤون النسطوريين وطقوسهم، سيكون لسوء الحظ قد جانبه الصواب فيما يخص اليزيديين فأراؤة تحمل اخطاء كثيرة فيما يخص اليزيديين وعلى وجه الخصوص تلك الفترة التي يتناول "عبادة الشمس تعتبر عاملاً كافياً لتوضيح التوجه الشرق-غربي"، ص٢٠٧. وآمل ان تكون الصفحات السابقة قد اعادت الحق لنصابه بخصوص هذه العبادة المزعومة للشمس. وسوف يُقر الاب الموقر عن ((وظيفة متشعبة وشخصية في وادي لالش السعيد))، ص٢٠٩؛ الى جانب انه يذكر قبراً لـ"مارحنا". ويضيف الامير اسماعيل بك الى ذلك بعض الاسماء المسيحية:

السلابة على العديد من الاديرة ويتم نهبها، ثم يتخالص الطرفان وتعود الحياة اليها مرة اخرى بعد العذاب. ويكفيينا لكي نصدق ذلك، ان نقرأ ما كتب عام ١١٨٦، عن حياة القس "يوسف بوسنايا Joseph Bousna" (المتوفي عام ٩٧٩). وهو من قرية (بوزاي Bozai) الواقعة على بعد مسيرة ساعات في الطريق بين القوش و باعذرة^{١٠١}، في المنطقة بالتحديد التي اصبحت مركزاً دينياً للطائفة^{١٠٢}.

اندريسي (اندرية) خياط، والحبر خوشابا (الاحد او دومينيك في اللغة الكلدانية)، ومار جرجيس، واسم ايسيبيا (اوزيبيا؟). وتظهر نفس تلك الاسماء في قائمة الديمولوجي (المقتطفات، ص ١٨٤-١٨٥). كما ان المؤقر ويكرام (الحاشية P.49 Cradle) والتابع دونما شك للسيد بادجر يعتقد كذلك انه من المستبعد جداً ان يكون معبد الشيخ عدي كنيسة قديمة لكنه لايقدم لنا الاسباب. وعلى العكس فهو يقدم خريطة (ص ٩٥) ويقول (ص ٩٧)، ان مثل تلك الخريطة متبعة غالباً في تشييد الكنائس المسيحية القديمة في الشرق بل ويقر ان من شيد ذلك البناء هم البنائون المسيحيون (نفس المصدر). ويختم رأيه بقوله: ((ان اكثر ما يمكن قبوله من كل ماسبق هو انه ربما عاش فيه لفترة من الوقت، بعض القساوسة المسيحيين، في عصر الامبراطورية الرومانية؛ وان ذلك المكان كان مقدساً منذ زمن حتى قبل مجئ المسيحيين واليزيديين)) ص ٩٤، (الحاشية). ((وليفهم من يقدر ذلك الدوران هو القدر!))؛ يعني وليفهم من يستطيع شيئاً من الفصل الخامس الذي خصصه ويكرام لليزيديين (الصفحات ٨٧-١١٠)، يحوي الكثير من عدم الدقة الفاضح مما يدفعنا الى التردد في مجارته حول تلك النقطة بل وحول غيرها من النقاط كذلك. ولكن اختم حديثي هذا سأوجه سؤالاً بسيطاً واضحاً الى علماء الآثار لمعرفة اذا ما كانوا قد رأوا غالباً في جبال كردستان الكثير من المنشآت المعروفة بكونها مساجد او تكيات مسلمة منذ البداية والتي يمكن ان تقع كما معبد الشيخ عدي في قلب الوادي المشابه لوادي اللش او ان تكون الانشاءات لها نفس الاتجاه والترتيب والتنظيم الداخلي؛ بالطبع، وستكون حالة الشيخ عدي واحدة بين اخريات: والا، فيمكن فقط ان يكون مجرد كنيسة مسيحية قديمة!

¹⁰¹ "حياة الحبر" يوسف بو سنايا" (٩٧٩ +)؛ كتاب الفه "جان بار- كلدون Jean Bar Kaldoun"، عام ١١٨٦. وقام بنشره وترجمته السيد "ج. ب. شابو J. B.

وبالمثل في سنجار، استخدم اليزيديون الاديرة القديمة معابد لهم. والى جانب غيرها من الاشارات يمكننا التعرف عليها من النقوش السريانية التي مازالت موجودة على الابواب والجدران والتي حاول اليزيديون ازلتها. بل ونعرف ايضاً ان اليزيديين قد حافظوا بعناية على المخطوطات والكتب الكلدانية والسريانية القديمة، والتي جاءت من مكتبات تلك الاديرة المسيحية القديمة^{١٠٣}.

Chabot "باريس، ١٨٩٦). ومن بين اتباع الشيخ عدي، شيخ يدعى "قائد البوزي Lescot, op. cit., p. 232. الا يمكن ان يكون بدوره من تلك القرية نفسها؟.

¹⁰² قام القس "تفنكجي L' abbe` Tfinkdji" بترجمة النصوص الكلدانية التي نشرها "Nau" مع بعض التعليقات، ومضيفاً حاشية ظلت مخطوطة فقط، يقول فيها ان قرى شيخان التي هي اليوم قرى يزيديية، تحمل اسماء كلدانية: (باعذرة= مكان للجوء)، (بعشيقه= مكان للحزاني)، (باهراني=منزل الاشباح)، وكذلك بالنسبة لقرى سنجار، (جابارا= تعني البطل باللغة الكلدانية)، (تبه، وتعني الشاطئ.. الخ). ثم تراه يستنتج بساذجة بان اليزيديين كانوا من اصول اثورية- كلدانية، بالمعنى الحديث للكلمة، لانهم يعنون هكذا النسطوريين اليوم.

¹⁰³ يقول الاب انستانس في مجلة المشرق ١٨٩٩، ص ٣٩٧، ان مسيحيين شهدوا له بانهم رأوا نقوشاً تشير الى اسم مؤسس صومعة "الشيخ عدي" وكذلك البطريرق الذي كان موجوداً آنذاك في تلك الفترة. ولكن اليزيديين قاموا بازلتها ودفنوها في مدخل الصومعة مخافة ان يعود المسيحيون النسطوريون ويطالبوا بالكنيسة.

وفي عام ١٩٣٣ اكد لي قس كلداني من القوش "شيحة يوسف عبايا" بانه قديماً شاهد نقوشاً ولكن، هل يمكننا الوثوق بتلك الشهادات؟ كما ان الموروث من الكتب ليس اكثر حيوية منها: يقول ويكرام Wigram"، مثلاً في كتاب:

(The Cradle of Mankind, p. 154, no. I, note)

حيث يقول: ((ان قساً سورياً قد اكد له انه رأى بين الكتب كتاب "الاعمال الكاملة لـ"ديوسكور Les ouvrages de Dioscore"، كما ان هناك قساً كلدانياً "كاشا ابلحد Cacha Ablahad" عقب ان قام بترجمة كتاب "كاشا اسحق Cacha Ishaq"،

ولكن، يتم احياناً تأويل الحقائق الدامغة بشكل مبسط. فلان اليزيديين يقيمون اليوم في اديرة قديمة، استنتجوا وباستخفاف ان الطائفة قد بدأت بقساوسة نسطوريين، خدعهم الشيطان في غياب رئيسهم القوي الذي سافر للحج في اورشليم^{١٠٤}. ويقولون ان الشيخ عدي ليس سوى اسطورة وانه احتل مكانة مار عداي رئيس الدير الذي تحول عن المسيحية. بل وفي نظرهم كذلك، فان اليزيديين في سنجارهم السلالة المباشرة لطائفة اليعاقبة الذين هجرهم البطريق في القرن السابع عشر ولم يعد لديهم قساوسة او معارف دينية فانساقوا بسهولة الى عقائد جديدة قدمها لهم. يزيديون^{١٠٥} ولم تستطع تلك الاستنتاجات ان تفرض نفسها. فكم من الكنائس قد تحولت الى مساجد، ولكن لا يمكن الجزم نتيجة لذلك ان اتباعها، او المستخدمين لها لم يتغيروا البتة. يوجد هنا هامش لذلك. ولكن بعد ان تم اعتماد مبدأ ذلك التحول الرئيس من قبل البعض فانهم يعملون جاهدين على التعرف في بعض الممارسات اليزيدية، لبقايا طقوس مسيحية قديمة. ولهذا استعادوا تقديس المسيح والعدراء مريم^{١٠٦}. مثلاً:

قال له شيخ صديق "قروض الكهنوت"، وكتب للصلوات الصباحية والتراتيل الكنسية، واناجيل... الخ.

¹⁰⁴ يوجد ذلك عدة نسخ من تلك المغامرة،

(v.g. Ismail Beg, *op. cit.* p. 107-108; fr. Benham, dans Che`bli, *op. cit.*, P. 544-545; I. Joseph, *Devil worship*, p. 96-103.

¹⁰⁵ لقد ذكرت تلك القصة مشوشة بواسطة الاب كامبانييل:

Cette histoire signalée avec confusion par le p. Campanile, *op. cit.*, p. 146, a e`te` reprise par H. Pognon, qui en a publié dans ROC, 1915-1917, p. 327-329, La traduction d`un texte syriaque.

¹⁰⁶ وكما يقوم كل شاعر يحترم نفسه، ويذكر في اغنياته كلمات عن حضور وفضائل مستمعيه كي يحصل على اهتمامهم ورضاهم، سنرى ان اليزيدي اذا خاطب مسيحياً مصغياً ومتعاطفاً، لن يتردد في ذكر اسماء المسيح ومريم وكذلك الشيخ حسن مثلاً ويقول:

المسيح العزيز، من هو؟

لا اب ولا ام له

قد جاء من نور الله!

ولا يتعدى اعترافهم بالمسيح، اعتراف القرآن به، فقد عظم القرآن قدر المسيح وقدر والدته، مريم. ومع ذلك لا يختلف مسيح اليزيديين عن مسيح الاسلام، وانه ليس ابن الاله، ولا المنقذ، بل انه مسيح نتيجة ذلك طالما ان الله لم يتوفاه فوق الصليب^{١٠٧}.

وشبه البعض كذلك التعميد المسيحي بتطهير الاطفال وغمسهم بماء زمزم^{١٠٨}، ويقارنون الاعتراف للقس بالاعتراف للشيخ الاكبر من قبل المذنبين. وحتى في اجتماع التناول نفسه، شبه احتفال حيث يقوم رئيس الاجتماع اثناء الطعام برفع كأس ملى بالنيبذ ويقول ما ترجمته ما هذا؟ انه كأس المسيح. ان المسيح في داخله!" وبعد ان يرتشف النبيذ، يمرر

((لقد خلقت لنا السعادة والرضى؛ لقد خلقت لنا يسوع ومريم))، انظر: (cf. Nau,

Recueil, p. 26-27) أود ان اقول ان مثل تلك الاشارات التقية ليست بالضرورة صادقة.

¹⁰⁷ انظر بهذا الخصوص اسطورة يزيديية تثير الاهتمام كثيراً حول عملية الصلب

وتدخل الطاووس، وقد ذكرها "براون" في: (Browne, *op. cit.*, p. 364-365)

¹⁰⁸ حول قصة التعميد، وضعت الليدي "دراور Drower"، النقاط على الحروف

المختارات: Drower, *op. cit.*, p. 160. اليزيديون كما المسيحيون، يذهبون لحضور

الطقس مرة واحدة، ولكن العماد ليس بالشئ الحيوي من اجل الخلاص ولا ينظرون

اليه شرطاً لازماً للقبول في الطائفة. فقد يتطلب من الفرد القداسة، الطهارة، والنقاء

والمباركة. واذا ما منعت الظروف شخصاً من القدوم الى الشيخ عدي، يطبق نفس

الاجراء، ولن يقع تحت طائلة العقاب؛ اذ يمكن اجراء ذلك الطقس اثناء الحياة، ولكنه

واجب كل يزيدي ان يحاول اهله لزيارة الوادي المقدوس حيث يجري ذلك

الطقس..ويجب ان يُجرد الرضيع والطفل والشاب من جميع الملابس ثم يغمرونه تماماً

بالماء ثلاث مرات"، ولكن لا يوجد اي ذكر حول اعتراف او مشاركة او تبادل افكار.

الكأس على الحاضرين. ان هذا الطقس الاخير سيكون خاصاً لليزيديين في (خالتار Khaltar)، في الجوار من دياربكر. في حين ان الاخرين لم يسمعو به مطلقاً. لقد قدم لنا الاب انستاس جميع تلك التشبيحات والمقارنات التي لانجدها في اي مكان اخر. لهذا يوجد ما يدفعنا الى عدم الوثوق بذلك¹⁰⁹.

وزيادة على ذلك، فالى جانب اهمال وعدم الاهتمام بقواعد قوانين الصوتيات، تجرأوا بالقول ان الملاك طاووس هو طاووس ملك موضوع تقديس اليزيديين، لم يكن سوى الاله اليوناني الذي ورد اسمه في طقوس النسطوريين، وحافظ عليه بابليس، بل فضلاً عن ذلك يتحدثون عن عبدة للشيطان؟

(٣) المسارات غير مؤكدة في الطرق الاسلامية:

كل ما قيل حتى الان، يشير الى غموض اصول اليزيديين لاول وهلة. واذا ما كان اليزيديون قادرين على توضيح الامور لنا، لاستطعنا اللجوء لشروحاتهم. ولكن دينهم سر من الاسرار؛ ومن جهة اخرى، فان الكثيرين منهم غير متفهمين في الموضوع ولا يعرفون الا بشكل عام من هم ومن اين اتوا. فخدام الكنيسة او مؤجرة الكراسي ليسوا تماماً من يمكنهم ربما ان

¹⁰⁹ Damlooji, *op. cit.*, p. 138, no. 1.

حيث يقول ان اليزيديين لم يسمعو مطلقاً بالحديث عن "شراب مقدس". اما التحريم الذي يوجهه الامير الى المذنب، فان الكاتب نفسه، ص ٦٥، يرده الى اصل اسلامي وليس مسيحياً كما افترض ذلك الآخرون. وتراه يذكر مصدراً:

Le Coran, IX, 119, Cf. Gaudefroy-Demombynes, "*Mahomet*" (1957), p. 206-207.

وهناك قصة تُروى حول العفو العام عن خطأ خطير وعن العقاب، في المصدر:
A. Brunel, *Gulusar* (Paris, 1946), *Chez les Ye`sides, Adorateurs du Diable. Le Suicide de cheikh Gamo* (انتحار الشيخ جامو).

يعرضوا لنا اسرار الطقس المقدس. ومثلاً، فان اي كاثوليكي عادي لن يستطيع دون شك ان يقول لنا لماذا هذا الطقس او هذه الاحتفالية للمعتقد والتي يحضرها ويشارك فيها بكل ايمان وتقوى. وحتى الامير اسماعيل مثلاً، لن يكون دليلاً مؤكداً او شاهداً يمكن الوثوق به لانه لايتفادى التناقضات. وعلى العكس فان القادة الدينيين قد اعطوا اجابات شافية لم يفهمها جيداً ربما من يستمع اليهم او الى هؤلاء بشكل خاطئ. وحالة "بادجر Badger" بهذا الخصوص نموذجية¹¹⁰.

ومهما كان الوضع، فان اول مانقوم به عندما نتصل باليزيديين، هو ان نرى جيداً، ونستمع جيداً، وبعد ذلك لانتوقف عند تفصييلة رائعة بهذا الشكل او ذلك، وعلى الاخص الا نتسرع بالتعميم والمقارنة بما يحدث في الاديان الاخرى.

ثم ان حدثاً منعزلاً لايعني شيئاً. ويمكننا فقط ان نتوصل الى نتيجة عندما نجمع اكبر كم من العناصر مأخوذة في سياقها¹¹¹. وانطلاقاً من ذلك

¹¹⁰ يكفي هنا ذكر مثل بسيط جداً، في تشيد او ترتيلة الشيخ عدي وفي البيت ٥٨ (ولكن الدموجي في البيت ٥٢) نراه يقول: ((انا عدي، الدمشقي، المسافر). النص واضح وصريح ويؤكد ان اليزيديين يتداولون رواية ان الشيخ عدي الحربي، ابن المسافر من اصل سوري. ويترجم "بادجر" عن العربية مايلي: ((انا عدي الرمز، المتجول)). ويضع حاشية للصفحة (١١٤) تقول: ((الكلمة الاصلية هي الشامي والتي يظن اليزيديون الجهلة انها تعني الدمشقي. واستناداً الى ذلك يرددون ان عدي قد جاء من دمشق. وقد الهمتني تلك الفقرة ترجمة النص الذي اورده فيمايلي والمفروض انه ضمن السياق. في هذه الحالة الجاهل ليس الذي يفكر.

¹¹¹ نجد من كل دين تقريباً ممارسات طقوسية للعبادة تكاد تكون عالمية تقريباً: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة، دون ان نتحدث عن تأثير او تأثر. ولكن طريقة ممارسة تلك الطقوس الدينية تتمتع بصفة حصرية: صلاة جماعية او فردية، صيام حتى غروب الشمس او حتى الظهيرة، يعني الامتناع عن تناول اي طعام او شراب، او الامتناع عن بعض انواع الغذاء، في فصل ما من السنة، بخصوص هذا العيد او ذلك،

المبدأ، سوف ندرس اليزيديين من الخارج قبل ان نتوغل حثيثاً في عقيدتهم.
وامامنا مناطق ثلاث تسمح لنا بالاقتراب اكثر فاكثر من موضوعنا.

- بيئة اسلامية.

- مناخ صوفي.

- باطنية متطرفة.

وهكذا، ودون ان نخرج عن اطر الاسلام وطوائفه، وخاصة عن الصوفية، سيجد شروحات للعقائد اليزيدية التي يتميزون بها جداً، وصلاتهم بـ "يزيد الاول"، ابن معاوية (٦٨٠-٦٨٤) والذي اكتسبوا منه الاسم^{١١٢}، وعبادة الشيطان في شكل الطاووس (طاووس ملك) وحتى عملية التناسخ.

وهل تقدم الزكاة الى الفقراء او الى رئيس ديني، او الى معبد ما او قبر قديس ما. والحج هل هو اختياري او جبري؟ جماعي او فردي؟.. وتخضع هذه الاختلافات غالباً للتدخل رئيس ديني او انطلاقاً من نقطة محددة للعقيدة. وتختلف الاديان بالتأكيد فيما بينها بواسطة الممارسات الخارجية للعقيدة، اقل مما انها تعود الى الافكار التي تحركها والمعتمدة على العقيدة المتطورة كثيراً او قليلاً بهذا الشكل او ذاك.

¹¹² كلمة يزدي نفسها ظلت ولفترة طويلة موضوع خلاف. وقد ذكرنا سابقاً، ص١٤، نظرية اولئك الذين يجدون في تأريخ اللغة ويعودون الى لغوية كلمة يزد او يزدان (والتي تعني الاله في الفارسية، او يزد، مدينة فارسية تحافظ على عبادة النار. ينبغي اهمال جميع تلك الاراء. وتجد اخرين يؤيدون ان كلمة يزدي تتأتى من كلمة يزد، لان الكرد ينطقونها بيزيدي والتي يمكن ان ترجع اصولها الى ايزد وهي تعني الاله. سيكون لدينا اذن برهان جديد هكذا لصالح الاصول الايرانية للطائفة. ولكن ذلك يعني هنا تجاهل الظاهرة صوتية كُردية. فكل كلمة اجنبية في الواقع يتحول الحرف الاول الى e. وهكذا نرى ان كلمة يتيم في العربية والكلمات التركية: يلك (صدرية) يوميش (فواكه)، ويجان (الخنزير الوحشي) تتحول في الكُردية الى اتيم، الك، اميش، انظر: (Cf. kurdoev, kurdxco Russkiy sl;ovar (Moscou, 1960), p. 399-401.

ويفترض بعض الكتاب (كما استناس يوسف) نظرية اخرى ويقولون، استناداً الى الشهرستاني (١٠٧٤-١١٣٨)، ان هؤلاء اليزيديين سيكونون تابع لطائفة شخص يُدعى يزيد ابن انيسة ولكنه كان خارجياً واختفى اتباعه معه.

(Cf. Damlooji, *op. cit.*, p. 165),

وهكذا ويقولونه هم انفسهم بان اليزيديين اتباع الخليفة يزيد الاول (٦٨٠-٦٨٣)، ابن معاوية. وفي الفولكلور اليزيدي تتداول اساطير حول "معاوية" بانه كان في الواقع حلاق (محمد؟)، وكذلك حول السلطان "إزاي Ezi" كذلك. ولا يوجد من يرفض تلك الرابطة بحجة ان هذا الخليفة لم يؤسس دنيا مطلقاً وان الشيخ عدي لم يستطع ان يؤسس علاقات معه لانه عاش عدة اجيال بعده. وذلك حقيقة. ويعود ذلك الخلط في التواريخ المفروضة ليس لليزيديين، وانما للمعلقين الذين فهموا ذلك خطأ وقاموا بترجمة معلوماتهم واخبارياتهم. وايضاً، الا يتعلق الامر بكل ذلك؟ ويقول ابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦/٨٨٩) ان ذلك الخليفة ينتقده هؤلاء واولئك وحتى السنيون الاكثر استقامة. يؤكد البعض على صفاته، آخرون يؤكدون على جرائمه وعلى وجه الخصوص مقتل ابن عم النبي، تهمة يرمونه بها؛ وكذلك حياته السهلة المترفة واهتمامه الزائد بالملذات، كما الخمر والصيد وما الى ذلك. ويشير ابن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨) الى انه ولذلك بالذات لا يتردد البعض في صب اللعنات عليه ومقارنته "بعلي". ولكن هناك آخرون يمتنعون تماماً عن الخوض في ذلك، على الرغم من معرفتهم باخطائه. ويرى الكرميون انه الامام الحقيقي. علينا اذن ان نتوقع لقاء الكثيرين من انصاره، الذين سيطلق عليهم اسم اليزيديين بطبيعة الحال. ويقول السمانى، (م ١١٦٦/٥٦٢) في كتابه الانساب، انه قد التقى في احدى رحلاته في العراق، في حلوان بجمع من انصار يزيد بن معاوية واطلق عليهم اسم اليزيديين. ومن جهة اخرى نعرف انه الى جانب الحنابلة يوجد كثيرون من الشافعية يمتنعون عن لعنة يزيد.

(Cf. Lammens, *Le Califat de Ye`zid*, Beyrouth, 1921, p. 482)

واستناداً الى الشيعي "ابن الراعي" (حوالي ١٢٥٢) فان اليزيديين شافعيون (نفس المصدر، ص ٥١٣). ومهما كان الامر يتعلق بهؤلاء الانصار المتنوعين جداً ليزيد، فان اليزيديين من شيخان وسنجان حيث يتجمعون وهم كُرد. والكُرد في مجموعهم شافعيون متعلقون بيزيد، غير من يمثلهم، الشيخ عدي المرواني. وكان ابو فراس عبيدالله، في كتابه: "الرّد على الرافضة واليزيديين" (عام ٧٢٥/١٣٢٤) كان اول من كتب عن تلك

الصلة والمساواة بين العدوية واليزيدية. (Cf. Damlooji, *op. cit.*, p. 163)

ويحتفل اليزيديون بميلاد "يزيد" في الاول من ديسمبر. ويشير الامير اسماعيل

وسنعرف آنذاك، من هم اولئك اليزيديين الغامضين.

١. البيئة الاسلامية:

مع اول اتصال لنا باليزيديين، سنجد انفسنا مرغمين على الاقرار بانهم لايشبهون اياً من جيرانهم، المسلمين او المسيحيين. اولاً، لانهم كُرد، ذوي تقاطع حادة، وبشرة باهتة وعيون ثاقبة الى جانب لباسهم الذي يميزهم لاول وهلة. ومع ذلك، نجد لديهم بيئة اسلامية تامة.

وما يصادفنا اول الامر هو التعايش بين المسلمين والمسيحيين والتعاون بينهما مع عدم اختلاطهم وجهلهم التام احدهم الاخر. واسماؤهم اما كُردية تماماً او اسلامية فقط، كما صولو، سندو، مند او خديدا. ولا يوجد يزيدي او مسلم اسمه "بير، پول، جورج، هرمز او بهنام". وهي اسماء مسيحية خالصة، او مميزة للمسيحيين الذين يعيشون في المنطقة. ومع ذلك يوجد ملوك ساسانيون يحملون اسماء هرمزيد مثلاً. وناهيك بالطبع عن اسماء كما ميحو، ريشو، او حيمو.. الخ، وهي اختصار لاسماء كما محمد ورشيد وحميد، ولا يتردد اليزيديون عن حملها، ويقدم لهم رؤساؤهم المثل على ذلك. وهناك بعض الاسماء الاسلامية كما علي، وحسين او حسن يبغضها على ما يبدو اتباع يزيد هؤلاء.

ويستخدمون التقويم الهجري الذي يستخدمه المسلمون، وذلك لتسجيل احداث حياتهم، او تأريخ انشاء اثارهم كما ترى ذلك لدى الشيخ عدي، في حين ان المسيحيين سواء كانوا نسطوريين او يعاقبة قد احتفظوا

www.zheen.org

(*op. cit.*, p. 82et92) الى ذلك الاحتفال فرصة للمتعة الخاصة والرقص، ويشربون الخمر و يعملون نوعاً خاصاً من المعجنات يسمونها: كليجه" ويبدو ان اليزيديين قد ورثوا عن يزيد حب الموسيقى والرقص والخمر، ذلك الخمر هو اساس ديننا، كما قال حسن بك عام ١٩٢٦ الى (باعذرة) احد اصدقائنا (انظر: اللوحة).

حتى وقت حديث جداً بالتقويم اليوناني^{١١٣}. وإذا ما استخدم "اسماعيل بك جول"، التقويم المسيحي فذلك لان له صلات كثيرة تربطه بالغربيين.

وعلى العكس من المسيحيين الذين يحيطون بهم، سنرى ان اليزيديين يتبعون القانون الاسلامي فلا يضعون صوراً لاشخاص لا في معابدهم ولا على اثارهم الجنائزية. ونرى على باب معبد الشيخ عدي ثعباناً واسوداً، وشمسا ونجوماً، وعلى شواهد قبورهم نرى احياناً سيوفاً وامشاطاً وشموساً، وزهوراً، ولن نرى مطلقاً صوراً لاشخاص.

ويقوم اليزيديون بعمليات الختان مثل جيرانهم المسلمين^{١١٤}. اما العراب الذي يمسك بالطفل اثناء عملية الختان يمكن ان يكون مسلماً. ولكنه لن يكون ابداً مسيحياً او مسلماً. في حين يطلب غيرهم من الكرد مثل تلك الخدمة في لمحة ثقة باصدقائهم المسيحيين وبسبب صلات الدم التي تتبع ذلك.

ويقول القس اسحق، ان العادة القديمة التي كانت تتطلب ان ينحني احد الشيوخ على المحفة الجنائزية اثناء الدفن، ويقرأ سورة يس^{١١٥}، قد اصبحت عادة قديمة عفا عليها الدهر. كما ويرى ان بعض النقوش الجنائزية لمقبرة الشيخ عدي باللغة العربية، واكثر من ذلك

¹¹³ C'est L'ere des Se`leucides qui commence l'an 312 avant notre e`re. Ainsi sont date`s les e`ve`nements chez les historiens, Bar Hebraeus, par exemple et cette facon de dater se retrouve dans les colophans de nombreux manuscrits syriaques, tel celui de Rabban Ramicho.

¹¹⁴ يقول "عرب شيمو Ereb Shemo" في كتابه: "الراعي الكردي" (بيروت، ١٩٤٧، ص٧٥) عن قصة حياته ان تلك الخاصة جعلت الروس البيض يظنونه يهودياً والقوا القبض عليه وسجنوه. وقد اعيدت نفس المغامرة في الطبعة الثانية:

(Berbang, E`rivan 1958, p. 136-137).

¹¹⁵ Giamil, *op. cit.*, p. 54.

تمثل مقاطع من القرآن الكريم¹¹⁶ بل واعلنوا ان بعض شيوخهم يحفظون مقاطع من سور ذلك الكتاب المقدس¹¹⁷.

وتدحض كل تلك الحقائق اراء بادجر الذي سرعان ما يقول عندما يجد اية تفصييلة تتعلق بالاسلام، بان اليزيديين انما يقومون بذر الرماد في العيون ليكسبوا مصالحة المسلمين. واعتقد انهم في تلك الحالة سيظلون يتعاملون بالمثل ولن ينفعهم ذلك بشئ البتة.

ومازال هناك الكثير كذلك. فكما يفعل اتباع محمد، يقدم اليزيديون الاضاحي في زياراتهم الى قبور القديسين الذين يحترمون سيرتهم. ويذبحون تلك الاضاحي وفقاً لطقس ديني معين. ويتناول لحومها فقط من قدمها. ونجد في ممارسات اليزيديين للطقوس الدينية كل ما اورده "ي. درمنغم E. Dermenghem" حول الاحتفاليات التي يقوم بها المغاربة احتراماً لعقيدة المقدسين لديهم في الاسلام والمغاربي¹¹⁸. ويمارس مسلمو فارس في الواقع نفس تلك الطقوس¹¹⁹.

ولكن توجد حقيقة تحفظ للعقيدة اليزيدية مظهراً اسلامياً خاصاً على طريقتها اكثر منه مظهراً اصلياً الا وهو عيد الحق او الحج. وكما نعرف فان اليزيديين لا يذهبون الى مكة لممارسة طقوس الحج¹²⁰.

¹¹⁶ Badger, *op. cit.*, p. 106.

¹¹⁷ Badger, *ibid.*, p. 129.

يتعلم ابناء الشيخ حسن اليوم في القرآن، وهم الوحيدون المسموح بلهم بتعليم القراءة والكتابة. (Cf. Damlooji, *op. cit.*, p. 302)

¹¹⁸ E. Dermenghem, *Le Culte des Saints dans e`Islam Maghrebin* (Paris, 1954. Cf. aussi G. Bousquet, *Les grandes pratiques rituelles de L`Islam* (Paris, 1949).

¹¹⁹ Cf. H. Masse`, *Croyances et coutumes persanes* (Paris, 1938) p. 392-396.

¹²⁰ كان بعض المتصوفة المسلمين كما حسن البصري والحلاج، والذين سنذكرهم فيما بعد كانوا من انصار تقديم بديل لطقس الحج يحقق الامنيات، انظر:

ويمارسون بدلاً عنه الحج الى قبر الشيخ عدي ومنذ زمن بعيد. وقد اصبح قبره قبلتهم. وكما ثبت ذلك "ابن خلكان" عام ١٢٨٢. وهكذا فان الاحتفالية تلك ليست سوى نسخة من طقوس عيد الحج المكي كما ان جبل لالش صورة مصغرة من المدينة المقدسة.

وتقام مراسيم الحج في اليوم التاسع من شهر عيد الحج الاسلامي. وبالصدفة يسمى امير اليزيديين نفسه امير الحج (ميرى حج). ويشبه المكان كهفاً حجياً انشئت فيه العديد من القرى؛ بل توجد ايضاً اماكن في جبل لالش تحمل الاسماء المكية. وجبل عرفة الذي يلفظ هنا جبل عرفات نزل منه حجر اسود وبسرعة كبيرة واستقر هناك^{١٢١}، وحيث يدورون حوله سبع دورات؛ وبئر زمزم حيث يتوضأ الناس. تذكر كلها بالممارسات الطقسية في الاسلام، ويضاف اليها اضحيان الخراف الضرورية لاقامة الولايم المقدسة. وبمناسبة اعياد الحج تلك يقدمون طبق الهوية المعد من اللحوم والحبوب والماء والذي يتم طهيه طيلة الليل في الفرن. ويتناول ذلك الطبق الخاص باستمرار جماعات الصوفية^{١٢٢}. الا تفرقنا جميع تلك المفردات العربية اذن في بيئة اسلامية صرفة؟ ويضيف الديمولوجي انه زيادة على كل ذلك تعتبر ارض الشيخ عدي باشجارها وضحورها ومياها وتربتها ارضاً مقدسة لا يطؤها اليزيديون لا بسين الاحذية. بل ان الاقتراب من زوجته ممنوع. ولايشربون الخمر وهم هناك (رغم انها ليست محرمة لديهم). كما انهم

(Cf. L. Massignon, *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane*, (2 edition, Paris 1954), p. 62-63.

¹²¹ هذا الحجر الاسود المعلق يجب ان يلمسوها باليد لكي يتم الحج.

Cf. O. Sebri, *op. cit.*, p. 115.

¹²² وقد اشار الى ذلك شمس الدين المقدسي (م/١٠٠٠) في رحلاته في بلدان الارض،

احسن التقاسيم:

(Cf. sauvaget, *Historiens arabes*, (Paris. maisonneuve, 1946), p.68.

لا يقطعون اشجارها المحفوظة لمطبخ الشيخ عدي، او يطاردون العصافير والعنزات البرية التي تملأ المكان. كل ذلك كما يقول الكاتب ان هي الاعداء اسلامية تشبه تماماً جميع المحرمات الطقسية في مكة^{١٢٣}.

وربما يعترض البعض بان اليزيديين ليست لديهم مساجد، كما انهم لا يمارسون تلك الصلوات الجماعية المثيرة في الاسلام، وانهم لم يحتفظوا من صيام رمضان سوى ثلاثة ايام ولكنهم يمارسون ذلك الصيام على الطريقة الاسلامية وليس المسيحية في الشرق. ونتيجة لكل ذلك لا يمكن القول بان لهم اصولا اسلامية ومع ذلك، فان الدرور والنصيريين واهل الحق، او على الهي، وجميع تلك الطوائف التي تولدت في رحم الشيعة الاسماعيلية^{١٢٤}. قد مارست نفس تلك الاشكال المبسطة للعبادات والطقوس التي لا علاقة لها بالاسلام.

٢. مناخ صوفي:

ومن جانب اخر، اهمل اليزيديون مع ذلك كل مظهر مميز للاسلام الرسمي، ولكنهم لم يفقدوا جميع الصلوات. ففي الواقع، يتحركون في مناخ خاص جداً، لان منطقتهم كلها كانت صوفية، ومن هنا نراهم مرتبطين بالشعب المسلم وبقوة^{١٢٥}.

ويورد المؤرخون العرب ان كردستان كانت، ومنذ اسلمة البلاد، بؤرة لازدهار الصوفية والتي فضلها سكان تلك المناطق الجبلية الملائمة للتأمل والابتعاد عن العالم. وعندما جاء الشيخ عدي من "بيت فار Beit

¹²³ *op. cit.*, p. 208.

¹²⁴ H. Lammens, *L'Islam* (2-ed. Beyrouth, 194) p. 229.

¹²⁵ يعتقد "منزل Menzel" في مقالة "اليزيدي المنشور في الانسيكلوبيديا الاسلامية قد اخذوا من الصوفيين الراضية: (١) سرّ العقيدة (٢) الوجد، (٣) الاهتمام باهمية كثيرين من شيوخ الصوفية، كما اننا نعتقد ان هناك الاكثر بعد.

Far" في ضواحي بعلبك استقر في جبال هكاري، ما بين الاعوام (١١٣٠-١١٦٠)، لم يكن ابداً اول القادمين، او كان مطلقاً معزولاً^{١٢٦}.

١- تقوى الصوفيين الحقيقيين:

يذكر اليزيديون في تراثهم الشفاهي كثيرين من اسماء الصوفيين البارزين، امثال حسن البصري (٦٤٣-٧٢٨م) رائد الصوفية، والبستاني (توفي عام ٨٧٥م)، وعلى وجه الخصوص "منصور الحلاج" الذي صُلب في بغداد عام ٩٢٢م^{١٢٧}. ويقدمون انفسهم اتباعاً للشيخ عدي (١٠٧٣-١١٦٣) الذي اصبح مثالهم القومي.

وتسمى الزاوية التابعة لهم "عدوية" كما اورد ذلك "احمد تيمور". اما مركزهم الديني فهو قبر الشيخ عدي. ويعرف الجميع علاقات الشيخ عدي باحمد الغزالي (المتوفي عام ١١١١)، والذي كتب له رسالة شعرية^{١٢٨}. ويذكرون من بين رفاق العلم للشيخ عدي "عبدالقادر الكيلاني" الذي صاحبه الى مكة عام ١١١٨ ودُفن بالموصل. هذا الى جانب كثيرين اخرين. ولكل هؤلاء الرفاق مشهورين كانوا او اقل شهرة اقيم مقام لهم في شيخان يزوره المؤمنون. ويجب ان نضيف اليهم كذلك (الست نفيسة) من اسرة علي ويوقرونها جيداً. وقد انجزت ثلاثين حجة الى مكة واشتهرت بانها تقوم بالمعجزات. ويذهب الناس الى بعشيقة ويزورون شجرة التوت المكرسة لها يطلبون الشفاء من الحمى^{١٢٩}، وهكذا احتفظ اليزيديون

¹²⁶ Cf. R. Lescot, *op. cit.*, P. 24, n. 3).

¹²⁷ On remarquera, avec A. J. Arberry, "Le Soafisme" (Paris, Cahiers du Sud, 1952) p. 61, 68, 69. في كتاب "الصوفية"، سنلاحظ مع أ. ج. ارييري اليزيديين يحملون قدسية خاصة للصوفيين "السكرى" يعني اصحاب النظريات المتطرفة كما "البستاني" مثلاً او الحلاج الذي ذهب ابعد من ذلك ليقول ان ابليس كان ((احد اصدقائه واسياده)).

¹²⁸ (R. Lescot, *op. cit.*, p. 22, n. 1).

¹²⁹ Giamil, *op. cit.*, n. 61; Kholifee, *op. cit.*, p. 577.

بزيارة مقام تلك الرموز المقدسة، وهو اهتمام تطور كثيراً لدى مختلف الطوائف الاسلامية. ويزور اليزيديون المقام ويضيئون المصابيح ويحرقون البخور ويعلقون اشربة القماش للذكرى، وذلك عند تحقيق الاماني او للندور. وتلك الاماكن المقدسة تكون عادة شجرة سرو "سي بلقاسم" في سنجار او شجرة تين او زيتون "سل خان Cel Xane" في جبل سمعان، او حجر "عبد ريشو Abdirecho" في (خارابك Kharabek) ويؤم الزوار تلك الاماكن طلباً للشفاء من الحمي. واحياناً يكون ذلك المكان المقدس نبعاً من الماء (كاني زركي Kani Zerki)، طلباً للشفاء من اليرقان او الى شيخ "مام ريشه Mam Rieche" طلباً للشفاء من الاورام. كل ذلك في شيخان. ولكن الرموز المقدسة تختلف باختلاف المناطق حتى وان تشابهت طقوس الولاة.

ب- منظمة دينية ذات صفة صوفية:

لم تكن الذكريات الاسطورية وحدها عن شيوخ الصوفية، والعقيدة السائدة باحترام الاضرحة الدينية هي ما يربط اليزيديين بالصوفية. بل انها تلك المنظومة الاجتماعية التي تكشف تلك التبعية للصوفية. ومن صفاتهم الخاصة التي تميزهم هو ذلك التمايز الطبقي والزواج من بين افراد المجتمع فقط وليس من الخارج. يقول "ر. لاکوست R. lacoste"، ان اليزيدية استطاعت الحفاظ على اصولها الاسلامية بفضل منظومتها الدينية فقط اكثر مما حفظته لها العقيدة نفسها (ص ٨٣).
واذا ما تركنا جانباً الامير وعائلته. وهو الرئيس المطلق للامة حيث يمارس سلطته الروحية والسياسية، وادعائه بانتماؤه لاسرة الخليفة الاموي يزيد الاول^{١٣٠}، فسوف نجد بين المناصب الرفيعة والمهام الدينية

¹³⁰ ان هذه التساؤلات الكثيرة حول الاصول وسلاسل النسب تتطلب بعض الحذر بالطبع، ولكن ما يهمني هنا تصادف ان تكون الحقيقة قبل الايمان الحقيقي او المقترض

كاملة صوفية عربية المسميات، ولا يمكن ان يتوضح وجودها لدى الشعب الكردي اذا ما لم تكن تلك المنظومة بقايا نظام مُنظم الاركان قد فقد قيمته بهذا الشكل او ذاك.

وينقسم اليزيديون في واقع الامر الى طبقتين كبيرتين: الرؤساء الدينيون والآخرين جميعاً؛ والذين يسمون المریدون او الاتباع. الرؤساء الدينيون هم الشيوخ تليهم طبقة شيوخ اخرين (الپير) وواجب الجميع التوجه الروحي لاتباعهم الذين يتوجب عليهم في المقابل تقديم فروض الاحترام والطاعة فيما يخص ممارسة الطقوس الدينية، وعلى وجه الخصوص فيما يخص توفير الاتاوات الموسمية لهم. وعلى رأس تلك الفئة بابا الشيخ، الذي يتمتع بالسلطة الدينية المطلقة وليس الامير^{١٣١}.

وتعتبر جميع اسر الشيوخ التسع الفروع الصغرى من سلالة ابن الشيخ عدي الذي ظل اعزباً، وهو شئ نادر يثير الدهشة. وتتمتع اسرة الشيخ حسن بافضلية كونها مؤسسة العلوم المقدسة التي يتناقلها الناس شفاهياً^{١٣٢}، ويتوجب على الشيوخ الاهتمام بجميع الطقوس الخاصة باتباعهم وخاصة في حالات الولادة والزواج والوفاة. ويضيف

من الذرية المنتفعين. ونعرف ان الاسر الاميرية الكردية الكبيرة يملؤها الغرور والكبرياء كونهم يعودون باصولهم الى "النبي" والخلفاء الاوائل، كما تتحدث الشرفنامه عن ذلك.¹³¹ الامير هو السلطان او الخليفة اذا ما جاز لنا قول ذلك. فالامير من وجهة النظر الروحية يتمتع بسلطة قضائية وليست له اية سلطة عقائدية. (فهو او كان) سيد حياة وممتلكات المؤمنين ولكنه لا يمتلك سلطة الطقوس السرية للعقيدة. انه يمثل الطائفة امام الحكومة. ويتمتع بالامتيازات المالية الكبيرة، وليست تعاليم العقيدة من واجباته ليقدمها لهؤلاء الناس. انه يمسك بالسيف ولا يحتفظ بالكتاب. انه اليد وليس الفكر. يمكن ان يكون القوة ولا يمكنه ان يكون المعرفة بالتأكيد. ويقوم بذلك الدور بابا الشيخ مستشار الامير الديني الرسمي. وتحدث احياناً نزاعات بين السلطتين السياسية والدينية الصوفية. بين البابا والامبراطور.

¹³² R. Lescot, *op. cit.*, p. 88.

البعض الى تلك الطقوس قدرات اعجازية مذهشة يستحضرونها غالباً في حالات الالم او المرض. مثلاً، يتخصص شيوخ اسرة الشيخ بفن المقدرة على السيطرة على الثعابين¹³³.

والشيوخ الذين يأتون بعد الشيوخ الكبار ويطلق عليهم اللقب الكُردي (پير) فهم مرشدون او اولياء الامر. ويتكونون من اربع عشر اسرة¹³⁴. ولا تختلف وظائفهم مطلقاً عن غيرهم من الشيوخ ولكنهم يتمتعون بسلطات اقل. كما انهم لا يميزون عنهم سوى بكونهم من سلالة كُرديّة، في حين ان الشيوخ الرؤساء فهم من سلالة عربية¹³⁵.

ومن بين العلمانيين نذكر فئة "القوالين"، وقيمون فقط بين بعشيقة وبحزاني. واستناداً الى الدمولوجي فهم كذلك عرب من دمشق صحبوا الشيخ عدي في الزاوية التابعة له في لالش. وهم مسؤولون عن الموسيقى والآتهم الطبل والمزمار. ومسؤولون عن الاناشيد التي يرددونها في اعياد الشيخ عدي، وكذلك الخاصة بالشيخ محمد من بعشيقة. ويقومون بمهام دقيقة حيث يمثلون الامير عند زيارة التجمعات المنتشرة في كل مكان تقريباً، ويعرضون خدماتهم في المعابد احتراماً للمؤمنين. والقوالون لدى الصوفيين يهيئون جلسات الاستماع¹³⁶، نوعاً من الخطاب الروحي.

ويتميز الشيخ الادنى مرتبة "الفقير لله" عن غيره من اليزيديين بلباس خاص يتكون من سترة طويلة من الصوف الاسود بحواف حمراء وعليها حزام من الحبل المصفور وبنطالاً واسعاً ابيض. ويعتمر قلنسوة من الجوخ الاسود ويلبس قلادة من الحبل الاحمر والاسود (المحاك و المصفور) لا يجب ابدأ نزعها. وكذلك حزام لا يجب نزعها حتى عند النوم.

¹³³ R. Lescot, *op. cit.*, p. 89; Empson, *op. cit.*, 101; Drpwer. *op. cit.*, p.27.

¹³⁴ Damlooji, *op. cit.*, p. 44-46.

¹³⁵ R. lescot, *op. cit.*, p. 90.

¹³⁶ R. Lescot, *op. cit.*, p. 91, n. 2, Damlooji, *op. cit.*, p. 51-53; Massignon *Essai*, p. 105.

ويشبه ذلك اللباس الاسود، اللباس الذي كان يرتديه الشيخ عدي، المقدس لدى اليزيديين والذي مازالوا نساك و زهاد الطائفة. واذا ما تركنا جانباً قضية زواجهم فانهم يصومون اربعين يوماً في السنة، وفي كل مرة واثناء الصوم لا يدخنون، لا يشربون الخمر، ولا يحلقون او حتى تصغير شواربهم ومن المحرمات كذلك حمل السلاح، او سفك الدم. واذا اضطرتهم الظروف ان يضربوا احداً ما، فانه لن يستطيع ان يرفع يده عليهم او يلمسهم بسوء و لو كان ذلك دفاعاً عن النفس. وهم يعتاشون على الصدقات، ويُسمح لهم بوضع اليد على ما يجدونه لدى الغير مفيداً او مناسباً لهم. بل ويهاجمهم الناس اكثر مما يكونون لهم من احترام وبهذا اصبحوا يتمتعون بتأثير غير نزيه وغير مُتجرد دائماً. ويلتزمون في واقع الامر، ان لم يكن ذلك قانوناً، لا يختاروا او يختلطوا خارج طبقتهم. الى جانب ذلك يتلقى الفرد منهم العلم والفقه والتدريب حتى يبلغ سن الرشد ويحق له ان يرتدي ذلك اللباس المقدس؛ ومن ثم الاستفادة من جميع الامتيازات المادية نتيجة ذلك. وقدم السيد "فيفر Febvre" وصفاً احتفالية ((ارتداء اللباس))، كما كانت تدور في عصره. ويعتكف الفرد الذي سيرتدي اللباس اربعين يوماً قبل الحفل¹³⁷، ويعتقد الدمولوجي ان اصولهم مسيحية¹³⁸. ولكن الحجج التي اوردها تأييداً لرأيه هذا تظل غير مقنعة. وذلك لان النظام الاساسي و تفاصيل اللباس تشبه كثيراً نظام ولباس اتباع الطرق الصوفية الاسلامية كما البكتاشيين مثلاً¹³⁹. ويدفعنا ذلك الى اعتبار تلك الفئة من الشيوخ الورثة المباشرين "للعدوية"¹⁴⁰؛ وهي الاخوية التي اسسها الشيخ عدي. ويتواجد اليزيديون وباعداد

¹³⁷ Febvre, *Teatro...* (edition italienne), p. 348-349.

¹³⁸ *Op. cit.*, p. 50-51.

¹³⁹ R. Lescot, *op. cit.*, p. 50, 69, 92, 93.

¹⁴⁰ R. Lescot., *op. cit.*, p. 95.

كبيرة في سنجار على وجه الخصوص، حيث قدموا من شيخان الى هناك منذ فترة وجيزة واسسوا قرى مزدهرة. ويوجد عدد منهم كذلك في جبل سمعان حيث توجد شرائح تعرف بالرؤوس السوداء (قره باش). ثم هناك فئة اخيرة تسمى "الكوجك" وهي تعني الراقص بالتركية. ومن حيث المبدأ، كرسوا انفسهم لخدمة معبد الشيخ عدي. ويقومون بتأدية الرقصات المقدسة في الاحتفاليات الدينية، الى جانب انهم يتمتعون كما يبدو بتلك الحياة المزدوجة* التي يعيشونها وتراهم على وجه الخصوص يستطيعون الكشف عن المصير الذي ينتظر الموتى. يفسرون الاحلام ويمارسون السحر. انهم اولئك المتنورون المسؤولون كما يبدو عن مصدر تلك العقائد الغريبة التي تنسب الى اليزيديين، ويحكمون عليهم استناداً الى الروايات والقصص. ولقد اراد البعض منهم لعب دور اساسي الا انه ينتهي غالباً بكارثة¹⁴¹؛ الى جانب ان الحكومات لا تثق عادة بهم. ولكن واستناداً الى درمنغم، يوجد بعض هؤلاء المتحمسين في اخويات اسلامية اخرى¹⁴².

ويجب ان يكون هناك لكل مرید شيخ، يخضع له في مجال الروحيات ويعتبر بشكل ما ملكاً للشيخ ويجب ان يختار المرید لنفسه كذلك اخاً او اختاً من العالم الاخر من بين اعضاء اسرة شيوخ غير الاسرة التي ينتمي اليها وراثياً. وسوف يساعد ذلك الاخ او تلك الاخت، ان كان الامر يتعلق بامرأة، المرید في لحظاته الاخيرة. وسيكون ذلك السيد السماوي حامياً اضافياً للمرید. الى جانب ذلك يجب ان يختار المرید شيخاً من طائفة

* انهم يمارسون حياه اخرى خاصه غير تلك الحياه التي تبدو للناس. (المترجمه)

¹⁴¹ Damlooji, *op. cit.*, p. 54-63.

¹⁴² لا يبدو انه يجب ان نهتم بوجود فئة تشبه من يقومون على خدمات الكنيسة كما يقول "اليسكو" (*op., cit.*, p. 97) وهو اول من تحدث عنهم، و"جميل" (*op., cit.*, p. 40)، او اسماعيل بيك، الذين تحدثوا عنهم سابقاً.

"البيير" الاخرين^{١٤٣}. وتكلفهم تلك التبعية الدينية العمياء غالباً جداً. ولكن الخوف المتأاتي من الخرافات الى جانب الجهل جعل من اليزيديين ضحايا جاهزة لطمع رؤساء لاضمير لهم. ولكن يجب ان نعترف ان تلك المنظمة الطبقيّة الصارمة التدرج كانت لها حياة روحية في الماضي، الا انها اليوم قد فقدت جزءاً كبيراً من هذه الفعالية والتأثير.

ج- صلوات صوفية المذاق:

سننتقل الآن الى دراسة النظام الاجتماعي، وسنحاول آنذاك التغلغل في اعماق تلك الصلوات التي يؤدونها وسنجد انفسنا آنذاك في خضم اجواء صوفية خالصة.

ويؤدي المؤمن صلاة قصيرة. هذا بالنسبة للمؤمنين البسطاء، اما الشيوخ والبيير وكل من يظهر ايمانه فيقومون بالصلاة ويسمونها الدعاء وليس الصلاة. الى جانب انه لا يوجد اي سبب للتشكك في مصداقية النصوص التي يتداولها اليزيديون الجادون والمؤهلون التي تم نشرها او ترجمتها^{١٤٤}.

¹⁴³ R. Lescot, *op. cit.*, p. 83-84.

¹⁴⁴ الادعية اليزيدية التي نشرها الاب انستاس واسماعيل بيك P. Anstax (AL-mashriq, II, P. 312-313), Ismail Beg, *op. cit.*, p. 103-105) et Abd Al-Rezzaq (*op. cit.*, p. 56-57). وكذلك السيد عبدالرزاق الحسيني لا فائدة منها في الواقع، طالما انها تحوى اخطاء تعود لقراءة سيئة للناشرين، الذين فضلاً عن ذلك يضيفون تراجم اليها او كلمات يمكن فهمها لشروحات كلمات غامضة او سرية. ولكن يمكن الاهتمام بالدعاء الذي املاه الشيخ حسن، وتم نشره بالكردية مع ترجمة المانية ترجمها السيد "ماكاس" Makas: (Makas, *Kurdische Studien*, 1900, p. 40-41). وقدم "إيسيا يوسف" نفس النص الكُردي بترجمة انجليزية في (A.J.S.L.) T.XXV. كما نجد ترجمة لنفس النص بالفرنسية سابقاً، للكرد اليزيديين غطتا ثمانى صفحات وذلك في منشورات مجلة هاوار، التسلسل ٥، دمشق، ١٩٣٣. الدعاء الاول: كان دعاء الفجر والتي املاها عليه الشيخ حيدر، ابن الشيخ

وقد تلفت او تمزقت نصوص كثيرة لسوء الحظ، ولكن ماتبقى يحوى مذاقاً صوفياً لا يمكن انكاره. والنصوص العربية اقدم بالطبع وتعود لذلك الوقت الذي جمعت فيه الصلات بين اعضاء الزاوية وبعض المشايخ ذوي التوجه الاسلامي الصحيح، او على الاقل تعود لاستخدامهم المؤلفات العربية الاسلامية. ولانرى اية فائدة لليزيديين من ترجمة تلك النصوص الكُردية الى العربية والتي لا يكادون يعرفونها، والكُردية هي لغتهم الام. ولكن يمكن تفهم العكس تماماً. فالنص الكُردى لبعض الصلوات، اذا ما كان ترجمة وليس نصاً اصلياً فان تأريخ ظهوره احدث وان كان من الصعب تحديد فترة وجوده اساساً. وبعض القصائد المغناة قد تم تأليفها بالكُردية مباشرة وموجهة للشعب المؤمن التي لا تقول له العربية شيئاً. ومع ذلك، فقد وصلت اليها "انشودة الشيخ عدي" وهي قصيدة عربية كان الشيخ ناصر قد ارسلها الى "بادجر" عام ١٨٥٠^{١٤٥}. وسيكون من

"نزير" والثلاث ادعية الاخرى اعطاها اياه اسماعيل بك. هذا وقد نشر "ر. ليسكو" دعاءً اخر من بينها كذلك (op., citl., p. 70)، ويقول: ((اما النص، فقد تم املاؤها علينا من قبل "الى ووزو Eli Wuxo" وقيمته تنحصر في الدعوات الموجهة للشمس P. 70, n. 1))، ولكن في الحقيقة الشطر الاول فقط يشير (!) الى الشمس: ((ايها الشمس، احمنا من الشقاء والعداوة؟ سيدي، كن كريماً تجاه امتك؟ سيدي، اعمل على ازدهار امتك" سيدي، احم اولادنا؟ سيدي، احم قطعاننا؟ سيدي، وبرهاننا هو اسم طاووس ملك!))

¹⁴⁵ Texte anglais dans Badger (op. cit., p. 113-115); Traduction française dans Nau, *Recueil*, p. 160-165; texte arabe, avec quelques variants et lacunes, dans Damlooji, op. cit., p.94- 95.

التجاوز غير الحذر، اذا نسبناها الى الشيخ عدي نفسه، رغم انها جاءت على لسانه:

((انا عدي، الدمشقي، المسافر)) (البيت ٧٥). بل انه ينسب لنفسه امتيازات مبالغ فيها:

((انا القرار وسبب الوجود

انا صاحب الكلام المقدس

انا القادر الذي يحكم العالم

انا من يُسبح الناس بمجده

لقد اتوا الى وقبلوا قدمي)) (الابيات ٨-١٣)

بل نراه يقول في بيت اخر (٦٠)

((في اعماق قلبي، لا يوجد اله سواي))

الا نرى في ذلك البيت صدى لمقولة الحلاج: ((انا الحق))؟ في حين نرى

ان الابيات (٢١-٢٢) تشير الى فقه باطني بوضوح:

((انا فم، لعابه عسل

اخلق به ثقاتي))

وهو يتحدث كذلك عن كتاب القصص الجيدة الذي وصل اليه

(البيت ١٧)؛ وكذلك عن النبع الابيض (كانيا سبي) الذي فجره (الابيات

٤٥-٤٨)، قادم من بئر زمزم مكة، كما تقول الاسطورة، والذي مازال

يسيل تحت بلاط معبده.

وانا لا اذكر ان احداً قد حاول تقريب بعض ابيات القصيدة وبعض

المعجزات المنسوبة للشيخ عدي في الكتاب الاسطورة الذي الفه رجل

مجهول من اتباعه المخلصين بعنوان: "كتاب مناقب الشيخ عدي"، ويعود

الكتاب الى القرن الثاني عشر والثالث عشر. ويتحدث الكتاب عن سيطرته

على الافاعي، وعلى غيرها من الحيوانات المتوحشة، والنبع الذي فجره في

احد الصخور والجبال التي تنحني عند مروره. (الاييات: ٣٥-٤٨؛ و٥٣-٥٦). وانني لاقول انها نفس المعجزات تماماً التي قام بها قديس نسطوري مار يعقوب، الذي عاش في القرن الثامن. فهل سبقت القصيدة القصة الاسطورية، ام ان تلك القصة الاسطورية هي التي الهمت النشيد الخاص بمؤسس العدوية؟

وتخلل الادعية الاخرى بالكردية والتي وصلتنا، عبارات او تراكيب لغوية مثلاً (امين) او "الرب"،... الخ؛ مما يدفع للاعتقاد بتلك الصلة. وتخلل الادعية الكثير من العبارات المشابهة ولن يندهش المسلم لذلك حتى لو كان صوفياً:

سيدي، انت العطوف، انت الرحيم؛

انت الله، انت ملاك القوة الملكية، وكل مكان؛

انت ملاك الذوق والمتعة؛

انت الملاك العطوف للسلطة الملكية؛

منذ البدء، انك الخالد

آه سيدي! انت اله المسافر،

انت اله القمر والظلمات،

انت اله الشمس والنور،

انت اله العرش السامي،

انت اله الرحمة^{١٤٦}

ولا يرى الناس جيداً ان تعابير كتلك تؤيد نظرية اولئك الذين يرون اليزيديين اتباعاً للثنائية الايرانية، طالما ان الله الذي يناشدونه هو اله النور والظلمات في ذات الوقت:

سيدي! انت العطوف، انت الرحيم!

¹⁴⁶ Prieve de pir Hasan, dans Makas.

انت مُنقذنا!
انت العرش، وانا العدم!
انا مريض، انا مخطئ،
انا العاصي ولن تنساني!
انقذتنا من الظلمة وقدتنا الى النور!
آه ياسيدي! خُذ عني خطاياي ودينى،
سامحني ياربي! يا ربي! ياربي، آمين!^{١٤٧}
وها هو المخطئ يتوجه نحو الرحمة الالهية وكذلك المسكين في ذلك
الدعاء الصباحي دونما ادعاء او هرطقة!^{١٤٨}
يا ربي! انت موجود وانا فاني!
انت الرحيم وانا الخاطئ؛
انت سيد الحقيقة، وانا العبد!
انت لا تتحرك، انت موجود في كل مكان؛
لا جسد لك، انت رفيع المقام؛
لا صوت لك، ولكننا نستمع اليك!
انت العذاب، وانت الدواء؛
انت قاضي الملوك و الشحاذين.
يا ربي! انت امراطور العرش والمقر القدسي،
انت خالق البقرة والسמكة.
ولكن المرثية الجنائزية هي التي تقودنا دون شك وباوضح صورة الى
مشاعر الزهد لدى الصوفيين.^{١٤٩}

¹⁴⁷ Meme Priere (*ibid.*).

¹⁴⁸ *Quatre priers authentiques*...p.6.

¹⁴⁹ Texte kurde, dans *Quatre Prieres*; p.7, traduction francaise dans Th. Bois, "*Les Yezidis et leur cultes morts*, dans chahiers de l'Est, Beyrouth, 1947, n. 1, p. 52-58.

يا ابن آدم! آه ايها المسكين! أيا ابن آدم!
هذا العالم، بيت الاشباح
انه حلم ليلة؟
هذا العالم ظل شجرة
تحمي كل يوم صديقاً جديداً!
اين سليمان الذي سادوحكم؟
اين بلقيس الشهيرة؟
اهتم بصحتك! لقد تركا هذا العالم!^{١٥٠}
اين سليمان النبي؟
اين بلقيس وحليها الذهبية؟
اهتم بنفسك! لقد رحلا هما ايضاً تحت التراب والاحجار!
اين الخضر؟ اين الياس؟
اين الدرويش ومسبحته وعصاه؟
اهتم بنفسك! هم ايضاً تحت التراب متساوون؟
آه يا ابن آدم! لاتكن ابداً طماعاً في هذه الدنيا؛
لا تكسب الذهب او الثروات:
فالدنيا لم تبق حتى لنبي الله!
اين الحمزة؟ اين علي؟
اين الاولياء؟ اين الانبياء؟
في قبورهم! اصبحوا تراباً!
بمكهى زين

¹⁵⁰ من المثير للاهتمام تقريب هذا الاسترجاع لقصة سليمان وبلقيس في استعادة المقطع الثامن والعشرين للحلاج: ((كيف رفض الشيطان السجود لآدم))، عن "مؤيد الجنادي":
(Cf., Massignon, "Diwan de Hallaj", Cahiers du sud, 1955, p. 71:

من هو آدم من الخالق، ومن هو ابليس؟

ماهو عرش سليمان ومن هي بلقيس؟

كل ما يفعله الله، يفعله جيداً!

الخير والشر، هو يلائمه،

وعذابات القلب يجعلها تشيخاً!^{١٥١}

ونلتقي في النصوص السابقة التي لا يمكن انكار مصداقيتها بتعابير دائماً ما يستخدمها المتصوفون المسلمون: علم، صدق، حقيقة، رضا، جود... الخ. كما انه ليس من الصعب طبعاً أن نجد في النصوص الكُردية لكتاب الوحي او الكتاب الاسود افكاراً ومفردات يتردد استخدامها في القصائد الصوفية: الحق، الخلق، العرش والبساط، الصورة والصفة، العناصر الاربعة، العصور الاربعة، الاسس الاربعة والقبة السماوية، والقلم الذي يُسطر مصائر الخلق والمثال والجوهر والطير، وبعض التعابير التي تبعث على التفكير في تأثير "ابن عربي" (المتوفي عام ١٢٤٠م). وعلى اي حال اذا كانت تلك النصوص المقدسة قديمة فمن الطبيعي تحوي مثل تلك الالفاظ. واذا كانت تلك النصوص حديثة وهو ما لا يفترضه احد، فهي تشير انذاك الى عدم زوال الاصول الصوفية تماماً!^{١٥٢}

¹⁵¹ هذا وقد نشرت الجريدة الكُردية "رؤيا نو" الصادرة في بيروت (١٩٤٣-١٩٤٥) عدداً كبيراً من المقولات التي يرددها الشيوخ الكُرد المسلمون اثناء مراسيم الدفن. ولكن علينا ان نعترف ان جوهرها ضعيف جداً وشكلها مبتذل بما فيه الكفاية، كما ان هذه المراثيات الحديثة تبقى بعيدة عن ذلك الخطاب النثري الاخير اليزيدي الذي يُلقى اثناء مراسيم الدفن والتي ذكرناها سابقاً.

¹⁵² نقرأ في الكتاب الاسود "ومنذ اول مقطع ان الله، بعد ان خلق لؤلؤة بيضاء خلق عصفوراً اسمه. كيف تمت قراءة اسم ذلك الطائفة: لقد تمت قراءته هكذا: أنغر Anghar"، من قبل "براون Brawne, p. 377" وكذلك من قبل (الحسني، ص ٤٠) انظر Bittner p. 24 بيتنر الذي قرأه "انفر Anfar" وكذلك العزاوي، ص ١٨٨؛ اما اسماعيل بك فقد قرأه هكذا: "الفخر Al-Fakhr"، ص ١٠١، وقرأه P. Khafile، ب خليفة) "انغر Atghar"، ص ٥٨٦. ان لدينا هناك اربعة اسماء مختلفة. وسوف نرى فيما يلي في الحاشية (١٥٧) اخطاء اخرى من قراءة الاسماء الاولى في نصوص الكتاب الاسود اليزيدية. وانا اثناء القراءة سجلت بعض

تلك الاخطاء: لقد وجدت في صفحة واحدة ٣٨٢؛ كتب براون، مثلاً مسكوك Masquq بدلاً من موسكوف Moskof (روسيا)؛ و باخرافي، بدلاً من بهذاني، وهي قرية من الشخان. ولم يغلب الاب انستاس بدوره من مثل تلك الاخطاء وهو العضو في المجمع اللغوي العربي: ففي مقالاته المنشورة في المشرق ، ١٨٩٩ والتي اعاد الفرنسي بهنام Behnam نشرها، يتحدث عن سنجق "السد حدار Al sed hedar" (١٩٥١، ص ٤٠)؛ والمطران الذي قام بترجمة الاب انستاس (op. cit., p. 405) يتحدث بدوره عن عدد من سراحدار في القوقاز. الا انه في هذه الحالات الثلاث، يدور الامر في الحقيقة حول منطقة كردية واحدة هي "سرحدان Serhedan" او الضواحي الواقعة على حدود تركيا و القوقاز. كل تلك الاخطاء والتي يمكننا ان نذكر غيرها كذلك، يمكن شرح اسبابها بانها قراءة قاصرة للمخطوطات العربية حيث نجد نقاط الحروف تتحرك عن مكانها وفقاً لحيوية وسرعة الناسخ مما يخلط الامور على القارئ؛ وخاصة اذا ما كان الامر يتعلق بالاسماء الاولى للشخاص او اسماء البلدان التي لايعرفها.

ولنعد الى طيرنا، فحقيقي جداً ان اياً من القراءات السابقة لم تستطع ان تشفي غليلنا ولدينا الحق آنذاك بوصفها باحتمالية الخطأ ومن جهتي انا، اقترح ان يكون الاسم "عنقاء Anqa" وهو طائر خرافي تترجمه القواميس العربية والفارسية والتركية بكلمة العنقاء ويدخل بليوننة ذلك الاسم في نصنا وسياقه. حول ذلك الطائر انظر مقالة: العنقاء، في الانسكلوبيديا الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٥٦، [CH. Pellat, art. "Anka dans Enc. Isl." 2 e`dition, 1956]. وسوف اشرح لكم ترجمتي لم تكن هناك اية صعوبة بالنسبة للحرف الاخير. (الاي) الاخيرة يمكنها ان تختلط تماماً مع (ر) اخيرة بخط اليد. والـ(ق) الوسطى يمكنها ان تختلط كذلك بالـ(ف) او الـ(تغ). ولنر كيف قرأ (ب. خليفة P. Khelifi) الحرف على انه ت فقد وجد ببساطة تغير مكان التنقيط على الحروف ت، ف، ق، و، غ، ويبقى الـ(ع) الحرف الاول في الكلمة. وهنا يجب علينا ان نذكر بان اليزيديين كرد. حيث لا توجد في الابدجيدية الكردية اية حروف ساكنة تنطق من الخنجرة كما ك، ج، ق، او حروف مشددة او مفخمة. ولنترك جانباً المثقفين او الذين يتحدثون وينطقون بلغة سليمة والذين لايتواجدون بين اليزيديين. والكرد لا يهتمون كثيراً بالتهجئة العربية السليمة او بضبط كتابه الكلمة العربية. وقد اقر بذلك مسبقاً السيد جوستي Justi، في مقدمة القاموس الكردي الفرنسي لـ نابا، سانپترسبورغ، ١٨٧٩، (St. Pe`ters bourg, 1879)، ص ٦، حيث قدم امثلة

وهكذا توضح لنا ذكرى شيوخ الصوفية ومقاماتهم، والنظام الطبقي المتدرج للطائفة، ومضمون الصلوات والادعية والنصوص المقدسة التي وصلت إلينا، توضح كلها ذلك الإرث الصوفي الأصيل لليزيديين الذي اختلط ربما أو تم تعتيمة بهذا الشكل أو ذاك والذي بقيت رغم ذلك أصوله الصادقة.

٣. صوفية متطرفة:

لا يمكننا انكار الاصل الاسلامي لليزيدية بعد كل ما قلناه وقدمناه حول البيئة الاسلامية والمناخ الصوفي. ومع ذلك، فالليزيديون اليوم بعيدون جداً في نظرياتهم عن الاسلام الحقيقي لدرجة ان الناس لا يريدون ان يروا فيما تقدم سوى تأثيرات مفتعلة، ان لم تكن تأثيرات مصطنعة لطائفة زرادشتية او مانوية خالصة. فكلمة ما لا تقول شيئاً، او اشارة ما لا تعني شيئاً. او حتى اسماً لشيئ ما لا يعني بدوره شيئاً محددًا. ولكن

عديدة على ذلك وحيث وضع ان الملا الكردي الذي ساعده قد كتب كلمات عديدة بالالف بدلاً من العين الحرف الاصلي الاول للكلمة. انظر أيضاً حول ذلك الموضوع: (C. Bedir-Xan, *L'alphalet kurde*, n. 12, dans *hawar*, n. 15 (23 janv. 1933), p. 7, *ibid*, n. 17, 9, 10).

وفي كتاب حديث لقواعد اللغة العربية المنشور في بغداد، ص ٦٥، وجدت بالمثل الكلمة العربية عاقل قد كتبت بالكرديّة ناقلاً، فالسبب مفهوم اذن بالنسبة لي واتفهم ذلك. اما الطائر الغامض فهو العنقاء وذلك الاسم يعتبر رابطة جديدة بين اليزيديين والمتصوفين المسلمين، الذين يعرفون ذلك الطائر جيداً. وهكذا عارض الشاعر الفارسي عراقي، (المتوفي ١٢٨٩)، عارض في مقدمة اللمعان، ابن عربي:

انا عنقاء الغرب: انجول غير مرئي اخذت السماء والارض، بالعين والجبهة.. كل لسان يردد كلمتي، واستمع بكل الاذان: يا للسر الغريب، فليس لي لسان او اذنين: طالما انا الوحيد في كل شئ حي. في السماء وفوق الارض لا يوجد شبيه لي. ونستطيع ان نؤكد هنا ان تلك الابيات التي نشرها في كتاب الصوفية: "ا. ج. ارييري A. J. Artery Sud, 1952, P. 122 "

فؤكد الافكار والتعابير تشبه ادعية ونصوص اليزيديين.

وجود تحول كهذا الذي نراه في الممارسات، في اللغة، وفي التنظيم لا يمكن اعتباره شيئاً طارئاً مطلقاً، او حتى مجرد صدفة. هنالك شئ يعود فعلاً لليزيديين ويعتبر ملكاً لهم؛ فاذا ما اضيفت اليه بعض التفاصيل هنا او هناك فلن تضيف ابداً ما هو اساسي. ولسوف يدهشنا رأي "منزل Menzel"، الذي يعتقد ((باستحالة امكانية ان يتحلل نظام صوفي اسلامي ويتحول الى عقيدة تبتعد عن الاسلام وهي اليزيدية))¹⁵³. فالاجدر آنذاك الاقرار وبصعوبة بوجهة نظر نيكييتين ((الذي اعتقد ان الكرد اليزيديين لم يكونوا ابداً مسلمين))¹⁵⁴ اقول، ((فهل نبعت الاشجار هؤلاء السادة الكتاب من رؤية الغابة))؟ لايمكننا اذن ان نغض الطرف ولا نرى الحقيقة. لقد رآها جيداً السيد "ف. ماينر F. Meiner" وكتب يقول: ((لقد خضعت الصوفية لتأثير دين اجنبي واحد. لقد تم اجتثاثها من الاسلام ذاته؛ وذلك في بقعة واحدة فقط في العالم: هنا في بلاد ما بين النهرين، وبلاد فارس¹⁵⁵، لكنني ساذهب بعيداً واقول ان ذلك الاستاذ العالم ان اليزيديين قد وجدوا اصولهم المهترقة في الاسلام ذاته، وليس بالضرورة في عقائد اجنبية اخرى. ولذلك فليس امامنا الا ان نتوقف امام عقائد اليزيديين الخاصة المميزة لهم لكي نتوصل الى حقيقة الاصول. واذا ما سلكنا الطريق المعاكس، يعني اذا ما درسنا اولا العقائد دون ان نغمسها مسبقاً في الوسط الذي اثرناه، فسنخاطر في الواقع، وكما حدث

¹⁵³ TH. Menzel, art. *Yezidi*, dans *Ens. Isl.*

¹⁵⁴ *op. cit.*, p. 226.

¹⁵⁵ F. Meier, "Soufisme et de`clin culturel", dans "Classicisme" et de l'clin culturel dans l`histoire de l'Islam (Paris, 1957, p. 233).
Dumeme auteur: *Der Name der Yezidi`s*, dans *Westastliche Abhanilangen, Festchrift fur Rudolf Tshudi*, Wiesbaden, 1958, p. 244-599.

لكثيرين، بالابتعاد والتهيه وبخلط النظم والنظريات حيث لا يبقى شئ في موضعه ويبقى الكل غامضاً غير قابل للشرح^{١٥٦}.

١- قصص اسطورية عن الاصول:

لقد اعاد اليزيديون صياغة القصص التوراتية عن الخلق والتي انتقلت الى القرآن، وقدموها في شكل مختلف يتلاءم وعقائدهم الخاصة؛ كما اورد الدموجي. واللؤلؤة البيضاء التي خلقها الله في البدء، كما يذكر "الكتاب الاسود" فهي فكرة مانوية اعلنها جعفر في احد احاديثه^{١٥٧}. واليزيديون ليسوا احفاد ادم وحواء كما هو حال باقي الانسانية، انهم احفاد ادم فقط، وهناك تغييرات مشابهة للقصص التراثية القديمة، لدى الدروز مثلاً والذين يذكرون ثلاثة رجال باسم آدم. وفي ذلك اشارة واضحة لتفاعل الافكار الكونية في الاوساط الاسلامية لذلك العصر. بل، انهم بالغوا في حالة الملائكة السبعة التي وهب الله لها قدراته، والتي تحمل في طياتها بقايا من الزرادشتية. ولكن الاسماء التي يطلقها عليها اليزيديون، اسماء معروفة في الاسلام^{١٥٨}. وفيما بعد، تداخلت تلك الاسماء

¹⁵⁶ في كتابه: "تاريخ اليزيدية"، يجد العزاوي لديهم العديد من الممارسات والعقائد الصوفية التي وصلوا لها الى الذروة، مثلاً حول الشيطان الذي لا يجب لعنته، ص ٥٣-٥٧. وتناسخ، ص ١٣٨. وكل المؤسسة الدينية، ص ١٧٦.

¹⁵⁷ Massignon, *Essai*, p. 237; Cf. Lescot, *op. cit.*, p. 55, n. 3.

¹⁵⁸ تلك هي قائمة الملائكة كما وردت في النص الكردي للكتاب الاسود الذي نشره "بيتنر Bittner": "عزرائيل، باردائيل، اسرافيل، ميخائيل، جبرائيل، سمنايل، تورايل". وذلك الالت القراءة غير الواضحة اسمه الى "نورايل" وتوجد بعض التنويعات التي تعود اكثر الاحيان الى اخطاء في قراءة الناشرين. ويكتب الاب "ب. انستاس" ميخائيل وسمائيل. ولتذكراته في كتابات الاحبار نجد سمائيل يوصف بملك الموت، يأخذ مكان الشيطان بعد القرن الثاني، انظر:

والتناقضات^{١٥٩}. والى جانب الملائكة، فإن الشخصيات الرئيسية البارزة

(Cf. Bonsirven, S.J. Le Judaisme palestinien au temps de J.C., Paris, 1935, I, p. 245).

في حين ان اسماعيل بك والذي اعتقدنا انه يعرف الكثير يقدم لنا قائمتين في ص٧٢ و ص١٠١، حيث يختلف ترتيب اسماء الملائكة، بل ولاتتشابه الاسماء حتى مع القوائم العادية. وهكذا فلا نجد لديه اسم جبرائيل، والذي يعطيه دوراً في الخليقة مع ذلك، مما يثير بعض الغرابة، ويحل مكانه في القائمتين اسم "زرزائيل" ويكرر اسم شمخائيل.

ومن هذه الاسماء السبعة يعترف الاسلام الرسمي باربعة اسماء: "جبرائيل، الملحق، ميخائيل، جالب المطر، عزرائيل، ملك الموت، ..ازازيل، الشيطان الذي تنكر في اسرافيل واسرافيل المعروف في الاسلام بانه اخر من يقرع الطبول في يوم الحساب، انظر: (Temple, *op. cit.*, p. 191). ونجد هؤلاء الملائكة الاربعة لدى الدورز كما نجدهم لدى اهل الحق. وهؤلاء واولئك اضافوا اليهم اسم ملك خامس: "ماتاترون" لدى الدورز واخذوه من تراث الاخبار، انظر:

(Cf. H. Guys, *La nation druze, son histoire, sa religion, ses moeurs, et son e`tat politique* (Paris, 1863, P. 207-208).

ومن جانبهم اضاف اهل الحق "رازبار" حامل الاسرار، وهو اما انثوي او خنثي. انظر: (Cf. Minorski, art. *Ahl-i Hakk*, dans *Enc. Isf.*, (2 edition, 1956), p. 269a.

ونجد كذلك ظاهرة تناسخ هؤلاء الملائكة وتمائلهم في اسماء اسر الشيوخ الحاليين.¹⁵⁹ فيما يلي "تناسخ" الملائكة في الترتيب الاعتيادي: طاووس ملك، شيخ حسن، شيخ شمس، ابوبكر، شيخ سيكاوين، شيخ نصرالدين، شيخ فخرالدين. وهنا كذلك ابتعد اسماعيل بك عن المصادر العامة. وفيما يلي قائمته:

شمس الدين، فخرالدين، امادين، ابوبكر، سيكاوين، نصرالدين، يزيد. وفي قائمته الثانية، ص٧٣: طاووس ملك بدلاً من ابي بكر.

وثبتت هنا انه الوحيد الذي يذكر يزيداً ويستبعد ابي بكر. وهي الوحيد ايضاً الذي يضع امادين في القائمة. وربما وجدنا من الغريب كذلك وجود طاووس ملك في القائمة طالما انه مبدئياً يتساوى بعزرائيل والذي هو ملاك كذلك. ويدهشنا كذلك عدم وجود اسم الشيخ عدي في اية قائمة من تلك القوائم. وربما يكون السبب انه كان اعزباً ولم تكن له ذرية من صلبه يمكن ان تنتفع ويقدم لنا الديمولوجي (op. cit., P. 41-44)، الاسر الحاكمة الثلاث من الشيوخ:

التي نصادفها في الكتابات والقصاص الاسطورية اليزيدية هي الاكثر شعبية في الكتابات الادبية والتراث الاسلامي: سليمان الحكيم، بلقيس، نوح وطوفانه، النمرود، النبي يوحنا والخضر الغامض. وستكون قصص الطوفان سبباً لمعرفة اسم قرية (عين السفني `Ain Sefne`)، المركز الاداري في شيخان. انها عين السفينة، النبع الذي رحلت منه سفينة نوح واخترقت صخرة (سنكلوب) Sinkloub في سنجار¹⁶⁰. وقبل ان تحط على قمة جبل جودي. وهكذا نرى ان كل الرحلة البحرية لسفينة النجاة وقعت في اراضي اليزيديين. وقد اظهرت بوضوح حادثة جبل سنجار الدور المنقذ للحية، وكان الحموي (توفى ١٢٢٩) على علم بها. فقد اثار الحية غضب وحنق نوح الذي اراد التخلص منها فرماها في اتون النيران. وقد تولدت البراغيث من رماها¹⁶¹.

(١) الادانيين مع ست من السلالة: الشيخ حسن الذي يُقرأ بشكل صحيح، شرف الدين، زين الدين، ابراهيم، موسى، يتيم. (٢) الشمسانيون، مع سبعة من السلالة: الشيخ شمس الذي يقوم على حراسة مقر الشيخ عدي، فخرالدين من ذريته بابا الشيخ، ثم مند، سيكادين، نصرالدين، بهاءالدين، امادين؛ والاسرة (٣) الثالثة هم القطانيون ولهم سلالتان فقط: الامراء وابوبكر. هكذا يمكننا ان نلقى الضوء من تلك القوائم على ذلك "الفرع" من ذلك التكوين العائلي والذي خرج منه مؤلف "الكتاب الاسود" وتاريخ كتابته ربما؟ وفي جميع الاحوال فان الامراء خارج اللعبة.

¹⁶⁰ Cf. Azzaoui, *op. cit.*, p. 69; Ismail Beg, *op. cit.*, p.76.

¹⁶¹ Ismail Beg, *op. cit.*, p. 76P Damlooji, *op. cit.*, p.6-7; A. hasani *op. cit.*, p. 52.

يقولون انه بعد الطوفان فقط تكلم الله مع آدم بالكردية. ولربما تكون قد جاءت للحظة اذن للحديث عن دور للافعى لدى اليزيديين؟ ففي الاعلى من احد ابواب معبد الشيخ عدي يوجد ثعبان اسود مجسم اثار ويثير دائماً في كل زمان الاهتمام والتفكير لدى زوار المعبد. وزيادة على ذلك، نرى في باحة المعبد نفسه وفوق باب الغرفة، نرى اسودا متوجهة لانسان. وعلى يمين باب معبد الشيخ شمس توجد افعى كذلك. وفي حين

يحرص اسد الجانب الايسر. توجد افعى ملتوية على يمين مدخل معبد نصر الدين.
انظر: (Cf. Drower, *op. cit.*, p. 152, 153, 155, 161, 165)
هل يجب علينا ان نرى في ذلك بقايا عبادة ما للافعى، كما ذهب الى ذلك بعض الكتاب؟
والتي يمكن ان تكون بقايا للوثنية؟ انظر: (Cf. Wigram, *op. cit.*, p. 101; Nikitine, *op. cit.*, p.245-252)
في مذكرات الرحالة الذين وفدوا الى كردستان، غالباً ما يتحدثون عن كهوف تعيش فيها
(Cf. Muller-Simonies, *Du Caucase au Golfe persique*, Paris 1892, p. 292-294.
فقد وضحنا سابقاً في ص ٢٦ من مقالتي ان المشايخ من فرع اسره "مند" قد اشتهروا
بابتلاعهم الافاعي كما الحواة. وصور "جيدال Gidal" في مقالة "رز مازون R. mason"،
وكذلك صور الليدي دراور، ص ١٦، مثيرة جداً للخيال، ولكننا لا يمكننا
مطلقاً ان نعتبر ان حركة الابتلاع تلك ممارسة لطقس عبادة، فليس اكثر من رمي
الافاعي في النار كما فعل نوح. انظر: (R. C. Temple, *op. cit.*, p. 196-197)
حيث يعتقد السيد نوفيل ((بأنه ليس من الضروري الخروج من اطر الاسلام لتقديم الشروح
لاهمية الافاعي السوداء المنحوتة في باب معبد الشيخ عدي والتي يقبلها الحجاج. ويقدم
اسطورة عربية بخصوص الكعبة في مكة تقول ان "ابراهيم" قد حفر ليضع فيها كنزاً
ويعرفها المسلمون بالخسفة. وكان الكنز دائماً يسرق من افراد جرهم، من العرب البائدة.
ونتيجة لذلك امر الله الافعى لتبقى في الحفرة وتحرس الكنز. وفيما بعد لم يرض ان تقوم
قريش بترميم الكعبة فارسل طيراً وسحب الافعى واخرجها من الحفرة. وهو رأي مقبول
احتمالاً: ولكنني اعتقد ان القضية ابسط من ذلك بكثير، فلنذكر اولاً ان الاسد كان رمزاً
"للاتابك" وان اليزيديين ظهوروا في عهدهم. وتوجد اسود في كل مكان حتى في دير مار بهنام،
بالقرب من نمرد. ولكن يمكننا ان نقرأ في قصيدة الشيخ عدي التي ذكرناها سابقاً، اي
الابيات ٣٥-٣٨، وضعت على لسان القديس نفسه:
انني ذلك الذي جاء اليه الاسد من الصحراء:
وبخته، واصبح حجراً.
انني ذلك الذي جاء الثعبان اليه
وبارادتي جعلته لا يختلف عن ذرات التراب.

ب- التناسخ والتحول المتنقل:

منذ بدايات الاسلام، بلور بعض المتطرفين المعروفين بـ "الغلاة" نظريات وجدت لها مكاناً ملائماً لدى اليزيديين. وكما كان لعلي اتباع صارمين اشداء، فقد كان ليزيد بالمثل كذلك. وصادف ان كان الشيخ عدي مروانياً، سليل الامويين، فسيكون ولاؤه اول ما يكون للامويين. وظل كذلك مناصراً ومسؤولهم ضد من خلفهم من العباسيين. يقول "جيدي" Guidi¹⁶² ان الصوفييين في كردستان ظلوا انصاراً للامويين ولقضيبتهم. ووجد عدي حينذاك نفسه في وسط ملائم. ولم يرض بعض انصاره واتباعه المتطرفين ان يكون خليفتهم مجرد نبي بل ذهبوا الى ابعد من ذلك واضفوا عليه صفة الالوهية. والشيخ عدي نفسه الذي لم يكن منحازاً واعتبر ان يزيداً وعلياً مسلماً خالصاً، كان يجاهد بدوره على ما يبدو ضد اندفاع افراد طائفته. بل انه كان نفسه ضحية تلك المبالغات. ولم يمر قرن على وفاته حتى اصبح قبره مزاراً للحجيج بدلاً من مكة. وقام بعض اتباعه بتأليهه كما فعل العلويون مع علي¹⁶³. بل ودار حديث عن ثالث الهى يتكون من طاووس ملك، يزيد

وليذكر على اي حال، ان تلك الابيات لم يذكرها الديمولوجي لانها كانت صعبة القراءة لعدم وضوحها كما قال في (op., cit., p. 94) لانها لم تكن موجودة في النسخة التي قرأها بادجر، قبل ذلك بقرن من الزمان. ففي اسطورة القديس التي ذكرها محمد امين العمري، (١٧٢٨-١٧٨٨) التي ذكرها "ا. ج. السيوكي" (١٨٨٥، ص ٨٠) تنسب الى "مازي"، يجترح العديد من المعجزات، من بينها ((ان الاسود والافاعي التي تعيش في جواره ويتواجدون معه، كانت لطيفة ورقيقة رقة غير طبيعية)). لا يمكننا ان نفكر بان تلك القصص الاسطورة قد تجسدت في تلك المنحوتات والتي لا يعرف من يشاهدها اليوم اي رموز تجسد؟

¹⁶² Gudi, *Nuove ricerche*, p. 407.

¹⁶³ ان السيد "توميل Temple" في (op. cit., p. 163-164)؛ حيث يقول بانه يجب وصف اليزيديين ومعاملتهم كما الغلاة اي المتطرفون. ويقارنهم بجماعة العلويين الذين

والشيخ عدي. وفي المقابل يوجد آخرون تحققوا من هوية تلك الشخصيات. ويوجد هناك بين الاوروبيين من ينظر الى الاشياء نظرة نظامية جداً تعتمد فقط على معطيات عامة وعلى مصادر مضطربة وعلى معلقين ينسبون هذه الصفات او تلك وهذا النشاط او ذاك لتلك المخلوقات السامية.

وتبدو لنا عملية التناسخ والاحتواء تلك غريبة بحيث سمحت بذلك الجهد المضني للدراويش لتقديم ذلك التماثل الغريب مثل القول بان يزيداً والمسيح واحد. انها نظرية تميز الغلو. كما ان الدروز الذين سبقوا بقليل ظهور اليزيدية يُقرونها ويقرها النصيريون كذلك. ومع ذلك فقد اثرت سلباً على فكر بعض اللاهوتيين المعتزلة، كابن "هيت Ibn Hait" و"ابن ياتوش Ibn Yanoush" والقرامطة، مثل "ابو يعقوب السجدي" الذي اقرها بدوره لعمق جوهرها النوعي. وهو ما يذكره لنا "ل. ماسينون L. massignan"^{١٦٤} وعلى اي حال، اذا لم تكن تختلف اشكال التناسخ المعروفة لدى اليزيديين سوى شروحات او تنسيق قدمها العالم "الاب انستانس P. Anastase"^{١٦٥}، سنجد انفسنا آنذاك مجبرين على الاقرار بان جميع تلك المفردات التي تعبر عن التناسخ لا علاقة لها باللغة الكُردية: الراسخ، المسخ، التفسخ، او النسخ^{١٦٦}.

يؤلّهون علياً، او بطوائف اخرى تتبع عقائد غريبة عن الاسلام كما التجسد والتناسخ. ويختتم بقوله، ص١٦٦: ((ان الافكار غير الصادقة وغير الصحيحة المنسوبة لليزيديين ليس بالشئ الاغرب. ان ليس في الصعوبة الدراج اليزيديين في مجموعة (فولد) المسلمة او في العديد من الجماعات المهترقة المخالفة للدين)).

¹⁶⁴ Massignon, *Essai*, p. 52.

¹⁶⁵ Anasfase, *Al-Machriq*, 1899, p. 153.

¹⁶⁶ نستطيع ان نقرب احلام الكوتساك وكشفهم الخارق لمصير الموتى باحلام عبدالوهاب الشعراني (١٤٩٣-١٥٦٥) التي يوردها "ا. ج. ارييري" في كتابه الصوفية، (Le Sovfisme, p. 148-150). ونحن لانشكك في استقامة ودقة ذلك الكاتب الصوفي ولا في ثقافته. ولكنه يفتقد روح النقد. كما ان ميوله نحو الخرافة تسمح لنا بتفهم افراط

ج- الشيطان: منبوذ ام محبوب؟

ان مايصدم الفكر في الدين اليزيدي مع ذلك، هو دونما شك عبادة الشيطان في شكل الطاووس، ويطلقون عادة على اليزيديين صفة " عبدة الشيطان". ويقومون بذلك في الاساس استناداً على تصورهم انهم قادرون على التعرف في الدين اليزيدي على بعض آثار الثنائية الايرانية. ولماذا الذهاب بعيداً، فبعض المتصوفين المسلمين لم يعبروا عن مشاعر قرف او كراهية تجاه ابليس. بل انهم يعتبرونه اقل شرا من بسطاء المسلمين في الواقع. وهناك ارث كامل حول كل ذلك. وبدأ مع "توستاري Tostari" متصوف من القرن الثالث الهجري. والذي اشتهر بمبدأ يقول ان التابع يكون بالنسبة لشيخه "كما" الميت بين ايدي من يقوم بتغسيله. وهو مبدأ نراه كذلك في ماكتبه القديس اجناس "دو لويولا Igance de Loyola" حول الازمان كما الميت بل ان "توستاري" قد اقر بان الشيطان كما غيره من المخلوقات سيرى الله بعد العفو عنه يوم الحساب¹⁶⁷ وقد تبعه في ذلك الحلاج الشهير ظل يقول وهو على المشنقة حيث صلب عام ٩٢٢م، بان صديقيه هما: ابليس و فرعون، وان ابليساً قد هدد بسعير الجهنم ولكنه لم يتراجع...¹⁶⁸. هذا الحلاج نفسه في كتابه "كتاب الطواسين" قد وضع مايلي على لسان الشيطان، ولكنه في الواقع كان يعبر عن مشاعره هو:

((اتوق اليك

لا اتوق اليك من اجل بهجتي

وهو سن المشايخ اليزيديين. وعندما ينعدم وجود الالتزام العقائدي، لايجب ان نندمش لاي شئ يحدث.

¹⁶⁷ massignon, *Essai*, p. 296.

¹⁶⁸ Cite` dans Arberry, *op. cit.*, p. 68.

لا، ليس من اجلي، اتوق اليك في غمرة عذاباتي
آه! كل ما انا في حاجة اليه،
تخلت عنه،

فيما عدا قدرتي على الافتتان بالحب،
وانا في غمار آلامي^{١٦٩}

يختلف هو الشيطان بالتأكيد عن ذلك الذي يقدمونه عادة، والذي
يتمتع بجاذبية على بعض النفوس الحساسة. ومن جانبه، يرى احمد
الغزالي شقيق الغزالي الكبير المعروف (توفى ١١١١)، يرى في الشيطان
سيد الموحدين^{١٧٠}. و"عبدالقادر الكيلاني" (١١٦٦) نفسه، الذي يسميه
"در منغن"^{١٧١} (سلطان القديسين)، يقص علينا حلما رأى فيه الشيطان
الملعون، وتسأل دون ان يستطيع ايجاد حل للمشكلة: كيف يتلاءم
العقاب الواقع على الشيطان وفكرة القدرية^{١٧٢}.
ومن الجيد هنا ان نذكر ان اليزيديين يحفظون ولاءً للمتصوفين*
المسلمين، ويوزرون مقامهم وكانوا قديماً يقرأون كتاباتهم. انهم يتحركون
اذن في خندق نظرياتهم ويتتبعون تطوراتها.

¹⁶⁹ Massignon, *Al-Hallaj, le phantasme crucifié des docites et satan selon les Yezidis*, dans *Rev. Hist. des relig.* 1911.

¹⁷⁰ R. Lescot, *op. cit.*, p. 52; cf. Azzaoui *op. cit.*, p. 56-57.

¹⁷¹ *op. cit.*, p. 321.

¹⁷² R. Leseot, *op. cit.*, p. 51.

* نحن نعرف ان انهيار الدولة الاموية في معركة الزاب الكبير شمال العراق (١٣٢هـ)، ادى
الى هرب الامير بن ابراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد، حيث جمع فلول الامويين داعياً
الى احقية يزيد في الخلافة. وانه السفيناني المنتظر الذي سوف يعود يملأ الدنيا عدلاً.
ونحن نعرف كذلك الى ان اختيارهم للمنطقة الكردية يعود الى ان والد الخليفة مروان
الثاني الذي سقطت الخلافة في عصره، كانت كردية. وان (عدي بن مسافر) كان في
مقدمة الهاربين من السلطة العباسية، كما ان نسبه يعود الى مروان بن الحكم، وبلقبه
"شرف الدين ابو الفضل". وعاش هناك ودفن في منطقة لالش. وكانت الحركة في

وظلت النظريات الصوفية المناسبة لاعادة تأهيل ابليس بشكل نهائي، ظلت قائمة لدى بعض المتصوفين في الطرق الدينية. الى جانب اليزيديين بالطبع. وهكذا نرى عبدالكريم، قطب الدين، بن ابراهيم الجيلي (١٣٦٥-١٤٢٨)، سليل "عبدالقادر الكيلاني" قد اقر بدوره في كتابه الانسان الكامل، بأن ابليس في نهاية الزمان سوف يحصل على رؤية ورضوان الله^{١٧٣}.

واليزيديون ليسوا بمعزولين عن المسلمين وليس من الاقل مكانة. وفضلاً عن ذلك، هناك الكثيرون من المتصوفين يرفضون سب الشيطان او حتى التلفظ باسمه، احتراماً، تماماً كما يفعل اليهود عندما لا يكتبون او

البداية سياسية، وبسبب الظروف اندرجت الحركة في ميادين التصوف. ولكن عوامل الجهل والظروف البيئية انخرقت بها وخاصة بعد ظهور الشيخ حسن، حيث انفصلت تماماً عن الاسلام والتصوف وتأثرت بكل مناهج العقائد قديمها وجديدها خاصة الزرادشتية والتناسخ والخلول.. ووصل بها الامر الى تقديس الاسماء وبعض العادات؛ مثل تقديس يزيد وعدي وابليس (طاووس ملك) او عزازيل. انهم قوم يستنكرون لعن الشيطان، ولعن يزيد بل ولا يحبون اللعن عامة. ومن اهم صفاتهم كتمان السر. اما التصوف والاسلام فهم بعيدون عنه كل البعد مع انهم لا يزالون يحتفظون بالولاء للمتصوفين ويحترمون مزاراتهم. وظلت محاولات الحديث عن "هداية ابليس" لدى المتصوفة ولدى اليزيديين ايضاً. وابليس لم يطرد من الجنة، بل انه نزل من اجل رعاية الطائفة اليزيدية، انه رئيس الملائكة، وهو (طاووس ملك). اما التنظيم عندهم فهو: (الله، يزيد، عدي) وتراهم يستنكرون اللعن عامة وصلاتهم تتجه نحو الشروق والغروب، ويؤمنون بالتناسخ والخلول. ويعود سبب غموض تأريخهم دخولهم في معارك مع المغول والسلاجقة والفاطميين، ولجهلهم وعدم معرفتهم القراءة والكتابة فهي محرمة، لم يوجد مايدلل على نتائج كل ذلك. ولكن الحكام جميعاً ظلوا يضطهدونهم ويقتلون ويسجنون شيوخهم. من امرائهم من سافر الى مصر طلباً للعلم والتعبد مثل زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد، وظل في مصر وتوفى في التكية العدوية بالقاهرة، عام (٧٢٥هـ). [المتجمة]

¹⁷³ Cf. H. Ritter, art. *Al-Djili*, dans Eney. Isl.

يلفظون اسم "يهوه"^{١٧٤}. ومن هذا الاحترام السلبي وصولاً الى مشاعر التقديس لاتوجد سوى خطوة واحدة تخطاها اليزيديون. سقط الشيطان، ذلك خطوة واحدة تخطاها اليزيديون. سقط الشيطان، ذلك امر مفروغ منه. وبالمثل، اذا ما سقط الوزراء المغضوب عليهم كذلك، في الشرق واكثر من اي مكان اخر، فانهم غالباً يعودون للسطح. هذا اذا ما لم يتم استئصالهم في الحال. فمن الضروري آنذاك عدم ارهاقهم في محتهم حتى لايبقى لديهم ما ينتقمون لاجله على تصرفاتنا السيئة، وذلك الى ان يأتي اليوم الذي يعود اليهم فيه اعتبارهم. انه موقف اكثر من كونه انساني. ولكن كل ذلك لاعلاقة له ابدأ بتلك النظرية الدقيقة للمبداين اللذين يحكمان العالم.

اما بالنسبة لتقديم الشيطان في صورة الطاووس، فذلك ليس بدوره خاصاً باليزيديين فقط. فمن جهة، وقبل ان يتم طرده من الجنة، كان الشيطان يُلقب "طاووس الملائكة" لجماله الذي فاق جمال غيره من الملائكة^{١٧٥}؛ كما لدى المسيحيين الذين كانوا يسمونه حامل "النور" Lucifer، وذلك قبل السقوط. من جهة اخرى، تروى بعض القصص الاسلامية المتوارثة ان الطاووس كان يستخدم وسيطاً لابليس لخداع اجدادنا الاوائل. وهو بالطبع اكثر جاذبية من الافعى. ففي كتاب "القصص" للكسائي (٣٦-٣٩) والثعالبي (٢٠) ظهر الطاووس.

حاول ابليس التسلل الى الحديقة لاغواء آدم فمنعه الله. ثم التقى بالطاووس، رئيس حيوانات الحديقة، الذي قال له: ان جميع المخلوقات سوف تفنى وتموت، وانه يعرف مكان شجرة الخلد. ونقل الطاووس ذلك الى الافعى التي ذهبت لتري ابليس. ولكنه قفز بسرعة الى داخل فمها؛ واستطاع بذلك التسلل الى الحديقة وتحدث مع آدم بواسطة الافعى، واكلت

¹⁷⁴ Cf. Azzaoui, *op. cit.*, p. 53-60; Damlooji, *op. cit.*, p. 154-161.

¹⁷⁵ Damlooji, *op. cit.*, p. 9.

حواء من ثمار الشجرة.^{١٧٦} والمندائيون * بدورهم، والدروز،
والتختشية* واليزيديين يصورون الشيطان في شكل ذلك الطائر الرائع
العجيب^{١٧٧}. وهناك مثل قاله السيد "كنت"^{***} مُلخصاً تلك القصة بقوله:
(الطاووس له روعة الملاك، ومشية اللص وصوت الشيطان)^{١٧٨}.

واليزيديون، مثلهم مثل جميع جيرانهم مسيحيين او مسلمين، يعون
جيداً ما هو مسموح وما هو ممنوع؛ الخير والشر، بل ويعبدون الله
ويتوجهون اليه في صلواتهم. وهم لا يخشون الجحيم الذي لا وجود له
بالنسبة اليهم، بل ان دموع احد ابناء آدم قد اطفأتها؛ وحل محلها عمليات
التحول والتطهر والتناسخ في تتابع مستمر. ولكنهم يحلمون ويتوقون الى
مُتَع الجنة؛ حيث مخلصين له. وسيقدمهم على صينية يحملها فوق رأسه.
وحقيقة الامر هو ان الايمان والاحترام الذي يحيط اليزيديون بهما ابليس
لا يتوجها مطلقاً لعقلية شريرة. وما يقال عنهم بانهم عبدة الشيطان
لا يعني مطلقاً أنهم خدَم تابعون له. ولا يعني الامر لهم ان يكتسبوا تأييده
الواضح لهم عندما يسلمون انفسهم، بحرية تامة، دونما قصاص او عقاب
على جميع الجرائم او الخطايا: فهم ليسوا اسوأ ممن يحيطون بهم. وانما
هو على الاكثر شعور عارم بالامل لاسترداد الحقوق، والعفو عمن هو سئ
الحظ من امثالنا، لانه كان بعيداً عن وجه الله، ونتيجة لذلك تملؤهم الثقة

¹⁷⁶ J. Petersen, art. *Adam dans Ens. Isl*, cf aussi Jurlani, *Testi*, p. 29;
Azzaoui, *op. cit.*, p. 63-64.

* المندائيون، يقصد الصابئة المندائيون. [المترجمة]

** التختشية: كلمة تركية تعني الخطاين. وهي فئة شيعية اشققت عن الشيعة الامامية
وهم يُعرفون كذلك بالنصيريين (العلي الاهيين) [المترجمة]

¹⁷⁷ R. Lescot, *op. cit.*, p. 50.

*** كنت Kent، احد كتاب الانجليز المعروفين وارجو الا يختلط الامر على القارئ مع
الفيلسوف الالمانى كانت Kant [المترجمة]

¹⁷⁸ Stewart, J. haylock, *New Babylon*, p. 161.

في الرحمة الالهية الابدية. ولانتملك اليزيدية اي رابط بالمشاعر
الشيطانية التي افسدتها الغواية نتيجة افراط في المشاعر وتمرد على
الفضيلة. ليس لهم شئ من هذا بل الحقيقة تماماً هي ان عبادة الملاك
الطاووس ماهي الا نداء اليم مؤثر لاحلال الامل!

(٤) من الاسلام الى الشيطان:

اعتقد ان الاعتبارات السابقة تسمح لنا بالتوصل الى نتيجتين
مؤكدتين: اليزيديون كُرد، وفي لحظة ما من وجودهم ارتبطوا بعلاقة وثيقة
بالشيخ عدي^{١٧٩}. الا تدفعنا هاتان الحقيقتان الى اعتبار ان اليزيديين
وثنيون وتحولوا الى الاسلام على يد ذلك الشيخ المسلم الصادق، والذي
لم ينجح الا في اعطائهم صيغة الدين المحمدي وانهم حاولوا جاهدين
فيما بعد الى التخلص منها؛ ام انهم كانوا مسلمين عندما حل الشيخ عدي
بينهم؟ من الضروري التوصل الى ايجاد حل لتلك المشكلة من اجل
التعرف على الاصل الحقيقي لتلك الطائفة. ولكي نجدالحل تجب دراسة
الوضع الديني لتلك المنطقة الكُردية التي حل للاقامة فيها الشيخ عدي.
وحيث اننا يمكننا متابعة تطور اليزيدية التي عاشت ثلاث مراحل:

- مرحلة الاستيطان هناك (حوالي ١١٣٠-١٢٢٠).

- مرحلة ازدهار كبير وصراع (١٢٢٠-١٤١٤).

¹⁷⁹ لقد وضعنا سابقاً عدة نقاط اتصال. ونضيف اليها العديد من المحرمات والوامر
بخصوص الشيخ عدي. مثلاً ياقة القميص مدورة كما ياقته؛ لا يأكلون لحم الغزال لانه
يمتلك قطعاً منه، ولان عيون الغزال تشبه عيونه. ولايتناولون مطلقاً الخس لانه قال
بنفسه: ((ان الدائرة السحرية تكتمل بالمثل جراً عادة للشيخ... الخ)). واكثر من ذلك،
يحتفظون بحرص شديد بعدد من بقايا اشياء القديس، مقره لدى احدى اسر الشيخ
شمس، سجاته التي كان يصل علىها لدى بابا الشيخ وسراجه موجود لدى اسماعيل بك.

- مرحلة افول وانحطاط (من ١٤١٤ وحتى الآن).

١. تمهيد الارضية:

تعتبر الشيخان المركز الديني الرئيسي للطائفة ويمكننا ان نقول انه مهدها؛ كونها معروفة جيداً للمؤرخين القدماء مسلمين ومسيحيين. وتشير ((فصول شهداء فارس)) الى ان المجوس سيكونون في اصل اولئك السكان. وهم سوف يناهضون التبشير بالانجيل في بلادهم. وها هم ارسلهم المتنفذون جداً في بلاط الساسانيين وسيكونون السبب في تلك الملاحقات الدامية خاصة في ظل حكم شابور الثاني (٣٠٩-٣٦٣). ومع ذلك، انتشرت المسيحية قليلاً وانشئت اسقفيات كثيرة في كردستان. وفي المجمع الكنسي في سيلوس عام (٤٨٠) في ظل حكم يزديجرد الملائم للمسيحيين استقر رؤساء ابرشيات مقاطعة (آديابين) يعني اساقفة اربيل و(بيت يوهادر) و(بيت بغاش)، و(بيت دازن)، و(بيت رامونين)، و(بيت ماهكرت). وفي عام ٤٨٦ في قلب كردستان وفي بيت (ازرا) حيث كانت منذ ذلك الوقت مقراً لامراء اليزيديين عقد البطريرق النسطوري "اكاس Acace" مجمع رؤساء كنيسته. قُسس جُدد، اساقفة مستقبليون سيكونون غالباً مجوساً قدماء اعتنقوا الدين المسيحي ولكنهم حاولوا جاهدين في كتاباتهم الا تظهر او تبرز بعض العقائد ستحتفظ فيها الوثنية بجميع مواقعها.

ودخل الاسلام بدوره. واتصل المسلمون بكردستان منذ احتلالهم تكريت و حلوان عام ٦٣٧. وتوجه سعد بن ابي وقاص، نحو الموصل، حيث تم احتلال المناطق ذات الكثافة السكانية الكردية وكذلك المرج (او بلاد مارغا)، (با نوهادرا) و (با ازرا)، و (هبتون) و (دازن)... الخ. ولكن تلك الحملة لم تستطع اسلمة البلاد كلها. واصطدمت قوات الخليفة عمر مع كرد الاحواس وسالت دماء غزيرة قبل احتلال شهرزور عام ٦٤٣ و

(بيروود و بالازجان) في ٦٤٥. ولكن سقوط الساسانيين عمل على تسريع سقوط وانهيار الدين الرسمي ومازالت اطلال قصر الملك جولندي باقية في سورداش بالعراق، وكان قد ادعى بتحالفه مع الشيطان من اجل صد جيوش الخليفة علي. وفي ظل حكم الامويين، قام الحجاج عام ٧٠٨ بمعاقبة الكُرد الذين نهبوا فارس. ولكن هؤلاء الكُرد انفسهم ساعدوا الخليفة مروان الثاني ضد الخوارج (٧٤٤-٧٥٠) وكانت والدته كُردية^{١٨٠}. وبعد ذلك، وفي عهد المكدونيين والملوك البارثيين الذين خلفوهم، تم انشاء مدينة سلوقيا والمدائن، حيث استقدموا من بابل من تبقى فيها من السكان الذين قضى على أكثرهم نتيجة لضروب الزمن والاستبداد. ومن الصعب جداً تحديد الفترة الزمنية التي تم اهمالها تماماً فيها.

وتحدث "جون دوبنيك" Jeaude Pe`nek في (فينيك على نهر دجلة) في القرن السابع و "تيودور باركوني" The`odore Bar Koni ايضاً في ٧٩١ عن عبادة تموز التي كانت موجودة في عصرهم. ونرى الاسقف النسطوري، توماس دومارغا" في كتابه "تأريخ الرهينة" او "كتاب النخب"^{١٨١}. انه لم يكن اقل صراحة حول ذلك الموضوع. بل انه يُذكرنا بان عبدة الشمس والاشجار الكثيفة والمجوس مازالوا موجودين في

¹⁸⁰ المعلومات الموجودة في تلك الفقرة جاءت من ابن الاثير (م. ١٢٢٣) حول اسلمة الكُرد، وجمعها مينورسكي في مقالته الكُرد في الانسكلوبيديا الاسلامية. اما المعلومات حول اعتناقهم المسيحية فتوجد في المصادر المذكورة سابقاً، توماس دومارغا، THOMAS DE MARGA, e`d. Budge, II, p. 606-607; 633-636, et *La Vie de Yousseph Bousnaya*, e`d. CHABOT (Paris, 1900), p. 54-55. Voir aussi J. B. CHABOT, *Synodicon Orientale ou Recueil de Synodes nestoriens* (Paris, 1902), p. 53, et passim. (179bis) A. MAZAHE`RI, *La vie quotidienne des Musulmans au Moyen-Age* (Hachette, 1959), 6 e`d., p. 12.
¹⁸¹ R. LESCOT, *op. cit.*, p. 23-24.

البلاد. بل وما زال "الاب اوراهام" (٨٦٦-٨٣٦) احد معاصريه الاسقف النسطوري الحاكم انذاك يعلن انه كان دائماً مُتهماً بتلك الخرافات القديمة. ومع ذلك يبدو ان انتشار المسيحية كان يتقدم شيئاً فشيئاً. وانشئت الاديرة واشتهرت بكثرة تلك الاديرة التي اقيمت هناك وكانت قائمة دون شك في القرن الثامن في تلك المنطقة، التي اصبحت منذ ذلك الوقت ارضاً يزيدية.

ومن جهة اخرى، فان كُرد المنطقة والذين كان جزء كبير منهم ان لم يكن معظمهم مسلمين، قد انتفضوا اكثر من مرة ضد الخلفاء وجنودهم. وفي العام ٨٣٩، انسحب القائد الكُردي "جعفر بن الفهرجي" بعد هزيمته بجيوش الخليفة المعتصم. واصطف الكُرد في الموصل الى جانب الخارجي "مساور" في العام ٨٦٦. ومع الاعوام ٨٩٤ اتخذوا جانب "حمدان بن حمدون" العربي الذي احتل الموصل. وفي العام ٩٠٦ نجح "محمد بن بلال" من قبيلة "حدباني" الكُردية في احتلال منطقة (نينيف Ninve) وفي النهاية الحق به "عبدالله بن حمدان" الهزيمة وطرده والحميديين وسكان جبل داسن. وفي العام ٩٤٠ لم يكن يستخدم المغامر دايزام ابن ابراهيم، كُردي الام، في حملاته في اذربيجان سوى جنوداً كُرداً. يمكننا ان نرى اذن في كل تلك الحقائق ان الكُرد في بداية اعتناقهم للاسلام كانوا في مجموعهم يؤيدون الخوارج، وحتى البعض منهم قد اتبع المذهب الشيعي.

وقد انعكست جميع تلك الاضطرابات والتمردات والنهب والسلب والمعارك، التي يتحدث عنها ابن الاثير، انعكست على وضع المسيحيين. وعندما كتب "جان باركالدرون Jean Barkaldoun" عام ١١٨٦ كتابه حول استاذة "يوسف بوسنايا" المتوفي عام ٩٧٩، عانت المنطقة المسيحية الامرين وخاصة الاديرة وقال انها عقاب الهي بسبب عدم ايمان القساوسة. كتب عن النهب والسلب الذي قامت به القبائل الكُردية والمسلمون الهكاريون والذين

قاموا اكثر من مرة باجبار القساوسة على ترك عزلتهم والبحث عن مأوى في مكان اخر. وهكذا نرى ان الهجوم الذي اجتاح منطقة دازن كلها قد اسفر عن مقتل خمسة الاف نسمة على ايدي الهكاريين. ولكن في الاعوام ٩٨٠، هاجم "عبد الدولة" العربي بدوره هؤلاء الكُرد الهكاريين انفسهم وصلب المتمردين على جانب الطريق ما بين (معالتاي والموصل) على مسافة خمسة فراسخ. واذا ما عرفنا المنطقة سنجد ان هذه الاحداث مثيرة جداً.

وفي القرنين العاشر والحادي عشر يمكن التأكيد بان جميع الكُرد اعتنقوا الدين الاسلامي واصبحوا سنيين يتبعون مذهب الامام الشافعي (٧٦٧-٨٢٠). بل ان الكُرد اصبحوا قادرين على تأسيس ممالك صغيرة مستقلة نوعاً ما في بعض انحاء كُردستان. "الشداييون (٩٥١-١١٧٤)، حكموا في (گنج Gendj) و (آني Ani). الحسنويهييون (٩٥١-١٠١٤) سيطروا على خوزستان، "بنو عنان Banbu Annaz" من شهرزور امتدت املكهم الى دهوك واعقبوا الحسنويهييين في الحكم. ثم اخيراً اسرة المروانيين Merwanides (٩٩٠-١٠٩٦) هي الاكثر شهرة والتي امتدت اقطاعياتها الى جميع مناطق دياربكر، خيلات، مالزگرد، ارچيش، وشمال شرقي بحيرة وان، وقد نجحت ولقرن كامل تقريباً في الحفاظ على الوحدة السياسية للاراضي الكُردية.

وسارت الحياة الدينية الاسلامية جنباً الى جنب مع الحياة السياسية والاجتماعية، وبعد قليل ظهرت الصوفية في كُردستان. يقول المؤرخ "المقدسي" الذي زار كُردستان عام ٩٨٠، انه وجد فيها اربعين متصوفاً يرتدون ملابس الشعر ويعيشون على ثمرة البلوط^{١٨٢}. واعتنق قاطع طريق قديم كُردي الاسلام "ابو محمد ابن شونبوكي"، واصبح السيد الروحي لكُرد

¹⁸² R. FRANK, *Scheikh `Adi, der Grosse Heilige der Yesidis* (Berlin, 1911). On trouvera quelques texts du cheikh dans LESCOT, *op. cit.*, p. 27; AZZAOU, *op. cit.*, p. 34-38; DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 78-80.

آخر هو "ابو الوفا الحلواني" من "قالمييني Qalmin" (المتوفي بعد ١١١٠) والذي كان الاول في العراق الذي حاز على لقب "تاج العارفين". ومن بين اتباعه، ماجد الكُردي، ومع ذلك فقد اختار الكثيرون من الكُرد، مثل: "ابوبكر الخبازي"، و"شويد السنجاري"، و"مطر البدراني"، وغيرهم اختاروا حياة الزهد والعزلة في جبالهم يمارسون طقوس العبادة والنسك والتأمل الصوفي^{١٨٣}. وفي خضم كل ذلك برز الشيخ عدي.

٢. فجر مشرق للطريقة الصوفية:

١- قديس مؤسس:

وهكذا اذن وخلال القرن السادس الهجري اي حوالي (١١٣٠م)، جاء الشيخ عدي، الناسك المسلم الراغب في العزلة واسس زاوية في قرية لالش الصغيرة في جبال هكاري، الواقعة على بعد مسيرة تسع ساعات شمالي الموصل. وكان مظفر الدين، حاكم اربيل قد التقى الشيخ عدي في صباحه في الموصل ويحمل له ذكرى جميلة ذلك الشيخ، الاسمر، متوسط الطول الطيب الذكر والذي يذكره الجميع بكل الخير وتلك الشهادة الوحيدة لاحد معاصري الشيخ عدي، والتي اوردها ابو البركات (١١٦٥-١٢٣٩) في كتابه "تأريخ اربل" وقد ضاع هذا الكتاب اليوم، ولكن يذكره ابن خلكان (١٢١١-١٢٨٢). الشيخ الروحي للاكراد الذين اعتبروه اماماً لهم. وكان الشيخ قد جاء من سوريا، من ضواحي بعلبك وكان يمارس نفوذاً عظيماً على سكان الجبال في بلاد هكاري، حيث اعتزل هناك حتى وفاته عن عمر ناهز التسعين، في شهر محرم عام ٥٥٧هـ اي ١١٦٢م، استناداً على ما اورده "ابن الاثير" (المتوفي ١٢٢٣). تلك هي المعلومات القليلة التي لدينا عن حياة وصفات وتأثير ذلك الرجل الذي اعتبره اليزيديون اماماً لهم ولا جدل حوله.

¹⁸³ MOHAMED AMIN AL-OMARI, *Minhal al-Awlia wa mishrab al-esliya*, cite` dans SIOUFFI, J. A., 1885, p. 80.

ومن جهة اخرى تعرف ان الصوفية قد وصلت آنذاك الى قمة ازدهارها، كما ان الشيخ عدي كان صوفياً صادقاً. ونعرف عدداً من رفاق دراسته الذين اصبحوا شيوخاً معروفين امثال: "عقيل المبيجي"، و"حماد الدباس"، و"ابي النجيب القاهر السهروردي"، الذي كتب مؤلفاً صغيراً عن الصوفية ليستخدمه التجار بعنوان: "آداب المريدين" (المتوفي ١١٦٨/٥٦٣) في بغداد). وكذلك ابي الوفا الحلواني؛ ومن بين اتباعه الاربعة عدد كبير من الكُرد، من بينهم (١٧) اميراً، ولكن نخص بالذكر "عبدالقادر الكيلاني" (١٥٧٨-١١٦٦٩)، مؤسس الطريقة القادرية التي مازالت قائمة الى اليوم؛ بل وتجتذب مازالت المريدين من الاخوة في كُردستان. وكذلك فان حجة الاسلام ابو حامد الغزالي (المتوفي ١١١١) كان بدوره مراسلاً له.

ولدينا بعض كتابات الشيخ عدي التي استطاعوا الحفاظ عليها، نشرها السيد "ر. فرانك R. Frank" عام ١٩١٥^{١٨٤}. ويرى المسلمون المؤمنون انهم لم يجدوا فيها ما يمكن اضافته فقد كان الشيخ سنياً شافعيّاً صارماً، ونصائحه رصينة لانه يتطلب من تابعيه ان يكون مثقفاً جداً:

ذلك الذي يقنع بالكلام دون الفعل، يفصل عن الله؛

ذلك الذي يقنع بالتقوى دون الفقه، يخرج عن الدين؛

¹⁸⁴ R. LESCOT, *op. cit.*, p. 28-29, n. 1

يذكر بعضاً منها استناداً الى كتاب المناقب"، وليس من السهل دائماً تصور حماس الجمهور امام المعجزات التي حدثت او التي في سبيلها للحدث. فعندما توفي غبطة السيد "بيرية Berre" المندوب الرسولي لبلاد ما بين النهرين وكُردستان في الموصل في ابريل عام ١٩٢٩، تمت الاستعانة بالشرطة لحفظ النظام. فقد اصطفت عشرات الالاف من النساء - مسيحيات ومسلمات - يمررن امام تابوته في كنيسة الدومنيكان. وكن يرغبن في لمس او تقبل يديه ليحصلن على بركتهز ومُرت نساء عاقرات تحت تابوته للحصول على طفل. انهن ينسبن اليه منح تلك النعمة بسبب بكارته.

وذلك الذي يقنع بالفقه دون مخافة الله، فانه يهزأ بالله؛
ولكن ذلك الذي يقوم بكل واجباته فقد نجا.
وكان شيخنا عدي من اوائل المتصوفة الذي عمل على تمتين الروابط
بين السيد وتابعيه، بين الشيخ ومريديه، بين البير (الشيخ) و.ويذكر
واجبات كل منهم:

الشيخ هو الذي يجمعكم بحضوره،

الذي يحرسكم في غيابه،

الذي يعلمك بعباداته،

الذي يثقفك ويربيك بحديثه،

الذي اضاء داخلك بنوره.

المريد هو الذي يعمل على توهج ذلك النور،

مع الفقراء بلطفه وظرفه،

مع المتصوفة بادبه ونزاهته،

باخلاقه الطيبة وخشوعه امام كل شئ،

مع العلماء بروعة وداعيته،

مع اهل المعرفة بهدوئه،

ومع اهل المقامات بتوحيده.

الى جانب ذلك، ادان الشيخ حلقات الذكر، كما اعلن انه لايرضى عن
الصلوات العامة وغيرها من الممارسات الباطنية. وكان يُصر دائماً على
تحريم القاء اللعنات ويعني ضمناً على ابليس.

ب- اتباع متحمسون جداً؛ www.zheer.org

لايمكن لاي من المورخين القدمات التغاضي عن الحديث حول نفوذ
رجل كهذا. وانتشرت في وقته الكثير من المبالغات حول شخصه.
وتقشفه، وصيامه ومعجزاته، تعادل كلها سقوطه ونفوذه في انحاء

هكاري. وانتشرت حوله كذلك اساطير كثيرة. وتركز ذلك في كتاب بعنوان: كتاب مناقب الشيخ عدي، والذي يعود تأريخه الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر. وفي الواقع بدأ الخيال الكردي المتعطش للعجائب عمله. والحقيقة ان مكانته كبيرة ومركزه اكبر بين السكان البسطاء المحرومين الذين اقام بينهم؛ رجال الجبال الفقراء او الفلاحين الكردي، وكانوا ينيرون عطفه ومشاعره واثرت فيهم معجزاته. وقد ظهر في عين هؤلاء المهووسين به سيداً لا يخضع بعد لمتطلبات الطبيعة. فلم يعد يأكل او يشرب، ولا ينام ولو انه كان يقوم بذلك امامهم عمداً ليقنعهم لتثبيت لهم العكس. وبالطبع فان ذلك الانسان ذا الثلاثين عاماً لم تعد لديه شهوة للطعام او حاجة للنوم، بل حتى من الممكن ان يكون قد تيبس تماماً. وحقيقة الامر ان الزهد والخشونة والحرمان بجميع اشكاله والتقشف الذي اتبعه، كل ذلك كان له تأثيره على جسده. وعندما يركع للصلاة تصدر من رأسه ضجة كأنما عقله يصطدم بجمجمته تماماً كما الضجة التي يحدثها تحرك الحصى داخل يقطينة يابسة¹⁸⁵. كما ان المعجزات التي اجترحها خلال حياته¹⁸⁶، جعلت من مرقده مزاراً للحجاج كغيره من المشاهير، كما ذكر ابن خلكان، ذلك في كتابه بعد قرن تقريباً من وفاته، بعنوان: "وفيات الاعيان"، ما بين عامي (١٢٥٦-١٢٧٤).

ج- خلفاء اوفياء لفكر المعلم:

بعد وفاة الشيخ عدي، خلفه صهره المكنى ابو البركات، ابن شقيقه صخر، الذي استقر في بيت قار وطنه وكان عمه يحبه جداً لتقواه وورعه، وقد جاء خصيصاً من سوريا لكي يستقر ويواصل العمل على مذهب عمه. ويتحدث عنه المؤرخون باحترام كبير، من امثال: اللخمي" و"الحنبلي".

¹⁸⁵ Cf. ARBERRY, *op. cit.*, p. 97.

¹⁸⁶ Cf. ARBERRY, *op. cit.*, p. 97-103.

ويعتبر مرقد مزاراً مقدساً بجوار مرقد عمه الشيخ عدي. وخلفه ابنه "ابو
المفاخر". وليست لدينا معلومات محددة أكيدة حول فترة التوجيه الروحي
الذي مارسه هذا ان الشيخان مع مستمعيهم. ولكن يبدو انهما سارا في
واقع الامر على خُطى العم. بل ونجهل حتى فترة عملهما. في حين نرى ان
الدملوجي (ص ٢٢) يقدر تلك الفترة بانها ستون عاماً لكليهما. مما يأخذنا
الى الاعوام ١٢٢٠. وتلك الفترة كانت مرحلة ازدهار كبير للاسلام اولاً في
حربه ضد الصليبيين. وسوف يوضح صلاح الدين (١١٣٧-١١٩٣) للعالم
المبهور بان الكردي يمكنه ان يكون مثلاً يحتذى بان يكون في ذاته مثلاً
للمؤمنين وللفرسان، وللصوفية كذلك. وفي واقع الامر، بدأت النظم الكبرى
تتأسس وتنتظم. ولايتعلق الامر هنا ببعض المدارس الباطنية البسيطة،
بل ان الرؤساء جاهدوا لتأسيس طرق صوفية حقيقية، الى جانب اقامة
بعض الصوامع حين يقيم بعض النُساك المتمرسين، ممن يرتدون لباساً
خاصاً "الخرقة"، رمز قبولهم وحصولهم على الاجازة التقليدية للخدمة
الالهية التي ترتقى تدريجياً الى عوالم النبي ذاته^{١٨٧}. ومع ذلك، فغالبية
الاخوان المريدين يعيشون بين الناس ولكنهم يشاركون دورياً في
الاحتفالات الطقسية "للطريقة" والتي يديرها عادة من يخلف المؤسس
او الخليفة، وكان الكيلاني (١١٦٦-١٠٧٨) قد اسس طريقته آنذاك
القادرية في حياة الشيخ عدي. وبدورهم اسس "شهاب الدين السهروردي"
(١١٤٤-١٢٣٤)، السهروردي و"نورالدين الشاذلي" الشاذلية" (١١٩٦-
١٢٥٨).. ولنتذكر انه وفي نفس تلك الفترة تقريباً عمل "فرانسو داسيس
Francois Dassise" (١٢٢٦+) و"دومينيك دو جُوزمان Dominique de

¹⁸⁷ Sur Cheikh Hasan, voir TEYMOUR, *op. cit.*, p. 18-21; AZZAUI, *op. cit.*, p. 46-48; DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 84-99.

Guzman" على دفع الجماهير الى اعتناق المسيحية في الغرب بواسطة حياة الفقر و التقشف وممارسة الوعظ والارشاد مستندين على الانجيل. وهكذا اذن نرى، وفي اقل من قرن من الزمان؛ تجذرت الطريقة التي اسسها الشيخ عدي وصلب عودها. كما كان الولاء المبالغ فيه تجاه الشيخ المؤسس قوياً جداً. ولاتوجد اية هرطقة في كل ذلك، ولا ما يدفع الى الظن بان اتباع الطريقة قد ابتعدوا ولو قليلاً عن الطريق المستقيم للاسلام.

٣. صراعات داخلية وخارجية: سياسية هي ام صوفية؟

١- الشيخ حسن شمس الدين، زعيم هرطقي (١١٩٧-١٢٤٦):

سوف يتغير كل شئ بالنسبة لاتباع الشيخ عدي، منذ ظهور ثالث خلفائه على الساحة؛ "الشيخ حسن تاج العارفين"، "شمس الدين ابو محمد" شيخ الكُرد و"الشيخ حسن حفيد ابن اخيه" (٥٩١-٦٤٤هـ)^{١٨٨}، كان خارق الذكاء، كثير الفضائل الى جانب كونه شاعراً. ولكن اذا كان الحديث يدور حول الشيخ "شمس الدين الذهبي" (١٢٧٤-١٣٤٨)، فانه لم يصل حتى الى قدم عن الاكبر. وقد اعتزل لست سنوات والف كتاباً في تلك الفترة بعنوان: "الجلوة، لارباب الخلوة" والذي لايمت بصلة الى كتاب الوحي، والذي هو بين ايدينا اليوم. وقد تطورت الطريقة في عصره بشكل كبير جداً وتأثيرها على الاتباع الكُرد، بما فيه الكفاية ولدرجة انهم لايتقبلون امكانية معارضته، واستقر في الموصل حيث توطدت علاقته مع محي الدين ابن عربي (١١٦٥-١٢٤٠) الذي كان يزور المدينة باستمرار وتأثر به تأثراً عميقاً مما ادى به للابتعاد عن العقيدة الاسلامية الحقيقية. ويعاتبه كل من: "ابن تيمية" (١٢٦٣-١٣٢٨) و"ابو الفراس عبيدالله" (المتوفي ١٣٢٥) ويأخذ ان عليه انه في الواقع لم يمنع اتباعه من الارتقاء به

¹⁸⁸ D`apre`s l`historien AL-FOUTI, cite` dans AZZAOU, *op. cit.*, p. 46-47.

عالياً وتقديمه شخصاً تفوق قدراته قدرات البشر. كان من المحتمل ان تكون عبادة الشيخ عدي قد وصلت في عهده الى تلك المستويات المبالغ فيها. ولربما ان يكون هو الذي وضع "نشيد الشيخ عدي" والذي تكلمنا منه اعلاه. بل هو في واقع التصوفي المنحرف عن المسار والتي نشرها الدمولوجي. لقد سمح بالكلام وترك الامور تأخذ مجراها، مقتنعاً دونما شك ان مجد المعلم سيعود ليغمره. وهناك شيخ عاتبه على موقفه ذلك، فقام بعض التابعين الكُرد المتطرفين بقتله امام عينيه. بل وفي عهده ظهرت تلك المبالغات لصالح يزيد الذي وضعوه في مصاف النبي. ولربما كان الشيخ حسن في اعماقه يود بالاضافة الى ذلك، ان يلعب دوراً سياسياً، يتناسب وحقوق اسرته طالما انه ينادي بانه اموي. ولكن بدرالدين لؤلؤ، الارمني حاكم الموصل والموالي للشبيعة كما يُقال، كان يخشاه كما يخشى غزوات تابعيه الكُرد المخلصين له وان يتركهم الشيخ يجتاحون منطقة الموصل على هواهم. فالقى القبض عليه وقتله في القلعة عام ١٢٤٦، وكان الشيخ آنذاك في الثالثة والخمسين من العمر. وازداد المؤرخ الذي ارخ للواقعة بانه مازال هناك اكراد في تلك الفترة كانوا لا يصدقون بانه توفي وينتظرون عودته. وفي نفس تلك الفترة، اسس "جمال الدين الرومي"، المتصوف الايراني طريقة المولوية او الدراويش الخراطين في قونية عاصمة الاتراك السلاجقة. وكان تأثيرهم كبيراً في تركيا العثمانية ولديهم نظريات وممارسات عزيزة على اليزيديين. ومن جانب اخر، وبعد مضي ثماني سنوات من الوفاة المأساوية للشيخ حسن، قام بدرالدين الذي كان يضغط بشدة على ابناء الشيخ عدي كما بدأوا يطلقون عليهم تلك التسمية كما المؤرخ Bar Hebraeus، وارسل قواته في النهاية ضدهم وصلب

مائة منهم وذبح مائة آخرين واصدر امراً بتقطيع اوصال اميرهم ليعلقوها على ابواب الموصل. ثم نبش قبر الشيخ عدي وحرق جثته^{١٨٩}.

ب- العزلة الصوفية في "الكوفة"، بعد طموحات دمشق:

لم تكن تلك المغامرات لتهدئ من روع ابناء الشيخ عدي حتى الاكثر شجاعة فيهم. وكان عزالدين السلطان المملوكي قد عين شرف الدين احد ابناء الشيخ حسن، حاكماً على "خرتبيرت Khartabirt". وقتل شرف الدين وحاشيته على يد "انگورك وين Angourk Nowin" في ١٢٥٦. ومالبت المنغوليون آنذاك ان ظهروا على الساحة في البلاد. ولكن هؤلاء الوثنيين كانوا على علاقات طيبة بمسيحيي البلاد. وحاول هؤلاء ان يعملوا على ادخالهم في الدين المسيحي حتى الى داخل بلادهم عبر الزواج؛ واستطاعوا بذلك اقناع بعض الرؤساء باعتناق المسيحية. بل ان النسطوريين وبكل ثقة اختاروا منغولياً صادقاً ليكون بطريركاً وذلك ليشعروا بالحماية في بلاط الخان الكبير^{١٩٠}، وحتى "جبله jalah الثالث" (١٢٨١-١٣١٧) لم يكن ليفخر كثيراً بتلك الحماية، خاصة بعد ان تخلى بعض الرؤساء عن المسيحية لكي يعتنقوا الاسلام. ولكن هؤلاء المنغوليين لم يقدموا شيئاً يُذكر للمسلمين الكُرد بل سرعان ما بدأوا يقاسون على ايديهم. ووفقاً لتلك البديهية الاجتماعية التي تقول انه اذا ما تواجه شعبان تقوم الحرب بينهما ولكنهما يتزاوجان مع ذلك دائماً، وتعد زيجات كثيرة بين الغزاة والسكان الاصليين. وهكذا فان بعض ابناء

www.zheen.org

¹⁸⁹ Cf. *Histoire du Patriarche Jabalaha III*, trad. CHABOT (Paris, 1895).

¹⁹⁰ D'apre`s BAR HEBRAEUS (m. 1286), *Chronicon syriacum*, e`d. BEDJAN p. 544. Sur Charaf ed-Din: TEYMOUR, *op. cit.*, p. 23-24; DAMLOOJI, p. 99-100; sur Fakhr ed-Din DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 100-101.

الشيخ عدي تزوجوا بمنغوليات، ولكن النتيجة لم تكن دائماً مثل مايتوقعون. وهكذا ادين فخرالدين مراغة، في العام (١٢٨١)^{١٩١}.

وارتأت الاسرة انه من دواعي الحذر اللجوء الى سوريا، املاً ربما في الحصول فيها على امارة ما تليق بهم. واستقر "يوسف زين الدين"^{١٩٢}، "ابن شرف الدين" في دمشق حاملاً لقب الامير وذلك قبل ان ينعزل في "بيت فار" مهد الاسرة حيث عاش عيشة الملوك. ووصف "ابن فتح الله العماري" (المتوفي ١٣٤٨) بالتفصيل حياة الرفاه التي عاشها: سجاجيد فاخرة، اواني زهور من الذهب والفضة، الصينى الفاخر من الصين، والشرباب بجميع الالوان والمذاق المرغوب المحبب. وقدم تلك المعلومات اليه، شاهد العيان شهاب الدين الذي صاحب احد رسل السلطان الى الامير وقد احبته سيده كُردية من قبيلة "كيمور" Gaimour على جبل بين خيالات والموصل. وكانت لغرامها تقسم باسمه وقدمت اليه ثروتها كلها. وحياة المسرات تلك قد زادت من مكانته وذلك بعيداً عن التقليل من قيمة اتباعه. ولكن السلطان بدأت تشعر بالقلق والقوا به في السجن. وهناك كتب بعض القصائد التي نشرها الدملوجي^{١٩٣}، حيث ذكر فيها نفوره من رفات السجن: قمل، ناموس، فئران، وكيف انه كان يشعر بالاسف على لالئش البلد الجميل وكان يرجو الله بواسطة شفاعة النبي والشيخ عدي ان يخلصه من عذاب السجن. ولكن مالبت ان فارق الحياة فيه

¹⁹¹ Sur Zeyn ed-Din et son fils Izz ed-Din: TEYMOUR, *op. cit.*, p. 24-28; R. LESCOT, *op. cit.*, p. 104-106; DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 101-111.

¹⁹² DAMLOOJI, *op. cit.*, 106-111.
¹⁹³ اصبحت "زاوية كرفة"، مقبرة لمشايخ الاخوية العدوية التي ظلت مستقيمة العقيدة. مست مقابر تعود الى القرن التاسع الهجري. آخرها مقبرة شمس الدين الذي تناول الخرفة من يد ابن طولون (١٤٨٥-١٥٨٤). وبعد ذلك تم فيها دفن مشايخ القادرية. Cf. TEYMOUR, *op. cit.*, p. 29-41 ولقد احترقت تلك الزاوية في عام ١٩٠٧.

عام ١٢٩٧. ودُفن جثمانه في (الكرافة Carafa) في زاوية طريقة العدوية التي اسسها هناك^{١٩٤}.

ولم يلق "عزالدين عميران"، "ابن الامير زين الدين" مصيراً افضل من مصير والده. ففي البدء اقام الامير في دمشق، ثم انتقل الى صفد، ثم عاد الى دمشق حيث قرر الاعتزال من "المزة `Mezze`" وكان يتمتع بشعبية واسعة بين الكُرد، وينسبون اليه طموحات كالحصول مثلاً على مملكة مصر او اليمن. واعوانه جميعهم اكراد وقاموا ببيع ممتلكاتهم بثمن بخس ليشتروا خيولاً واسلحة وعتاد استعداداً للحرب. وهو وعد بنفسه اتباعه بمراكز هامة لمن يتبعه. ووصلت تلك الانباء الى اسماع السلطان الناصر الذي ارسل "تنجيز ليتحقق من الامر. ويبدو ان عزالدين لم يكن بقادر على الابقاء على اتباعه الذين كانوا يؤمنون به وبعائلته. والنتيجة انهم القوا به في السجن عام ١٣٣٠/٧٣١ حيث لم يلبث ان وافاه الاجل في ذات الوقت الذي تخلصوا فيه من اعضاء اسرته الموجودة في (الكرافة).

ج- الامتداد في ربوع كُردستان:

اذا ما كان نفوذ الزعماء الدينيين والسياسيين لتلك الجماعة بهذا القدر او ذاك في مدن كبرى كما القاهرة ودمشق، فيمكننا ان نعتقد بان نفوذهم في كُردستان لم يكن باقل من ذلك وهؤلاء الرؤساء الكُرد معروفون وعديدة هي القبائل الكُردية التي اعلنت تبعيتها لهؤلاء الامراء بل وتشيعها لمعتقداتهم. ويقول امراء الجزيرة انهم من اصول اموية الى جانب كونهم يزيديين ومعهم القبائل: دازني، الخالدي، بزبان، بوهتي، المحمودي، دنبولي، برازي، ولاننسي بالطبع قبائل سنجار. ونذكر الشيخ

¹⁹⁴ حول انتشار وامتداد اليزيديين في كُردستان، انظر:

Charef-Name, trad. Arabe de ROJBAYANI (Baghdad, 1953), p. 314-321 322-336 et passim; R. LESCOT, p. 108-112.

"منذ"^{١٩٥}، الذي يدعى قرابة بالشيخ عدي، قد تسلم من الايوبيين اقطاعية القصير، بالقرب من انطاكية ونشر فيها النظريات الجديدة، في منطقة حلب، بين حماة وفراس، في القليس، في دجون، وحيث احتفظ اليزيديون من جبل سمعان على تراثهم.

وقد اكتشف "ر. ليسكو R. Lescot"، في "ليرموس" شهادة القبول و الاطلاع على الاسرار. الدبولي والخاصة بالشاعر "خليل مردم بك" ونشرها^{١٩٦}. وكذلك اكتشف شجرة العائلة الخاصة به في دمشق وهي من اصل كُردي ايضاً، والتي يرجع عهداها الى ١٠٠٤ اي مع نهايات القرن السادس عشر. مما يدل على ان روابط اليزيديين مع العدوية كانت قائمة ومعترف بها. ومن جهة اخرى، ومنذ القرن الرابع عشر، كان هناك يزيديون حتى الى مدينة هيت، على نهر الفرات وفي الكبيسات.

د- وماذا بعد؟

واتساءل، ماهي هوية تلك النظريات الجديدة، وماذا تعني تماماً؟ ان من يزودنا بالمعلومات هم المعاصرون، وليس فقط المؤرخون منهم وانما الدعاة المدافعون عن العقيدة والذين يحاربونهم بالتأكيد، ولكن رغبة في استعادتهم الى الطريق المستقيم، فالامر يتعلق بمسلمين ضالين. فبالنسبة لـ"ابي الفراس عبيدالله" (متوفى ١٣٢٥) يقول في كتابه "الرد على الرافضة واليزيديين"، بان هؤلاء القوم يقرأون القرآن بالمقلوب، ولهم نظرياتهم الخاصة حول نقاط محددة واضحة: فهم يستحلون لانفسهم ممتلكات اولئك الذين يكرهون اليزيديين، ويمنعون الصلوات العامة^{١٩٧}، اذ انهم يفضلون الصلاة الخاصة في الخلوة بدلاً من الطقوس الاحتفالية

¹⁹⁵ DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 87; R. LESCOT, *op. cit.*, p. 206.

¹⁹⁶ R. LESCOT, *op. cit.*, p. 225-234; 234-235.

¹⁹⁷ Sur Abou'l-Firas, cf. AZZAOU, *op. cit.*, p. 81-83.

لصلاة الجمعة العامة. انه الشيخ حسن الذي ادخل "البدعة" او ما يسمى بالتجديدات. انه هو الذي جاهر بالمبالغة والولاء للشيخ عدي ويزيد. لقد اراد الكاتب ان يكشف لهم بانهم ليسوا على حق في الابتعاد عن التعاليم العامة المشتركة، مستعيناً بذلك بسور من القرآن الكريم. لا تقتلوا ارواحكم بالفسق، اتبعوا اركان الاسلام الخمسة، ولا تقلدوا المسيحيين في حياة الدير، ولا اليهود الذين قتلوا انبياءهم. لماذا تحرمون ما اباحه الله ؟ لم هذا التفضيل بين هذا او ذاك من صحابة النبي ؟ لم تلك المبالغة في اعلاء شأن عدي او علي ؟ هناك اله واحد اوحد فقط. توقفوا عن ممارسة طقوس الحج الى مقابر شيوخكم، وتقبلوا القرآن ببساطة ونقاء قلب. انه كتاب مقدس مُنزل من السماء. ونرى في كل ذلك ان جميع الكتاب لا يصرون على عبادة الشيطان والتي لم تكن قد اقيمت بعد، بل كان التركيز على ضرورة عدم المبالغة في ذكر عدي ويزيد. وليبق الاخوة مخلصين لروح عدي وليعاملوا يزيداً بما يستحق ليس كنبى او كزنديق، لانه لا يستحق تلك المغالاة في التشريف او في العيب.

ولكن جميع تلك التحذيرات جاءت متأخرة جداً. فمنذ وفاة الشيخ حسن، اخذت الاحداث تتسارع واختلط الدين بالسياسة. فالعداوات بين الاقطاعيين وشيوخ الدين انتهت باثارة ردات فعل عنيفة على انتشار نفوذ وقوة تلك الطائفة. فقد اجتاح وحلفاؤه الشيخان بعد اعتناقه الاسلام مؤخرًا. واغرقوا كل شي في الدماء والحرائق. ودنسوا المعبد (١٤١٤) ١٩٨.

وكانت تلك بداية الانحطاط^{١٩٩}.

¹⁹⁸ Re`cit d`apre`s *Al-Soulouk li ma rifa dawl al-Moulouk* de MAQRIZI (1364-1442) cite` dans AZZAOU, *op. cit.*, p. 112-113

¹⁹⁹ لم تكن الاسباب سياسية فقط دون شك، ويمكن ان نجد لدى اليزيديين نفس الدوافع التي كتب عنها "أ. ج. ارييري" حول انهيار الصوفية بشكل عام. (الصوفية، دفاتر الجنوب 139 Le Soufisme, Cahiers dn Sud, 1952, p. 139 منذ اليوم الذي

٤. ظلمات الخرافة (من ١٤١٤ الى اليوم):

١- التخلي تدريجياً عن الاسلام:

لقد بدأت الان مرحلة من التدهور امام تلك الطائفة التي كانت قد بدأت في اندفاع وحرارة. وبدأت بعودة بعض القبائل الى الاسلام الاصلي منذ القرن الخامس عشر. وقد تسارع اعتناق آغوات تلك القبائل الاسلام لسبب ما الى جانب ذلك فان اقامة امراطور سلاطين العثمانيين المتنافسة مع امبراطورية شاهات الصفويين جعلت من ان يلعب اليزيديون دوراً سياسياً ضريباً من الخيال.

ومن جهة اخرى، انها كذلك الابتعاد عن الاسلام اكثر فاكثراً، خاصة من قبل اولئك ارادوا التمسك بممارساتهم وعقائدهم الخاصة. الى ان جاءت عمليات الاضطهاد والمذابح، والتي بدلاً من تهدئتهم دفعت بهم الى التمسك والانغماس اكثر في افكارهم.

وانهارت بعد ذلك جميع الجسور بين المسلمين المتمسكين بالايان والطريق القويم وبين اليزيديين والذين اعتبروهم اعداءً واستباحوا حياتهم واملاكهم. وفي فتوى اطلقها الشيخ ابو سعود العمادي، في العام ١٥٣٠، لم يعترف فيها باليزيديين فرقة بين الفرق الاثنتين والسبعين المعترف بهم في الاسلام؛ بل انكرهم ورفضهم تماماً. وأنهم مُرتدون ويتبعون يزيداً الذي يجب ان يلعنوه كما يكرر الكتاب الطيبون كما انهم يجعلون لله شريكاً في

جاءت فيه خرافة المعجزات لتلتصق باسماء كبار المتصوفين، فان الجماهير المؤمنة تذهب بالضرورة نحو الدجل والشعوذة بدلاً من الاهتمام بالحياة. فعبادة القديسين، يقف الاسلام وبشدة ضدها دونما جدوى، ولكنها تشجع الجهل والخرافة بدلاً من القيام بما يفيد، التجارة مثلاً، فقد اصبحت الفضائح والصلف في السلوك وغموض اللغة وصفات سهلة للشهرة والثروة والسلطة، الا نفكر ان ذلك الكاتب يقدم لنا صورة لانهار اليزيدية نفسها؟

²⁰⁰ R. LESCOT, *op. cit.*, p. 120-121.

شخص عدي بن المسافر. ويحتفظون بحب خاص للشيطان الملعون، كما انهم يرون ان الطاوس - الملك قد هم الله الرحمة^{٢٠١} وبذلك ومن جهة اخرى كان اليزيديون يردون لهم الصاع صاعين ويقومون بذبح المؤمنين الحقيقيين دون ان يرف لهم جفن.

ويمكننا ان نتفهم اذن تلك الكراهية التي سادت منذ ذلك الوقت فصاعداً العلاقات بين اتباع العقيدتين. وزادت حدة تلك الكراهية في العام (١٦٥٥) بسبب الرحالة التركي "اوليا چلبى"^{٢٠٢} (١٦٨٢) الذي وضع كذلك بدوره احترامهم للشيطان واكد على عدم وجود كتاب مقدس لهم، وانهم يعتقدون ويؤمنون بالتناسخ وانتقال الروح^{٢٠٣}.

ب- (حماقة) الشيخ فخر وانحطاط العقيدة:

في القرن الثامن عشر، اشار "الشيخ عبدالله الربيتكي" في فتوى شهيرة للعام ١٧٢٤^{٢٠٤} الى معارضتهم للقرآن الذي يغمرونه بالقدارات في الوقت

²⁰¹ Cf. DAMLOOJI, *op. cit.*, p. 428-432.

يبدو ان ذلك الكاتب يضع صدق الوثيقة موضع شك، ذلك لان المفتي الشهير يذكر سلطات اقدم من الشيخ عدي. الا اننا نرى ان ذلك المفتي يستخدم فقط السلطات المعنية الا ليلوم يزيداً، ويلوم اولئك الذين يكيلون له المديح، ويوجد منهم الكثيرون حتى قبل عدي. ومنذ ذلك الحين فان حجة الدمولوجي لاتتمتع بالقيمة التي يوليها اياها.

²⁰² Cf. AZZAOU, *op. cit.*, p. 114.

²⁰³ FEBVRE, *Teatro*, p. 346-349.

²⁰⁴ يبدو ان الشيخ عبدالله الربياتكي هو في الواقع من الف تلك الفتوى الشهيرة؛ (Damlooji, *op. cit.*, p. 433-434)

التي نشرها الدمولوجي كاملة وغيرها كذلك، ص٤٢٨-٤٤٤؛ وكذلك العزاوي (AZZAOU, *op. cit.*, p. 84-89). ونشر منها تيمور البداية دون ذكر لاسم الكاتب (op. cit., p. 7-9) والتي وجدها في مخطوطة تعود لعلاء الدين القناوي (توفى ١٢٢٩). وبالمثل، از الحسني، (op. cit., p. 104-105) والذي يتفق مع تيمور. ثم نشر الجزء الثاني الذي ينسبه للربياتكي، استناداً على العزاوي، ص١٠٦-١٠٨. وينسبها الدكتور داود چلبى (استناداً على الدمولوجي، ص٤٣٤، ينسبها الى الشيخ حسن الشفكي، اصله من قرية

المناسب، ومعارضتهم للسنة ويتهمونهم بالكذب، ومعارضتهم لعلماء المسلمين الذين يفضلون عليهم حماقات "الشيخ فخر"^{٢٠٥} ويذكر الرياتكي أيضاً أنهم يقرون بالزنا ولهم كتاب يسمى الجلوة. ويحتقرون الصلاة والصوم لانهم يكتفون كما يقولون ((بنقاء القلب)).

ومنذ ذلك الوقت، تقطعت جميع الصلوات مع المسلمين، وانفتح الطريق واسعاً امام الخرافات والهذيان المذهبي. وتجسد احترام اليزيديين لابليس في الرايات (السناجق). والسناجق هي تلك الرايات الكبيرة التي تحملها طوائف المسلمين في الاحتفالات والحج ويقارن الرياتكي وباستحقاق ان عبادة اليزيديين لراية عدي، بعبادة الاوثان. ويبدو انه يعني بتلك العبارة تمثال الطاووس الصغير وقاعدته كما يستخدمان اليوم وليس الراية الكبيرة^{٢٠٦}.

بالقرب من "Khnes" . وسأخذ الشيخ عبدالسلام المارديني (١٨٤٢/١٢٥٨) نفس تلك الفتوى دون ان يذكر الاصل ويضيف اليها بعض العناصر الجديدة، غير الاصلية، كما اورد ذلك الديمولوجي، ص٤٠٧ ومن ثم قام العزاوي بنشر النص (Azzaoui, *op. cit.*, p. 79-81)

²⁰⁵ نحن لانعرف شيئاً للأسف عن فخرالدين هذا، الذي لايمكن ان يكون ابن الشيخ حسن. حتى اننا نجهل كذلك الفترة التي عاش فيها تماماً. ربما يمكننا ان نضعه في منتصف القرن السابع عشر، كما ان تلك الفترة الزمنية تبدو ضرورية للتوصل ربما على التعرف على الغرياء في الطائفة، وبالصدفة بالنسبة للرياتكي الذي كان اول من تحدث عنه.

²⁰⁶ تعني كلمة "سُنْحَق" التركية شينين. الاول تعني العلم والثاني تعني منطقة، محافظة، وكل محافظة كانت تتمثل بعلم خاص. اما لدى اليزيديين تعني كلمة سنحج تماثل صغيرة للطاووس مخصصة لمختلف الشخصيات للاخوية. ومع ذلك يقول الرياتكي سنحج، عدي وليس سنحج ملك طاووس وفي بدايات القرن التاسع عشر دون شك، فان كل تمثال خُصص لزيارة هذه المقاطعة او تلك، مثلاً سنحج حلب، سنحج بايزيد.. الخ. ولقد اشرت الى ان ذلك الطاووس يشبه الحمامة او البطة، ولا علاقة له بذلك طاووس الجميل الذي تحدث عنه "امسون" Empson او الحسنى. وكان الحديث يدور احياناً حول "ديك" ما. ويقودنا ذلك

ومن بين رمز طاووس الملائكة التقليدي في الاسلام ذهب اليزيديون بعيداً بتقديمه بشكل فظ في تمثال من البرونز. ولكن الاسلام لم يكن قد عودهم على ذلك النوع من العروض الرمزية. اذ انه من الصعب على رجال الجبال غير المتعلمين ان يستخلص من تلك الحقيقة المادية الرمز الذي يتطلبه خيالنا الانساني بتجسيده في اشكال ملموسة. ومنذ البداية لم يقدم لهم احد لوما او عتاباً على وصفهم الله بصفات انسانية كأن يشرب او يتناول الطعام. ومنذ ذلك الوقت كانوا اقرب للوقوع في عبادة الطعام. ومنذ ذلك الوقت كانوا اقرب للوقوع في عبادة الاوثان، مما يوضح انحطاطاً في الفكر. واليوم فان ذلك اليزيدي من العامة الذي نراه يقف امام الطاووس المعدني على قاعدته الصغيرة وممسكاً بصينية فيها قطعة نقود معدنية فانه في الواقع انما يمارس في الواقع تصرفاً وثنياً امام موضوع ضخم من مواضيع السحر والشعوذة. انه بعيد جداً عن ذلك الفكر النبيل الراقى المهذب جداً لجده الذي كان يذكر رئيس الملائكة لمكانته الاولى والتي يوقرها عالياً.

ولربما كان هناك بعض المشايخ الاكثر تقوي والذين كانت لديهم بعض الشكوك في تلك الفكرة التي دفع عنها بعض كبار اللاهوتيين المسلمين؟ ولكن، ومع تراكم ذلك عبر القرون انتهى الامر بافساد الفكر الديني المؤمن واحلال الفكر التجاري بدلا عنه. ولعدم وجود توجيه معنوي مستنير، ابتعد اليزيدي عن التصوف الفطن جداً بالنسبة له،

الى العقائد الصوفية لديك على العرش، الذي يتحدث عنه الكسائي. (Cf. Azzaoui, *op.*, cit., p. 62-67)

وفي حالة فتوى الرياكي التي اخذها الشيخ عبدالسلام المارديني (١٨٤٢)، فبدلاً من الطاووس يتحدث عن تمثال صغير لعجل ونجد هنا دون شك نوعاً من الاحتقار والسخرية تعود الى الدروز والحقيقة القائلة بانهم يعبدون تمثالاً للعجل.

(Cf. H. Guys, "La Nation Druze, Son histoire, sareligion, ses moeurs et son e'tat politique, Paris, 1863, p. 146).

وانغمس في الخرافات على مستوى حاجاته اليومية، وقد انهكته مشقات الجور والاضطهاد. وليست تلك بحالة فريدة ولكن يمكننا ان نتفهم الطريق الذي قطعوه.

ومهما كان الامر، واحتمالا خلال القرن الثامن عشر، قد تم وضع الكتابين المقدسين: الجلوة، و "مصحفا رش". الاول، في بداية القرن والثاني في نهاياته. وبما ان التعاليم الصوفية كانت شفاهية، وقد اختلف الشيوخ المتعلمون بسبب المذاهب الموسمية من جانب اخر؛ فيمكننا انذاك ان نتصور بان تلك الصفحات اعيدت كتابتها من الذاكرة وتكيفت في ذلك الوقت مع الظروف الجديدة. ويشرح كل ذلك دفعة واحدة تلك النواقص وعدم الدقة العقائدية؛ ودقتهم العظيمة في الممارسات الدينية. بل ونتفهم كذلك الاسرار التي ارادوا ان يحيطوها بها.

ج- ثمن التطرف الدموي:

ومنذ القرن السابع عشر، لم يكن تاريخ اليزيديين سوى قائمة قاتمة من النهب والمذابح. ولانهم كانوا معروفين كما عبدة للشيطان، تراهم حساسين جداً امام جميع الالهانات. وقائمة مآسيهم طويلة. وقد اضيفت اليها تفاصيل هنا او هناك، اكثر او اقل لدى مختلف الكتاب^{٢٠٧}. ويقول الدمولوجي^{٢٠٨}، ان عدد ضحاياهم عبر تلك القرون قد بلغ المليون نسمة. ولايمكننا مطلقاً ان ننكر مطلقاً ذلك الدور المشين لبعض الرؤساء الدينيين؛ ولا الفتاوي التي اطلقها بعض المفتين المعروفين والتي كانت تتكرر عدة مرات خلال القرن التاسع عشر وكأنها واجبات مدرسية. وتلك الفتاوي كانت لاسباب دينية تارة او لدوافع سياسية اخرى. ولم تكن تلك الفتاوي تمر دون ان تترك

²⁰⁷ Par ex. AZZAOU, *op. cit.*, p. 110-131; LESCOT, p. 122-128 DAMLOOJI, p. 485-514.

²⁰⁹ *op. cit.*, p. 443-444.

²⁰⁸ Dans sa preface. P. *Sin* (XIII).

انعكاساتها على موقف القبائل الكُردية المجاورة والتي تصادف ان تكون مسلمة وتتعطش للسلب والنهب كما اشار الى ذلك الديمولوجي ايضاً²⁰⁹.

واليوم يعيش اليزيديون في خجول، حيث قل عددهم وفقدوا كل سلطة سياسية واقتصادية واجتماعية. وخرافاتهم واحكامهم المسبقة. ومن المثير للاهتمام، الاقرار بانه في ارمينيا السوفيتية، كان اليزيديون القدامى على رأس الحركة الادبية الكُردية. ويعتبر ذلك تغيراً جذرياً خاصة اذا تذكرنا كيف كانت احوالهم الاجتماعية قبل ١٩١٤. ومن العيث القول ان عقيدتهم اليزيدية قد عزفت في الالحاد التام. وفي العراق تراهم حيث يوجد معظمهم، فهم منطوون على انفسهم فيما عدا اولئك الذين انخرطوا في الجيش ونالوا قسطاً من الدراسات ليصبحوا معلمين. وهؤلاء المثقفون البساطاء يهتمون بطائفتهم، والتي اصبحت مظهراً جذاباً من مظاهر الفولكلور الجاذب لاهتمام السواح الاجانب. وما الذي بقي لهم اذن من عقائدهم وطقوسهم وممارساتهم؟ بالنسبة ليزيديي جبل سمعان فان الاسلام يبتلعهم رويداً رويداً ومنذ سنوات. وسوف ينتهي بهم الامر ان يجتمعوا ويجدوا انفسهم ذات يوم، وذلك اذا ما اخذت الحكومات على عاتقها مسؤولية نشر التعليم والاصلاحات الاجتماعية مستنيرة بعقل متفهم وانساني. الا ان الامر ان لم يفت بعد، واليزيديون كغيرهم كثيرون اخرون، عاشوا تجربة مريرة ولكن لم يفتتنوا بالشيوعية، التي ترى بين اشياء اخرى ان "الدين افيون الشعوب".

بنكهى زين
www.zheen.org

²⁰⁹ *op. cit.*, p. 443-444.

الخاتمة

لم يكن الامر في الواقع يعني في الصفحات السابقة، التوصل الى اصل جميع نواحي العقيدة او حتى اصول ابسط الطقوس الدينية اليزيدية، مثل اسطورة "طريق التبانة او طريق اللبن" او تحريم اللون الازرق مثلاً^{٢١٠}. ونعتقد اننا على الاقل، استطعنا استشفاف الهم مما يثبت

²¹⁰ تعود اصول بعض العادات كما اشرنا في الحاشية (١٧٨) الى ممارسة الشيخ عدي لها. ولكن مازالت هناك عادة قائمة الى اليوم ولانجد لها تفسيراً "تحريم الملابس الزرقاء اللون (Lescot, *op. cit.*, p. 69, n. I) حيث يشير ليسكو الى ان ذلك اللون يلعب دوراً كبيراً في الخرافات الشرقية، ففي واقع الامر، يعتقد الكرد ان للعيون الزرقاء تأثيراً سيئاً. ولديهم كما لغيرهم من الشعوب الشرقية تعويذة زرقاء اللون تحمي اولادهم شر الحسد, (AL-Hasani) (*op. cit.*, p. 69, n. I) التي تشير الى ما اورده الزمخشري (١٠٧٥-١١٤٤) في كتابه "الكشاف" من ان العرب يكرهون العيون الزرق لان البيزنطيين كانت عيونهم زرقاء. ويذكر المثل القائل في وصف العدو "بان له كيدا اسود، ولحية حمراء وعيوناً زرقاء". ويضيف كاتباً ان القبائل الكردية في الشمال لا يرتدون الملابس الزرقاء خاصة اذا كانت مصبوغة. ويختتم بانه يجهل السبب الحقيقي وراء تحريم اليزيديين والصائبة ارتداء الملابس الزرقاء وتفسير الدمولوجي (2) (*op. cit.*, p. 292, n. 2) لا يقدم شرحاً لاي شئ مطلقاً. انه يقول ان اليزيديين دون ادنى شك ارادوا ان يتميزوا عن الشيعة الذين اعتادوا ارتداء السواد ايام عاشوراء حزناً على الحسين وكما ان الازرق ليس الابيض او الاسود على حد علمي! وكيف سيتمكن الدمولوجي من تفسير كيف ان الفقير (المشايع) الذين هم بالتحديد الانداد الاكثر صدقاً للشيخ عدي لا يرتدون الا السواد؟ -وقد ترك المؤقر الاب "جاك ريتورية Le R. P. Jacques Rhetore" (١٨٤١-١٩٢١) احد المبشرين الدومينكان في خدمة النسطوريين، والذي قضى مايقارب الخمسين سنة من عمره في كردستان وارمينيا، ترك كما من الملاحظات المخطوطة خصص من بينها عديد من الصفحات لليزيديين وانا اخترت تلك المعلومة التفصيلية والتي لم اجدها في اي مكان آخر. ويقول ان اليزيديين يزعمون ان

هيكل العقيدة بدون حذف اي شئ منها. وعلى هذا الاساس الذي يبدو لي اسلامياً بشكل خاص، مازالت عالقة فيه عادات كثيرة وخرافات لم يستطع الاسلام استبعادها اكثر بكثير من كونه مسؤولاً عن الانحرافات التي خرجت من محيط بيئته²¹¹. وليس هناك مايسبب دهشتنا في ذلك. فعندما جاء الشيخ عدي ليستقر في كردستان، وجد فيها شعباً مختلطاً كما هو الان.

وكما قلنا سابقاً اذن، ورغم انتشار المسيحية النسطورية او اليقويية فمازالت توجد بذور من الخرافات الوثنية. ولم يختف كل ذلك مرة واحدة مع ظهور الاسلام بالتأكيد. بل بقيت اثاره تعيش في اواسط الجماهير الشعبية. ولم يكن اليزيديون وحدهم ورثة ذلك كله، كما انهم ليسوا وحدهم من ابقى عليها واحتفظ بها. تلك حقيقة لا علاقة لليزيدية كما هي بها، وعلى اي حال فقد استوعب الاسلام كثيراً من تلك البقايا ان لم يكن كلها او اذا اردنا القول استوعبها مسلموا البلاد، حينما نبتت وظهرت اليزيدية بدورها هناك. فلا يعني الامر ان التأثر المباشر بهذا

موتاهم يعودون للحياة من انفسهم، ويتركون سرير الموت ويهربون. ولمنعهم من الهرب يغطونهم بقطعة من نسيج التل الرقيق لونها ازرق يكون قد نسجها شخص مسيحي. ويحتفظ كل بيت بمثل تلك القطعة لاستخدامها في مثل تلك الحالة. ان مفتاح منع اللون الازرق هو في هذه الرواية، العقيدة. وفي واقع الامر فان كلمة ازرق تعني في الكردية كلمة شين والتي تعني في ذات الوقت الحداد، احتفالية جنازية، مرثاة جنازية. اما نذهب الى اخر العالم بحثاً عن تفسير. الم يكن ذلك بكل بساطة بين ايدينا هنا؟ انها تلك الرابطة اللغوية وحدها تفسر ذلك الرفض للون الازرق والذي ليس سوى رفضاً للموت؟

²¹¹ ان الاسلام الصادق الحقيقي المستقيم لم يعد مسؤولاً عن الانحرافات العقائدية اوالمعنوية لليزيدية بقدر ماكان حال الكنيسة الكاثوليكية مع الانطوائية ونزوات مسيح هو نفاقية. ومع ذلك، فان هاتين الطائفتين الاخرين لايمكن ايجاد تفسير لهما الا بواسطة الكاثوليكية وبعض مميزات قانون عقيدتهم (؟) ومن ممارساتهم لايمكن للاسلام ان يفهمها. وهكذا لايمكن لليزيدية ان تقدم نفسها الا بصلاتها بالاسلام.

الشكل او ذاك بالوثنية القديمة، او بالاديان التي سادت المنطقة في فترة بعيدة نوعاً. بل ومع ذلك يجب ان نقول اننا سنجد انفسنا امام بقايا من الدرجة الثانية²¹². اليس ذلك بالتأكيد ما يشرح امكانية ان ينسبوا لتلك العقيدة عناصر هكذا مختلفة واصولاً متناقضة؟

قليات، لبنان، ١٤ ديسمبر ١٩٦٠.

توماس بوا، او. ث

Thomas Bois, O. P.

²¹² وبخصوص الصوفية بشكل عام، يحاول بعض المستشرقين جاهدين البحث عن مصادر لها. وقد بذلوا في سبيل ذلك الجهد والتبحر في العلم والبحث لتبيان اثر مختلف الاشكال الصوفية كما يقول ارييري الذي اضاف (Arberry *op. cit.*, p. 78) ولن تتعاس عن مراجعة او تأكيد الموضوع قيد البحث لاكثر من قرن. كما ان فكر وطريقة حياة الصوفية كانت بفضل من سبقهم من المسيحيين، اليهود، الغنوسيون، والافلاطونيون الجدد والباطنيون والزرادشتيون والبوذيون". وتلك كانت طريقتنا تماماً في مواجهة تلك الدراسة عن اليزيديين، حيث نرى ان الاسلام قد استوعب تماماً كل ما اكتسبته الصوفية من الاديان الاخرى، ومن ثم نقله لليزيديين.



الاديرة المسيحية والمعابد اليزيدية
في كُردستان العراق



بنكهى زين

www.zheen.org





الفهرست

١٢٧ المقدمة: كتاب هام
١٣١ أولاً : الاديرة المسيحية التي لا يُعرف اسمائها او مواقعها جيداً ..
١٣٣ ١. دير مار ابراهام في نطبار
١٣٤ ٢. عاصمة جديدة "شبتيان"
١٣٥ ٣. دير مار شاليطا
١٣٩ ٤. دير بيت عاو الشهير
١٣٧ (١) عامل ثابت طبيعي (الزباب)
١٣٨ (٢) لا يوجد اي اثر للاماكن التي تحدث عنها "توماس دي مارغا"
١٣٩ (٣) الاماكن مجهولة الاسم
١٤١ ثانياً: المعابد اليزيدية
١٤١ ا. مزار دايكا چاكان
١٤٧ ب. معبد الشيخ عدي
١٤٧ (١) منشآت الشيخ عدي
١٤٩ (٢) الشيخ عدي، كنيسة مسيحية
١٤٩ ١. إجماع الموروثات الشفاهية المسيحية أو الاسلامية على ذلك ..
١٥١ ٢. رأي واحد مخالف: الاب الموقر "فيبي"
١٥٣ ٣. شيخ عدي او دير مار يوحنا و ايشو ساوران
١٥٣ ١- نصوص تاريخية يجب التحقق منها
١٥٩ ٢- سياق آثاري لا يجب اهماله
١٦١ الخاتمة



بنکهی ژین

www.zheen.org

*المقدمة: كتاب هام

قدم الاب "أ. ب. فيي Le pere o. p. Frey" في نفس مجموعته "الموصل المسيحية"، ثمرة ابحاث امتدت لعشرين سنة حول الكنائس والاديرة في شمال العراق. وجاء ذلك العمل العظيم ليسد فراغاً واضحاً في الابحاث باللغة الفرنسية. وذلك لانه حتى اذا كانت هناك بعض الابحاث باللغة الانجليزية، فلن يتعدى ذلك وجود دراسة في الادب لـ "روبن دوغال Rubens Duval"، و"شابو Chabot"؛ او في التأريخ قدمها "لابور Laburt". وكتاب "الموصل المسيحية" منجم لاينفذ حيث سنجد التأريخ والجغرافيا والآثار، وحتى الفولكلور. ويجب ان يتصدر ذلك الكتاب جميع مكتبات التأريخ الكنسي الشرقي.

* هذه الدراسة مستلة من مجلة المشرق يناير/ فبراير، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، ١٩٦٧ (باللغة الفرنسية).

^١ "ج. م. فيي J. M. Fiey"، "آشور المسيحية". مساهمة في دراسة التأريخ والجغرافيا الكنسية، واديرة شمال العراق. معهد الاداب الشرقية، بيروت. الاجزاء (٢٢، ٢٣) في ٨٩ صفحة (في مجلد واحد). (لسوء الحظ ان القوائم لم تكن على نفس المستوى ولم تكن كذلك ذات اتجاه واحد).

ويعرض لنا الكاتب في مقدمته (الصفحات: ١١-٣٦) مصادره
الشرقية المترجمة الى الانجليزية او الفرنسية ومنهجه في البحث. عن
الاديرة القديمة. ويحذرننا الكاتب من الافخاخ والمطبات التي سوف
تصادف اولئك وهؤلاء، والتي لم ينج منها الكاتب نفسه.

وعندما اختار الكاتب عنوان: "آشور المسيحية"، لم احب ذلك. فمثل
ذلك العنوان يؤدي الى الالتباس. ولكن الكاتب خصص صفحة يشرح فيها
ذلك العنوان في الافتتاحية (ص٩-١٠). ولكنه لايطابق تماماً ماكان قائماً
آنذاك ليس فقط بالنسبة لاشور القديمة بالتأكيد ولاحتى آشور المسيحية
او آشور والتي تحتوي ثلاث محافظات رئيسية: بيت گرمای، اديابين وبيت
عربيای. وفي الواقع فان الكاتب توقف عندما سماه اديابين الكبرى، يعني
انه لم يذهب بها جنوب الزاب الصغير ولا غرباً ليعبر دجلة، انما هي رحلة
قصيرة في انحاءها. (الفصل الثامن عشر). ولكنها مع ذلك مساحة كبيرة
تغطي تقريباً معظم لواء الموصل، وجزءاً من اربيل وناحيته "التون
كوبرو" والطاوق في لواء كركوك. وهكذا يقدم لنا ذلك البحث المحدد
مئات القرى المسيحية واطلال الاديرة.

وفيمايلي الخطة العامة التي اتبعها الكاتب:

القسم الاول: اديابين.

١. اربيل، ص٣٩-٩٧.

٢. سهل دجلة، ص٩٨-١٢٤.

٣. الوادي الذي بينهما، ص١٢٥-١٦٤.

٤. الاراضي المرتفعة في حزة، ص١٦٥-١٩٠.

٥. جبل اديابين، ص١٩١-٢١٨.

٦. اجزاء متفرقة، بقايا، ص٢١٨-٢٢٣.

القسم الثاني: مارغا

٧. عموميات، ص ٢٢٥-٢٣٥.
٨. مارغا الشرقية، ص ٢٣٦-٢٨٣.
٩. مارغا الغربية، او اقليم برتا، ص ٢٨٤-٣٠٣.
١٠. نحلة، ص ٣٠٤-٣٠٩.
١١. تالانا، ص ٣١٠-٣١٩.
- القسم الثالث: بانو حضرة
١٢. تقسيم بانو حضرة، ص ٣٢١-٣٥٣.
١٣. القرى الكلدانية في نينوى، ص ٣٥٩-٤١٥.
١٤. قرى سيرانية ويعقوبية في نينوى، ص ٤١٦-٤٦٩.
١٥. قرى مسيحية منذ القدم في نينوى، ص ٤٧٠-٤٩١.
١٦. اديرة نسطورية وكدانية في نينوى، ص ٤٩٢-٥٦٤.
١٧. اديرة سيرانية في نينوى، ص ٥٦٥-٦٣٣.
١٨. اديرة يمين الساحل، ص ٦٣٢-٦٧٤.
١٩. قرى باحضرة (باهدارا؟)، ص ٦٧٥-٧٠٠.
٢٠. اديرة باحضرة، ص ٧٠١-٧٣٥.
٢١. جبل الآلاف، ص ٧٣٦-٧٨٤.
٢٢. بيت رُستافة، ص ٧٨٥-٨١٥.
٢٣. اديرة الشمال- البعيد، ص ٨١٦-٨٢٠.
- خاتمة: اوضاع القساوسة الاشوريين، ص ٨٢١-٨٢٧.
- قائمة الكتب: الشخصيات ص ٨٢٩-٨٥٨، الاماكن، ص ٨٥٩-٨٨٠؛
- آراء حول الادب السرياني، ص ٨٨١-٨٨٢؛ مواضيع مختلفة، ص ٨٨٣-٨٨٤؛ المفردات، ص ٨٨٥.
- ويكفي ذلك المخطط البسيط للتدليل على سعة وثرء البحث. انه يعرض كما هائلاً من الجهد ودروب البحث، والمعارف. وهي معارف لغوية

بالدرجة الاولى. لانه يتوجب معرفة الكلدانية القديمة على الاقل معرفة تامة الشرقية والغربية، وكذلك السوريتية الحديثة والعربية بالطبع كذلك. يُضاف اليها بعض معارف اللغة الكُردية والفارسية كذلك. هذا الى جانب مفاهيم علم الصوت وقوانين علم اللغة الى جانب دراسات لغوية وتأريخية لاسماء الاماكن واصولها وكذلك الاسماء الشخصية واصولها. بل ويعرض لنا كذلك امكانية قراءة النقوش وهو شئ لايمكن الاستغناء عنه. بل انه يعرف بعض المفاهيم الهندسية: المساحة او مايسمى بدراسة الارض، ومعرفة قياس الاسطح المسطحة، الرسم وكل ذلك ضروري عند البحث في الموقع. فلذلك لن يندهش عندما تراه يغمر هذه النقطة او تلك بالحقائق ومع ذلك فانه يرتكب بعض الاخطاء، فهو يعتقد انه استطاع ان يكتشف بعض المعلومات التي تنقصها الدقة لدى من سبقه مثل: السماي، "لُقيان"، "بودج"، "شابو"، "مانغانا" و"تيسرانت"، ولكنه يتعامل معهم بغير احترام، ولم ينتقدهم. ومع ذلك فمن المؤكد ان تقويض تمثال "فردينالديسبس" اسهل بكثير من حفر قناة السويس! لكن النزعة الشريرة التي لعبت بهم اكثر من مرة لم تُوفره بدوره.

وهكذا نراه يهمل بعض اماكن الاديعة التي افترضها من سبقه. ولم يكن دائماً مخطئاً في ذلك. لكنني لا اعتقد انه كان مصيباً على طول الخط. وفي واقع الامر، لم ينج منهجه من وجود بعض الثغرات. فهو لم يكن يقرأ الوثائق دائماً او انه يطلع عليها بسرعة او بطريقة غير دقيقة. هذا الى جانب ان معلوماته عن علم الاصوات لم تكن عميقة بما فيه الكفاية وحتى طريقته في حساب المسافات لاتشجع احداً على اتباعه. بل وتختلط احياناً آراؤه في علم النفس او افكاره الخاصة ببراهينه العلمية مما يتسبب في ضبابية التساؤل حول الموضوع. ولسوف نشير في بداية الامر الى بعض من تلك الاخطاء قبل ان نقوم بالعمل على جوهر دراستنا: المعابد اليزيدية.

أولاً: أديرة مسيحية لم تُوصف جيداً بل وفي غير مكانها:

ذكر الكاتب في هذين الجزئين الكبيرين بعنوان: "أشور المسيحية"، ذكر مائتين وثلاثين ديراً إلى جانب الكنائس ودور العبادة الأخرى. ولا توجد كل هذه المنشآت الدينية في شمال العراق بالتأكيد ولكن معظمها موجود هناك. وفي مقالة عن (الشرق الأدنى) المسيحي (العدد التاسع، ١٩٥٩، ص ٩٧-١٠٨)، بعنوان: "بحثاً عن الأديرة القديمة في شمال العراق"، يكشف الأب "فيبي" عن ثمانية وخمسين ديراً (ص ١٠١)؛ من بينها عدد كبير قد تم توصيفها منذ زمن طويل. ويبدو أنها كانت تواصل خدمة العقيدة أو أنها كانت قائمة في مناطق كانت المسيحية فيها قوية ومتواصلة عبر العصور أو أنها قد أعيد تجهيزها لتعمل هناك من جديد. واحتفظت الموروثات ببعض الذكريات المحددة لمعابد كانت شهيرة جداً في عهدها. ولكن الكثير منها هدمت مرة بعد مرة بسبب الحروب والمطاردات والهجرات والكوارث الطبيعية واختفت دون أن تترك أثراً أو أنها تركت القليل جداً.

وهناك علماء اثار كثيرون قديرون أو هواة، حاولوا تصنيف الخرائب والاطلال وقد نجحوا بهذا القدر أو ذاك وقام الأب "فيبي" بالاشتراك بدوره في البحث وبسعادة لا توصف. ولم يكن الأمر سهلاً بالطبع، ولن يدهشنا ذلك إذ لم تستطع النتائج المتوفرة اقناع الجميع.

١. دير (مار ابراهام Mar Abraham) في نطبار، (ص ١٥٧-١٦٢):

يقع ذلك الدير في "اديابين" وبتحديد أكثر في "الوادي ما بينهما". ولربما تم انشاؤه في القرن السادس على يدي "ابراهيم" احد سكان نطبار وتابعه الشهير "چوپ الفارسي Job le persan". ولسنا بعيدين هنا عن الزاب بل ويجب بذل محاولة لتحديد افضل.

وترى الأب الموقر يقول لنا بهذا الخصوص ان وجهة نظر علماء اللغة المعروفين يفضلون استخدام المفردة "نابطار" بدلاً من "نطبار".

ويمكننا بشكل اولي تقبل ظاهرة التبدل تلك بدلاً من رفضها. ولكننا نرى ان الكاتب يبتعد عن ذلك عندما يطرح ذلك التساؤل عما اذا كانت تلك المفردة تشويه لكلمة "نفطار": ويأخذنا ذلك في الحال الى التقريب مع كلمة نطف. ونضع هنا ايدينا على اول الاخطاء. ويدخل الكاتب بعد ذلك في جدل لغوي حول الحروف الساكنة المضخمة: (ط) و th (ذ) والتي يمكنها ان تتحول الى حروف ساكنة متداخلة الصوت الى sh (ش) كما نرى ذلك لدى التياراتين^٢. ولكنها لن تتحول ابدأ الى حروف ساكنة مغلقة او مضخمة T (ط). وتكتب كلمة نطف مع حرف T (ط) مضخم. انه تماماً نفس الخطأ الذي اقترفه قس كلداني كان قد توفي اسقفاً، عندما قال لي دون ان يرف له جفن ان (الطاووس Ta`us) الذي يعبدّه اليزيديون ليس سوى (الاله اليوناني Theos) وهي قريبة من كلمة طاووس ويقول انهم اخذوه من احد الطقوس الكلدانية. على اي حال لا يشرح ذلك الجدل اختفاء الراء النهائية من كلمة "نابطار" وهي ليست "نابطا" فقط. ولكنني ارى ان الاب عندما يندفع يذهب بعيداً. والنطف هو البترول مما يذكرنا بالمفردة "Goudron" التي تعني القير بالعربية. فهناك قرية بالقرب من الزاب، وليست هي الوحيدة، التي تحوى ارضها مستودعات من البترول الثقيل. وتسمى تلك القرية "جوير" وهو اسم كما يبدو مشتق من قير. ونحن جميعاً نعرف كيف يحور البدوي احرف (ق) الى (ج). كل ذلك صحيح، الا اننا لا يمكننا ان نتبع الكاتب عندما يقول في نهاية فقرته ((ان تماثل "نطبار" مع "جوير" الحديثة يبدو شيئاً مشروعاً)). ولكنني بعد ان اطلعت على الكثير من المعارف لا يمكنني قبول مثل تلك الشعوذة.

Cf. J. Rhetore', O. P., "Grammaire de la langue soureth", Moussol, 1912, PXX.

٢. عاصمة جديدة، شبتيان، (ص ٢٠١-٢٠٤):

اما بخصوص قائمة العواصم والابرشيات التي قدمها البطريرك "عوديزو Awdiso" في القرن الرابع الى البابا "بيوس" الرابع، سنجد كلمة "شبتيان". ولم يتردد القس في ان يماثلها بالقرية الكبيرة الكلدانية "تلكيف" التي تعني بالكلدانية تل كبه والتي لم تكن ابداً عاصمة، ولكن لا اهمية لذلك. لاننا نرى كيف ساعد ذلك الشكل الاخير على تقديم المفردة "كبتيان" او "كبتياننسيس". حسناً، وبالتحديد لا نرى كيف يمكن للصوت ان يحدث ذلك. وهنا كذلك اهمل القس الحرفين الاخيرين من جذر الكلمة T(ت) و N(ن). ويصبح لدينا كلمة (HPTN). الا ان تل كبة لا يمتلك سوى حرفين K (CH) و P (ب). وبالتأكيد ان السمانى قد ماثل شبتيان بالمفردة "هبتون Hibton"، وهو ما سيكون اكثر قبولا. اما "وفمان" يقترح Hvftyan i Surhab^{١١١}. وهناك نص اورده "نيكيتين Nikitine"^{١١٢} جعلني افكر في المفردة "خوفتيان Khouftian" بدلاً من (هورتيان Hurtiyan) واعاد نقلها الاب الموقر الذي لم ينقل ذلك النص المعنى). وخوفتيان بلدة قوية تقع على الزاب، كانت مركزاً لواحدة من المناطق الكردية الستة عشر، والتي ذكرها المستوفي في كتابه "نزهة القلوب"، الذي كتبه في العام ١٣٣٤/٧٣٥. وان ذلك الموقع يتلائم تماماً وعاصمة كنسية. فهل المفردة "خوفتيان Khuftian" هي نفسها المفردة التي اوردها "هوفمان Hoffmann" وكتب "ف. مينورسكي V. Minorsky" في مقاله المعنونة "كردستان" في الانسيكلوبيديا الاسلامية، كتب يقول: خوفتيان = كويسنجق؟ واكتفى "آرن فان لانتشوت Arn VanLantshoot" نائب امين مكتبة الفاتيكان بأن يقول في "D. H. G. E.", اكتفى بان يقول بان هوفمان لم يتقبل المفردة "هبتون Hibton"

^{١١١} Nikitine, Les Kurdes, Etude sociologique et historique, Paris, 1956, p. 23.

التي اوردها السماني. كما ان الاب الموقر "فيبي" اعتقد انه مسموح له ان يقدم توضيحاً ثالثاً لتلك "الابرشية الشبح في شبتيان". ولكنني اشك كثيراً ان يحصل على اجماع القراء. وهو نفسه من جهة اخرى يُحذرننا في (ص ٣٥٩) مُسبقاً بقوله: ((انه في جميع الاحوال لم تحتفظ تلكيف طويلاً بعنوان العاصمة الى جانب اننا لانعرف ايا من اساقفتها الكبار)) وسمحت لنفسي ان اؤكد على (ايّاً) اي على عدم وجود اي اسقف فيها. وتكفي تلك الحقيقة لاستبعاد تلكيف من قائمة العواصم.

٣. دير (مار شاليطا Mar Sallita)، (ص ٥٥٩-٥٦١):

توجد اديرة كثيرة تحمل اسم (مار شاليطا). وتقول القصة التقليدية ان ذلك القديس قد توفى في "ماويلي" على نهر دجلة، ما بين دياربكر والجزيرة، ودُفن فيها. ويعرف الاسقف "أدي شير A. Scher" ذلك الدير معرفة تامة.

اننا مازلنا في كردستان. ولكن وقائع سيرت تقول انه قبل وفاته ذهب الى بلد ليتلقى بركات بعض القديسين. ولكنه توفى هناك و دُفن في احدي المغارات الكبيرة المعروفة باسم العوينة في مقابل (بلد) في مكان يسمى الدوير ويقع في غابة. هذا وقد تم بناء دير كبير فوق قبره. وعلق الاب الموقر على ذلك في ص(٥٦٠-٥٦١) بقوله: ((كنت دائماً مُعجباً باسم قرية تقع على بعد اربعة كيلومترات في جنوب شرق (وانا) التي تقع كذلك على نهر دجلة واسمها (ديرام توتا). الا يبدو اذن يقلب الكلمة على لسان الاجانب لكلمة دير مار شاليطا شئ حقيقي؟ انني عندما تواجدت في تلك المناطق وجدت ان تغيير الاسم مازال متواصلاً وان بعض السكان ينطقونها "كيرام توتا" ولكن الاسم الاكثر تواجداً واستخداماً محلياً هو اسم ديرية او الدير سواء كان من ينطقها عربي او كردي وفيها يمكننا ان

نرى كلمة دُوير في الوقائع. اما فيما يتعلق بالدير ذاته، فهو يقع شمال القرية على بعد كيلومترين)).

لقد اكدت على جملة مميزة لمنهج الاب الاشتقاقي. انه يرى اشياء يبدو انه وحده الذي يراها، اذا ما كان الامر يتعلق بالاشتقاق في اللغة. فليكن هناك دير حيث يقول بوجوده، فذلك ممكن بل ومحتمل، لان قرى عديدة تسمى ديرية منتشرة في انحاء كُردستان. ولكن التماثل الذي يقدمه لاسم (مار شليطا) لا يمكن ان يكون سوى شئ عرضي. لاننا لانرى حقيقة كيف تقلصت كلمة "دير مار شليطا" واستطاعت ان تتحول الى (ديرا متوطا)، اذا ما لم نتحدث عن تحول (ت) الى (ط)؛ تماماً وكما رأينا ذلك بخصوص المفردة "نطبار". وفي المقابل، (ديرا متوطا) تدفعنا الى التفكير في (دير التوطا)، دير شجرة القز. ولان الحرف الساكن (ع) لا يتواجد في اللغة الكُردية، فقد تحولت الى (ديران توطا)، دير نبع شجرة القز. وهكذا، في لبنان حيث ان الاسماء اكثرها سيريانية، نرى قرية (انتورا)، نبع الجبل.. وقارن ايضاً مع حَمكاوه، التي اصبحت عنكاوا، ثم (عين كاوا) (انظر: ص ١٦٨). ولكن كل ذلك لا يتعدى الفرضية.

٤. دير بيت عاو الشهير، ص ٢٣٦-٢٤٨:

يعتبر دير بيت عاو دون ادنى شك احد اشهر الاديرة في تأريخ الاديرة النسطورية. وكان ذلك الدير مُخصّصاً للحياة الدينية. وتأهل فيه العديد من القسس والاساقفة و القديسين، حيث عاشوا او قضوا نحبهم فيه، او حتى منهم من خرج ينشئ اديرة جديدة اخرى. ولكن من المستغرب ان الكثيرين يترددون في تحديد مكان ذلك المقر الرفيع للحياة الدينية النسطورية. وقد نشر "و. بودج W. Budge" في نهاية القرن الماضي، الكثير من النصوص السيريانية مع ترجمتها الانجليزية. وقدم لنا على وجه الخصوص كتاباً فريداً اساسياً في العام ١٨٩٣م، عن حياة

الاديرة الشرقية، نصاً وترجمة، مع مقدمة مدعومة بالوثائق التي زادت من قيمته، من بينها للعلم "كتاب الكبار"، الذي افه "توماس دو مارغا Thomas de Marga"، الذي كان بدوره قساً في "بيت عاو" قبل ان يصير اسقفًا وكان قد الف كتابه ما بين (٨٣٢ و ٨٥٠م) ويحدد "بودج" موقع الدير في مكان يلتقى فيه الزاب الكبير مع نهر اخر بالتأكيد نهر خازر. وطبيعي ان يرفض الاب "فيبي P. Fiey" يرفض ذلك الموقع ويفضل عليه ان يكون ضواحي عقرة حيث يتفق معه "ف. كينييه V. Guinet" في كتابه "تركيا الاسيوية"، الجزء الثاني، ص ٨٤٥. ولسوء الحظ فان المعلومات والارقام التي اوردها ذلك الكاتب لا يُعتمد عليها.

ان البراهين التي قدمها الاب الموقر مسبقاً دفاعاً عن اطروحته تبدو لي فاصلة واشعر غالباً تجاهها بعدم الارتياح، ولكن في الواقع لكي نحدد مكان دير ثبتت النصوص وجوده، وتذكر بالصدفة في كتاب "توماس دو مارغا"، يتوجب وجود عناصر ممكنة، محتملة، او اكيدة على الارض للتعريف به. وهذه العناصر تكون طبيعية كما الجبال، او التلال والوديان والانهار دائمة الوجود عبر القرون ولا يمكن ان تختفي دون ان تترك اثاراً لها. وستكون تلك العناصر كذلك عناصر طبيعية يمكن ان تزول: مقال حجارة، جبس، منابع المياه، غابات، مزارع فواكه. ويمكن ان تكون كذلك عناصر صناعية فد حُفظت بهذا الشكل او ذاك: اطلال، الواح من جدران، اقواس معقودة، صهاريج او مستودعات مياه، بقايا طواحين.. الخ. ولكي نصدق الكل، هناك تقليد لاسماء الاماكن التي تشوهت الى حد ما. فاذا ما تقبلنا كل ذلك، فهل سنجد تلك العناصر التي ستحدد مكان دير (بيت عاو) والتي افترضها الاب "فيبي" وسيكون المكان الى الجنوب من قرية (هريا) (ص ٢٣٦-٢٤٦)؟ لا يبدو لي ذلك شيئاً معقولاً، ولكن ذلك لا يعني

ان يكون بودج على حق مطلقاً. ويبقى السؤال مفتوحاً امام القيام بتحقيقات وابحاث على الارض بُغية الوصول الى نتيجة حاسمة.

(١) عنصر طبيعي ثابت (الزاب):

يضع "بودج" دير بيت عاو "على قمة جبل بين واديين: في الوادي الشرقي يجري نهر الزاب الكبير، وفي الوادي الغربي يجري نهر او ينساب مجرى ماء، (ص ٢٣٧). وكان يجب ان يكون الدير بالقرب من نهر. يقول بودج، لانه عندما يجب تشييد كنيسة، فمن الضروري احضار الجص بواسطة الكلك (عبارة) ومن هناك الى الدير على ظهر الحمار. ولا يقبل الاب "فيبي P. Fiey" مطلقاً ذلك الدليل. لا يوجد ابدأ اي زاب في "هريا"، الا على بُعد مسيرة خمس او ست ساعات. وما كانت هذه المسافة اذن صعبة جداً حتى لا يجتازها قساوسة القرن الثامن، ولم تكن صعبة كذلك بالنسبة للكرد ومسيحي اليوم.. فلا نرى اذن لماذا كان لابد من تقريب الزاب من الدير (ص ٢٣٧). ودون ادنى شك لم تكن مسيرة خمس ساعات لتخفيف القساوسة، بل يقطعونها في كل مرة يذهبون فيها سيراً. واذا كان الامر يتعلق بتشبيد كنيسة ما، ويكون سمك جدرانها ما يقارب المتر فتلك قصة اخرى، لان ذلك سوف يتطلب احضار الجص عن طريق العبارات، ويجب حينذاك نقل عدد من الامتار المكعبة من الجص، حيث يزن كل متر منها ما يزيد على الطن. واذا ما عرفنا وزن اكبر حمل يمكن ان يحمله الحمار، يمكننا آنذاك معرفة عدد جيش الحمير اللازم لنقل تلك الاحمال. وذلك لانه لا يجب ان نقارن البضعة اميال (٥٠٩ ميلاً) من المسافة التي يقطعها قساوسة القوش عام (١٨٩٠) والخمس او الست ساعات، المسيرة التي يجب ان يقطعها المتدينون من دير (بيت عاو) في القرن الثامن. ومن جهة اخرى، لماذا نبذل ذلك المجهود الكبير لنقل الجبس من مكان بعيد كهذا، طالما ان الجبس موجود في عقرة وهاردن والتي تعتبر ضواحي

(حرباً) كما قال الاب الموقر نفسه (ص ٢٣٧)؟ وبعد ذلك يضيف الاب مداعباً، بأن الدير لا يمكن ان يشيد بالقرب من الزاب، ولأنه استناداً الى برهان نفسي مهم، انه اذا ما كان الزاب قريباً، لعبه القساوسة باعجوبة. ولكن التأريخ لم يقل شيئاً عن ذلك (ص ٢٣٧-٢٣٨)، فلا تجب اذن المبالغة في ذلك الامر. وعلى اي حال فانه لا يوضح لنا تلك الحقيقة الصغيرة في جميع النصوص مع ذلك. هذا اذا لم نود الحديث عن المرسي الذي يمتلكه القسس على نهر يقع على بعد خمس ساعات من الدير (ص ٢٤٣).

٢) لا يوجد اي اثر للاماكن التي ذكرها

"توماس دي مارغا Thomas de Marga":

سأقوم هنا فقط بذكر ما كتبه الاب نفسه ص ٢٤٢، مكتفياً بالتأكيد على بعض الكلام ومُهَمِّلاً جميع الاستشهادات ((لا يوجد اي اثر)) من ((معصرة الزيتون الكبيرة التابعة للدير))، الى البيادر المسماة "ادرية دايلاس Edre Dablas"، والتي تمثل حدود الدير؛ او المراعي في الغابات والتي سمي الدير باسمها، والتي تقع في الوادي بجوار المقبرة التي اندثرت ايضاً. واندثرت كذلك املاك (تلة زالين Tella d` Zale) (ب. زيوا B. Ziwa) غابة الدير المسماة ب(حسيحة B. Hsihe) والتي كانت قريبة جداً من الدير لدرجة ان تصل اصوات ضربات فؤوس لصوص الخشب، تصل الى دير عاو. واندثرت كذلك طاحونة (ب. وردة)، وتقع بالقرب من (شارمن Sharmen)، ويسمى (حجير عتاد)؛ انها روايات تتداخل مع التأريخ. واخيراً، اندرست اشجار الصفصاف والغاب، و(مقر المعبود) وكلها كانت تابعة لسلطة دير (بيت عاو) الاول، وجاء "ايشو دناح Isho Dnah" من البصرة على ذكره. ان تراكم تلك الاندثارات لا يترك مجالاً لوجود بعض المشاكل. لانه وفي النهاية فان من المُحتمل ان يكون الدير قد بقي حتى القرن السادس عشر

(ص ٢٤٧). وان لم نتحدث عن الباقي الذي اندثر فلنتحدث عن الاشجار. فيها كان عدد الاشجار التي تُقطع، وهو شئ متواصل في كُردستان للحصول على الخشب؛ فمن الصعب وفي تلك المناطق التي لم تدخل اليها البولدوزرات، من الصعب القضاء على غابة باكملها، اذ تبقى جذور الاشجار التي لم تلبث ان تعاود النمو. وتلك حقيقة، انه ومنذ العام (١٩٦١) وقد تفشيت الحرب في كُردستان. وقصفت البلاد بالنابالم ازيلت مساحات عديدة من الغابات في شمال العراق. وعلي اي حال، فهناك اشجار لا يتم ابدأً اقتلاعها سواء من قبل المسلمين، الكُرد واليزيديين. واشجار الزيتون اشجار ديرية وخالدة بامتياز. ومزارع اشجار الزيتون ومعاصرها عديدة في كُردستان وبالتحديد بالقرب من الاديرة العتيقة. والحالة هذه، اندثر كل ذلك من بيت عاو.

٣) والاماكن مجهولة الاسم؟

يتحدث النص الذي اورده "توماس دو مارغا" عن موقعة في وادي (داحيا Daihya) تعود للحبر "ايشو Iso Dad" وصومعة الحبر "نارساي Narsai"، واخرى تعود الى "مار قرياقوس"، ومكان اخر اسمه "حبر كاهني Ger kahne" او تلة القساوسة، وموقع نبع الحبر، وموقع نبع الدير، واملاك (ب. حبة)؛ واخيراً طريق "شيكون Shikan"، وهو منحدر ما بين (رأس العين) و(بيت عاو)، ص ٢٣٩-٢٤١. فما الذي تبقى من كل ذلك؟ وماذا يقول الاب عنها؟

لا يوجد اي اثر تبقى من صومعة الاب "ايشو داد"، ولكن توجد اثار اخرى لصومعة الحبر "هورميرزد R. Hormizd" الا يجب ان تكون على الاكثر صومعة ايشو داد؟ واذا ما اردنا مواصلة القول، فان تسمية وادي (داحيا) مشكوك فيها. ولا توجد اية ذكريات لصومعة: الحبر نارساي" او لصومعة مار قرياقوس. وهناك مغارة اسمها (جبا بكورياكة P. Koriake Geppa)، تقع الى الغرب، في حين تجمع النصوص على ان هذه المغارة

الصومعة، تقع الى الشرق. ماذا اذن؟ ان الموقع المسمى (چير كاهني) سوف يكون في مكان موقع يسميه الكُرد (سى كيركاني)، وتعني "التلال الثلاثة". اما موقع نبع الحبر، لن تجد له اي اثر بين التسميات الحديثة، والينابيع الصغيرة كثيرة، مما يمنع القيام باية محاولات جديدة في مكان الموقع؟ انها فصل في مسرحية. ويبدو كذلك ان اسم ب. حبة، يتكرر فصاحب شجرة الزيتون، اسمه (ب. حبة) والمعروفة انها توجد بالقرب من "حزبا" وربما يمكن كذلك ايجاد... طريق (شيكون Sikon)، راس العين، الى الشمال من حزبا. وهذان الاسمان الاخيران والمسبوقان بكلمة يبدو، وربما هما الوحيدان اللذان بقيا اذن خلال الالف سنة التي تفصلنا عن "توماس دو مارغا، ص٢٤١. وذلك غيضا من فيض.

كما ان الفقرتين اللتين قدمهما الاب بعنوان: "مختصر المعطيات الطبوغرافية، ص٢٤٤-٢٤٥ وعلى وجه الخصوص استطلاعات على الارض ص٢٤٥-٢٤٦، لاتكفيان مطلقاً للبرهنة على هوية دير (بيت عاو)، بين اطلال بيادر حزبا. ويجب ان تعاد قراءتهما. وفي كل الاحوال، يجب القيام بتنقيبات جديدة منتظمة من قبل مختصين وليس فقط القيام بضربات رمزية بالمعول. ولكن، اكان الدير هنا او هناك، فان ذلك الدير كان من اشهر الديرية في ملحمة الديرية النسطورية.



ثانياً: المعابد اليزيدية:

يتلاءم الحديث هنا عن معابد يزيديّة مع الحديث عن الاديرة المسيحية وليس ذلك شيئاً خارقاً كما يعتقدون. وحديث كهذا لا يقبله الاب "فيي P. Fiey"، وسواء ارادوا ذلك ام لا، فان بعض الاديرة والمنشآت المسيحية تغيرت وتحولت عبر العصور الى منشآت علمانية، او مساجد اسلامية او معابد ومزارات يزيديّة. ويكشف الاب نفسه عن العديد من منازل الاغوات الاكراد، التي تم تشييدها فوق اطلال الاديرة او انها كانت كنائس مسيحية وتم تحويلها وتحويلها لنفس الغرض. مثلاً، كان قد تم تشييد منزل اغا "راس العين، (ص ٢٥١)، على موقع كنيسة رأس العين، (ص ٢٥١)، بالقرب من عقرة. وحدث نفس الشيء في بارمانكة، حيث احتل رئيس خوردينة، ص ٣١٥، كنيسة مارجرجيس، (ص ٣١٤) وكنيسة العذراء ذات الصحنون الثلاثة. واذا ما تكبدنا عناء البحث، لوجدنا امثلة اخرى كثيرة. اما الكنائس التي تحولت الى مساجد فكثيرة جداً.. لنذكر هنا وبكل بساطة ان كنيسة العذراء في اربيل، اصبحت مسجد المدينة، (ص ٩٦). اما بخصوص المعابد اليزيدية، لدينا على الاقل معبد الشيخ عدى، الذي كان كنيسة لسدير قديم. ولكن الاب الموقر "فيي" يرفض الحديث عن ذلك وكما سنرى فيما بعد. وفي المقابل، فان ذلك هو مسرحية حقيقية، ان دير (مار يوحنا Mar Yohannan)، وساور "ريشوة Sawrisho" الذي كنت اظن انه الشيخ عدى، ان يصبح معبداً يزيدياً، ولكنه مزار (دايكا چاكان Daika Tchakan)، على المقلوب، كما قيل لنا، انها فرضية مجنونة لدرجة اننا نشعر انه من حقنا ان نتوقف قليلاً امامها.

١. مزار (دايكا تشاكان [چاكان] Daika Tchakan):

ولكي نبدأ يجب ان نصحح الاسم الكردي. ولمرات عديدة يحدثنا الاب في الصفحات (٧٨٢، ٧٨٣، ٨٠٥) عن مزار يزيدي يسميه "داكي چاك" ويترجمها الام الطيبة. ولربما اعتقدنا اننا في مرسيليا! ولا اعلم من اطلق

عليه تلك التسمية، والتي تحمل خطأً فادحاً في اللغة الكُردية. ففي الواقع وحتى صدور قرار جديد فان الام "اسم مؤنث" في الكُردية كذلك؛ الا ان اللاحقة للاسم الكُردى المؤنث المحدد هي (ا) وليس (ى) ، التي هي لاحقة للاسم المذكور وزيادة على ذلك فان الاسم الحقيقي لذلك المكان هو "دايكا چاكان" بمعنى ام الطيبين او ام الصالحين. بمعنى التقاة. وها نحن في غمار وسط صوفي لانسان صوفي مسلم.

اين يوجد ياترى ذلك المزار او الشخص كما يسميه اليزيديون على الأرجح. انه لا يوجد ابداع من تلك الاضرحة العديدة بمعابدها الصغيرة الملحقة بها، ذات الشكل المخروطي بارز الزوايا والتي تُرقصر الطريق ما بين بعشيقه وياهزاني، حيث يعيش القوالون اليزيديون الذين يطلق عليهم الاب "فيبي P. Fiey" اسم الموسميون، ولا ادري لماذا؟ ص ٧٨. وتلك المعابد الصغيرة عديدة جداً يذكر منها "اسماعيل بك چول" تسعة وخمسين في حين يذكر الدمولوجي سبعين منها. وهذا اذا لم تذكر معابد سنجار. ولكننا لم نقرأ لدى هؤلاء الكتاب اسم مزار (دايكا چاكان) وفي المقابل، يقدم القس اسحق من بعشيقه، الذي يعرف اليزيديين ومهما ما قاله عنه الاب فيبي* فان القس اسحق يحدد الموقع الى الجنوب من الجانب الاخر من بعشيقه: الشيخ شمس وبالقرب منه مزار "دايكا چاكان" والتي تعني (ام الطيبين)°، وانا شخصياً اعترف ان اسماعيل لم يذكره، ولا الدمولوجي كذلك، ويمكن انذاك القول بانه ليس مهما لتلك الدرجة.

^٤ Ismail BEG (HOL, "AL-Yazidiya qadtman wa hadthan" Beyrouth, 1934, P. 106-108; Sadiq Dalooji, Al Yazidiya, Mosul 1951, P. 179-182.

* الصفحات (٤٦٥، ٤٦٨، ٨١١).

^٥ S. Giamil, Monte Siongar Storia di un poipole ignoto Roma 1900, P. 29 du texte chaaldea:

وذلك النص تمت كتابته عام ١٩٧٤، على يد القس الكاثوليكي اسحق من بعشيقه، اثر محاورات عديدة جرت بينه وبين شيوخ يزديين. ويقول الاب فيبي ان القس اسحق

الا ان ذلك المزار كان ديرا عتيقاً. لقد سمعت ان الاستيلاء على وتحويل الاديرة يعود الى زمن الشيخ عدي نفسه. ولست وحدى على ما اظن الذي سمع بذلك. لان الامر سيتعلق بدير مار يوحنا" و "ايشو ساوران" وكرر ذلك عدة مرات الاب الموقر عندما قال "في القرن الثاني عشر، استولى انصار الشيخ عدي وهم مسلمون صوفيون، ولم يكونوا اذ ذاك بعد يزيديين، وانشأ الشيخ فيها تكية كما يبدو، (ص ٧٨١). وادف فيما بعد يقول: ((اما من جهة (دير) يوحنا و ايشو ساوران، فقد اخذه الشيخ عدي نفسه في القرن الثاني عشر، وحالياً أصبح معبداً يزيدياً)) (ص٧٨٤).

ولكي نتوصل الى ذلك التوصيف الاصيل وغير المنتظر، استند الشيخ على قصيدة كتبها ايشو هو بار مقدم، وهو قس معتمد وصلة الوصل بين البطريرق والقساوسة في اربيل في القرن الخامس عشر، ولكنه يبالغ في ترجمة ذلك، كما سنشرح ذلك فيما بعد. وهناك ما هو اكثر من ذلك. لكي يقوم بترجمته، يقدم قصة تحوي كل شئ، والتي تقلب جميع معارفنا عن التاريخ الديري في جبل الالاف، او جبل المقلوب، كما يُسمى اليوم ولسوف الخص بوضوح البرهان حتى يستطيع الجميع ان يقرأها جيداً؛ ص٧٧٥-٧٨٤.

تبدأ القصة بتحديد موقع "دير ريشا Recha"، الشهير الذي كان المرحوم غبطة الاسقف "ستيغان كاتشو Mgr Stephane Ktcho"،

كتبه بالعربية بحجة ان اللغة العربية هي لغة الحديث الوحيدة في بعشيقية، ص ٤٦٦. ولكن "جياميل Giamil" في مقدمته (ص٥) نقل نص الترجمة الايطالية. لم يتضح لنا شئ! فالنص الكلداني تمت ترجمته الى السورانية عام ١٨٨٧ مع ملاحق وهوامش من قبل القس كاشا ابلحد Cacha Ablahad. ثم قمت انا بترجمة النص من السورانية الى الفرنسية في مار يعقوب عام ١٩٣٤. لاتوجد سوى الترجمة لكي تكون مجبراً على القراءة بعناية وانتباه. واذا ما كان الاب "فيي P. Fiey" متاعب الترجمة، لكان استطاع تفادى بعض الاخطاء.

اسقف الموصل، كان يود ان يعرف ذلك الموقع حسناً، لقد وجده الاب "فيي Fiey" ها هو قائم على قمة جبل المقلوب، ويفرض الاختيار في الحال نفسه على الفكر كما قال ص ٧٧٦. ولربما ندهش ان ذلك الامر يتطلب مرور العديد من القرون وقيام البحاثة العديدين بالبحث والراغبون بشدة باكتشاف الدير، لكي يتقبلوا في الحال ذلك الاختيار. ولنترك ذلك جانباً مع ذلك. وواقع الامر يقول ان الحبر "يوسف بوسنايا" في حياته، كان يشاهد الحبر يوحنان من "حلاتبا Halabta" عندما كان يقطع الطريق من كهف الحبر هورميرد الى مارغا. ويمر هو والفريق المبارك من رفاق الحبر "يوزاداق" والحبر "هورميرد" من اسفل الجبل حيث الدير على قمته، بل قد عاش فيه "بوسنايا" من قبل، وحيث عاش فيه كذلك الفريق المبارك من رفاق الحبر "يوزاداق" والحبر هورميرد قديماً. واذا كان السهل الخصب، هو ذلك الجزء من "نافكور" حيث يذهب "الحبر يوحنان" بحثاً عن الصح، فان الطريق المباشر يحاذي في الواقع السفح الشمالي لجبل المقلوب قبل ان يصل الى المعبر الواقع اسفل التقاء نهر (الخازر) و (جوميل)، (ص ٧٧٦). وذلك صحيح تماماً. ولكن الاب الذي كان عليه ان يعرف البلد تماماً كما اعرف انا، قد نسي ان يقول انه قبل ان يصل الى جبل المقلوب، فان صاحبنا قد مرّ اسفل الجبل حيث يوجد بالتحديد المعبد اليزيدي العائد للشيخ عدي. وهي تفصيلاً صغيرة، لكن لها اهميتها وكما سنرى فيما بعد.

ولكن "دير رشا" يحمل كذلك اسم "دير" مار ابراهام دو ريشا، والحال ان اطلال "مور ابرووم Mor Abrohom" ولم يتردد الاب في تماثل الديرين كونهما واحد (ص ٧٧٧)، وتظل بالتحديد بهذا الصدد. فذلك الدير سيظل قائماً ونسطورياً في نهاية القرن الثامن.. وفي القرن العاشرة (ص ٧٧٩). وعندما هجر النسطوريون ذلك الدير، الذي يبدو ان اليعاقبة

لم يقيموا فيه بل اكتفوا بتسميته بالسريانية "مور أبروهوم" وادخال من شيده في اسطورة "مار متي Mar Matti"، ص ٧٧٩، كان يجب على الاب الموقر، لكي يجد اساساً لتأكيداته، الا يستند على اي نص، او اي موروث، بل انه يستقى كل شئ من رأسه، كما يقول المثل العربي الشعبي. لا استطيع ان ارى ما لديه من الغالين* (ص ٧٧٩) على اي حال، فاننا لا نعتد الا على المصادر التاريخية المعروفة. ولكن جميع تلك النوايا الفكاهية لا فائدة من ورائها، الا انها كانت ضرورية لاستكمال العرض، لانني اخشاه، فنظرية او فرضية الاب تثير من المشاكل اكثر مما تبحث عن الحلول.

وسوف ناتي الان للحديث عن تأريخ دير مار يوحنا و "ايشو ساوران". وهما من القساوسة وكانوا رفاق الحبر "هورميرد" وعاشوا في (دير ريشا) حتى وافتهم المنية، (ص ٧٨٠)، في حين غادر الآخرون الدير بعد جفاف البئر وتفرقوا. ويدورهم شيدوا على الاقل ديراً آخر. "ولا يبدو ان المبنى قد دخل في معمعة الاسماء وهو اليوم بين ايدي اليزيديين ويقع الى الشمال من قرية "محمد ريشان" القابعة على السفح الشمالي الشرقي لجبل المقلوب.. وفي الواقع بالطبع ان يكون قد دخل في دورة اليعاقبة الذين اعدوا تسميته واصبح دير "مار زكاي" .. (ص ٧٨١). ويقول ان غبطة "انياس يعقوب Ignace Ya`cub" قد ابتنى لنفسه صومعة (ص ١٩)، وليس ديراً. وما زالت الصومعة قائمة كما ذكر ذلك، ولكنه لا يعرف متى اصبحت ملكاً لليزيديين الذين حولوها الى مزار.. (نفس المصدر). انه دير دايكا چاكان، وهو ضريح، ص ٧٨٣. وفي جغرافية اليعاقبة الجديدة، نرى ان اسم اطلال "مارا ابراهام" قد تم تحويل اسمها سيريانيا "مور ابروهوم" والمزار اليزيدي اصبح اسمه "دير زاكاي"، (ص ٧٨٤).

* الغاليون هم سكان فرنسا الاصليون. وقديماً كانت فرنسا تسمى بلاد الغال. [الترجمة]

وفي غمرة كل ذلك الجدل توجد عملية تماثل مصطنعة اختلقها الاب "فيبي" من عدة عوامل متفرقة استندت على سلسلة من الفرضيات التي تتالت بالتبادل والتي مازالت تنتظر البراهين:

- "دير رهشا"-، دير مار "ابراهيم دو ريشا"، "مور آبروهوم" على المقلوب. وهذا التعريف الاول لايعتمد عليه. فهو يشير بالطبع، وكما يقول الاب "فيبي" الى قُرب دير مار يوحنا.. وهو مايقدم لنا سلسلة ثانية من الفرضيات:

- دير مار يوحنا، دير زاكاي، مزار "دايكا چاكان". تلك التفصييلة الاخيرة وحدها الحقيقية، اما ما تبقى فمجرد شعوذة. اولاً، لا يبدو لي انه كان هناك مطلقاً دير باسم مار زاكاي. بل ولايتحدث غبطة يعقوب ابدأ عن اي دير بأسم "مازاكاي"، بل تحدث فقط عن "صومعة"، قد تحولت الى مزار يزيدي فيما بعد. ولكن وبالتأكيد لا يوجد ما يسمح بالقول بان اليعاقبة قد استولوا على الدير اليعقوبيية. وسأحاول التعرف على ما يستند عليه ذلك الاختراع العجيب. ولا يوجد ما يشير الى الدخول في مكن اليعاقبة ولاحتى الى تلك التسمية الحديثة. ولايقول "بار هرايوس" الذي عاش وتوفى بالقرب من دير (مار متي)، لايقول شيئاً عنه. اذن؟ مع ذلك، يستشهد الاب الموقر بنص يعود الى قس اربيل النسطوري في القرن الخامس عشر. ولسوء الحظ، تبدو ترجمته هنا من وحي اهوائه.. من كل ذلك يجب ان نستوعب جيداً هذه الجملة "لا يمكن ان يكون كل مسجد او مبنى لممارسة عقيدة ما، لا يمكن ان تكون بالضرورة كنيسة قديمة، (ص ٧٩٨). ولا يكون ذلك القول بالضرورة "حُكماً مُسبقاً لا يمكن تفنيده او تكذيبه". او انه ليس "هوساً" مطلقاً، طالما ان الاب الموقر نفسه قد اقر بوجود مزار واحد على الاقل، وهو مزار "دايكا چاكان"، دير قديم. ولكن الدير ليس الوحيد. لقد عالج الاب الموقر "فيبي"، يصحح الكاتب العديد من الاخطاء، من بين تلك الاخطاء، انه خلط

بين دير (مار ميخائيل من تارئيل Tar'il) وبين دير الحبر ميخائيل: وانكر كل صلة لليزيديين بالاسلام. وقد تعرف على بعض الاشياء الصغيرة الجديدة. ومشاعرنا من كل ذلك المزيد الضيق للسرعة التي تم بها ذلك العمل.

ب. معبد الشيخ عدي:

لقد قدم الأب الموقر "فيبي" دراسة مطولة عن ذلك المعبد اليزيدي في الصفحات (٧٩٦-٨١٥). ولكنه عندما نشر ملخصاً لها في مقالة نشرت في مجلة الشرق الأوسط المسيحي، العدد العاشر (ص ٢٠٥-٢١٠)، قام بتصحيح بعض الأخطاء عند المقارنة بين النصين. من تلك الأخطاء أنه خلط بين (دير مار ميخائيل دوناريل) وبين (دير الحاخام ميخائيل)؛ بل أنه أنكر تماماً وجود أية علاقة بين الاسلام واليزيدية، وأضاف بعض الملاحظات الجديدة كذلك. ولذلك أننا نشعر ببعض الضيق لعدم دقة تلك الدراسة المتسارعة، التي تفتقر للدقة.

١) منشآت الشيخ عدي:

ولاكثر من مائة سنة، قام "السواح" و"الهواة" كما يحب ان يسميهم الاب الموقر بزيارة ودراسة معبد الشيخ عدي. والحقيقة هي اذا لم يعرف البعض قراءة النص، فهناك اخرون لايعرفون ان ينظروا الى ما هو تحت انظارهم. ولدى على الاقل اربع مخططات مختلفة للمعبد^١. ولا يبدو لاول وهلة ان الامر يتعلق بنفس المبنى. ويذكر الجميع ان المبنى يحوي خمسة

^١ Le plusancien a ete dresse pas J. Berezin (1848), publie dans H. Field. The Anthropology of Iraq, Part 11, Number1, The northern Jazira, Cambridge, Mass. (1951), p. 71; Rev. Badger, The nestorials and their Ritual's, London, 1852, 11, P. 108; Rev. wigram, the cradle of Markind, London, 1914, 1922, p. 59; R. H. W. Empson. The cult of the peacock Angel, 1928,p. 124; W. B. Seabrook, Adventures in Arabia, London, 1928; p. 292; J. Remonnay, chez lesadorateurs d Diable, in Jersuites Missionnaires, Janv. 1938, p.g; E. S. Drover, Peacock Augel,

اعمدة، فيما عدا ويكرام فيذكر فقط اربعة. واذا ما قرانا وصف المعبد فسوف نندهش من التناقضات الهائلة فيما يتعلق بالابعاد. والافضل كما ارى ان اقدم جدولاً لها:

اقواس رواق	الاعمدة	بالمتر	الابعاد	الكاتب	التاريخ
	٥	١٤×١٦,٥	٤٩×٤٢ قدم	بيريزين	١٨٤٣
٥؟	٥			بادجر	١٨٤٤
	٤			ويجرام	١٩٠٧
٤ او ٥	٥			اميسون	١٩٢٥
		٩,٥×٢٠×١٦,٦	٥٠ قدماً	سيبروك	١٩٢٨
	٥			ريمونية	١٩٣٧
				دراور	١٩٤٠
٧ اروقة		١٢×٣٠		الحسني	١٩٤٧
٧ اروقة		٢٥×٤٠	٥٠×٨٠ ذراعاً	الدملوجي	١٩٤٩
٧ اروقة		١٢×٣٠		متبي	١٩٦٥

انا اعرف ان الصورة غامضة، ولكن الطول الحقيقي من البسيط الى المركب وحتى اكثر ١٦,٥ متراً، ٢٠ متراً، ٣٠ متراً، ٤٠ متراً. وبالمثل العرض: ٩,٥ متراً، ١٢ متراً، ١٤ متراً، ٢٥ متراً. وفضلاً ذلك، فبالنظر الى المخططات يتعلق الامر بمستطيل، ولكن لم يبلغ في اي منها ان يكون طول المستطيل ضعف العرض. وحتى بالنسبة الى عدد الاعمدة لا يتشابه، ولكن نرى ان الرقم (٥) هو الذي يتكرر، وفي هذه الحالة كيف يمكن مع هذا الرقم وجود اربعة او خمسة او سبعة اروقة؟ انها يجب ان تكون فقط ستة لاكثر ولا اقل. ومع ذلك، يذكر معظم الكتاب يذكرون

London, 194; A. R. hasani, Al. Yazidiy fi Hadirihim wa madihim, Saida, 1951, p. 25; S. Damlooji, Al-Yazidiya, Mosul, 1949, p. 205; p. Fiey op. cit., p. 797.

الصحنين وبناء السقف العلوي، ولكنى اقرر كذلك اختفاء الصالة الكبرى التي يجب ان تكون بمحاذاة صحن بيريزين وبادجر. ويمكننا ان نتصور بوضوح صعوبة التغييرات الاساسية في الانشاءات ما بين (١٨٤٣-١٨٤٤). ولكننا اذا ما قمنا بدراسة الخطتين سنجد انفسنا مجبرين على القول بان من قام برسم تلك الخطط لم يكونوا مهندسين.

ومهما كان الوضع، فقد اتفق الكتاب على القول بان المعبد يقع في مكان ما بين الشرق والغرب. ولا يوجد سوى "الاب فيبي" الذي وضع سؤالاً بهذا الخصوص يتسم بالسخرية بان الخطة، اذا ما كان الامر يتعلق بمكعب الا يوجد فيه اي مخرج. ان مثل ذلك التوجه قد تم شرحه اما بطبيعة الموقع نفسه (امبسون)، او بسبب عبادة الشمس المفترضة، او ان يكون ببساطة، بالنسبة الى معظم الكتاب، لان ذلك هو التوجه الاعتيادي للكنائس المسيحية.

٢) معبد الشيخ عدي، كنيسة مسيحية:

١. اجماع الموروثات الشفاهية المسيحية أو الاسلامية على ذلك:

لا يوجد ادنى شك فيما ذهب اليه بيريزين بالتأكيد على ذلك. ويذكر ان الجامع الكبير في ديار بكر، الموصل، ودريند كانت في الاصل كنائس مسيحية. ولا توجد اية اشارة منطقية تجزم بان معبد الشيخ عدي كان مسجداً اسلامياً قبل ذلك وفضلاً عن ذلك فان موقعه في مضيق يقف بالضد ويتناقض مع القواعد الضرورية الخاصة بانشاء المسجد (o.p., cit., p. 72). ويتعرف ويكرام ان خطة البناء غالباً ما تتبع في تشييد الكنائس الشرقية (o.p. cit., p. 97). وتعود "اي. اس. دراور" عدة مرات بقولها، انها تقليد اسلامي (o.p. cit., p. 150) وكذلك التقليد المسيحي (نفس المصدر ص ١٥٣). وهي تقرر فضلاً عن ذلك، بان المناخ العام والموقع يُذكر بالحياة الدينية والديرية (نفس المصدر ص ٦٧١). ويرفض الدملوجي مناقشة الموضوع لمعرفة ما اذا

كان في الاصل كنيسة مسيحية، ولكنه يضيف ان عدداً كبيراً من اماكن العبادة كانت وثنية واصبحت مسيحية، ثم اسلامية (op. cit., p205) ولم يمنعه ذلك من الذهاب الى ابعد من ذلك ليقول (في نفس المصدر، الصفحات ٢٢٢-٢٢٣)، ليقول ان دير (مار يوحنا و ايشو ساوران)، قد احتلها الشيخ عدي. ولكن الدير كان فارغاً منذ ان غادره القساوسة، لان الكُرد (الوثنيين؟) فد نهبوه بعد ان قتلوا المؤمنين.

هذا وقد تجذرت في العقول الفكرة القائلة، بان معبد الشيخ عدي كان كنيسة نسطورية قديمة متجذرة في العقول ولايعتمدها فقط السواح والهواة. وقد زارت المعبد كذلك شخصيات كنسية مرموقة كما "گيامل" وغبطة صايغ^٧، ولم يجدوا في الترتيب الداخلي للمكان ما يمنع وجود اصله المسيحي. وهم يقومون بالاضافة الى ذلك بمواصلة تقليد استمر لقرون عديدة. ونجده لدى جيزويتي مجهول الاسم في حلب من القرن التاسع عشر، وكذلك الاب "كامبانيلي" الذي عاش في البلاد، والقس "مارتين Martin" الذي الف كتاب "تاريخ كلدونيا"^٨. وحديثاً نجد علماء اثار وفقهاء عراقيين قد عرفوا بجلاء ذلك الاصل. وهكذا نجد مثلاً "و. بچمان W. Bachmannn" الذي درس بصفة خاصة كنائس ومساجد ارمينيا وكردستان، وكذلك "جورج عواد"، مدير مكتبة متحف بغداد، و"يعقوب سرکيس" والذين اعتقد انهم اذكياء وقدرة وكفاءة خاصة ايضاً. وذلك الجدل التقليدي لم يتمتع بقيمة مطلقة. ولم يتبق لدينا

^٧ S. Giamil, op. cit, note p. 27-28; SL. SAIEG, Tarikh Al-Mosul, Mars, 342L1923, I.P. 296-297.

^٨ Pour Le Je`suite: Perdrizet, Documents dux VII siecles, relatifs au Yezidis, Nancy, 1903; G Campanile, o.p., Storia della regione dal Kurdistan e delle settedireligione, ivi esistenti, Napoli, 1818, p. 155-156; P. Martin la chaldee, Rome 1867.

^٩ حاشية النص ص ٢٣، اي الصفحة السابقة:

سوى اهماله من حيث المبدأ، والاكثر منهم التقليديون الذين لايسجلون الرواية فقط بل يبذلون الجهد لتأكيدھا ببراهين حدية. ولكن باية كنيسة يتعلق الامر؟ يتصور بعض المسيحيين انهم ثبتوا صعوبة تحدي واحد من بين اثنين وسبعين تابعاً، او حتى الرسولي القديس، "تادية Thaddee" وذلك بالطبع كما هو واضح خطأ جسيم. ولكن منذ ١٨٨٥، اكتشف السيوفي قنصل فرنسا في الموصل نصاً من القرن الخامس عشر. يُنسب الى قس اربيل يقول ان معبد الشيخ عدي ليس سوى "دير مار يوحنا" و"ايشو ساوران"^١.

٢. رأي واحد يختلف: الاب الموقر "فيبي Fiey":

ويؤكد الاب فيبي، على ان معبد الشيخ عدي لم يكن ابداً ديراً مسيحياً. اولاً، لا توجد اية مغارة جديرة بذلك الاسم في السفح الجبلي الذي يحتوي قرية لالش، (ص٨١٤). ولكن الرحالة المعاصرون كما اميسون مثلاً (op. cit., p. 127) عززوا علامات كثيرة على السفح الشمالي ما فوق المعبد الحالي للشيخ عدي. كما ان شواهد القبور التي تحمل اسماء مسيحية لم تؤثر تماماً في رأي الاب فيبي". الم يكونوا فعلاً قساوسة؟ وهل تساءل هو عن ذلك؟ والم يكونوا في الواقع، كما يقوله اليزيديون انفسهم، مسيحيين كانوا يعملون كمساعدين للشيخ؟ وهكذا، واستناداً عليهم كان مار يوحنا الاقوشي احد معارف الشيخ المقريين، وكان له ابن اخ "حنا" الذي كان

W. Bochmann, Kirchen und Moscheen in Armenien und Kurdistan, Leipzig, 1918, p. 8-15; Y Sarkis, Mababit iragiya, Baghdad, 1848, tI, p.221; G. `Awwad, Historical and Geographical Researches in the region East of Mosul, in sumer, XVII/1961, p. 43-99, ici p. 88-89; cf. aussi R. Lesscot, Enquete sur Les Yezidis de Syrie, dn Djebel Sindjar, Beyrouth, 1938, p. 25, etc., etc.

^١ N. Sioufi, notice sur le cheikh `Adi sur la secte des Yezidis, in Journal Asiatique, VIII Serie, t. V (1885), p. 82.

سكرتيراً للشيخ، وكتب له كتاب "الجلوة" السري المقدس كما يقال. نشعر امام تلك المبالغات اننا نعلم. والاب الموقر من جانبه، والذي كان قاسياً جداً لاجل القس اسحق من بعشيقة والذي نشر الكثير من الحقائق حول اليزيديين والتي يعرفها جيداً وضاق صدره من تكرار سماعها او من الروايات التي يرويها المسيحيون حولهم، تراه قد ابتلع دون ان يطرف له جفن اية تأكيدات كبيرة مبالغ فيها يوردها يزيديو الزاوية. والامر فيه بعض الغرابة في الواقع، مار يوحنا هذا الذي لايشعر باي ندم لخيانته بجماعته عندما اصبح مقرباً جداً من الشيخ الذي احتل دير رفاقه في الدين، بالقوة، بل ربما قتلوا على يديه، من اين جاء ذلك الاسقف؟ وكيف عرفوا انه من القوش؟ انهم يعتبرون الشيخ عدي، الذي الف العديد من الكتب والدراسات حول الصوفية، كما احد الامراء اليزيديين الحاليين المعلمين بالكاد، بل ويذهبون ابعد من ذلك حين يقولون ان سكرتيره الموثوق ابن اخ الاسقف المنفتح الذهن والملئ بالفكار. وان كتابه سيكون لاكثر ولا اقل كتاب الجلوة المقدس والسري لدى اليزيديين؟ ونعرف ايضاً، اذا كان ذلك الكتاب حقيقياً في الواقع، اي يزيدياً؟ فهو لايعود الى عهد الشيخ عدي الذي كان صادق العقيدة ومستقيماً جداً. ولن نتحدث اكثر من ذلك عن ذلك الكتاب الهجاء حيث نرى انه من الصعب في الحقيقة تراكم كل تلك السذاجات في اسطر قليلة.

ويواصل الاب في تبيان ارائه ويقول: ولايجب ان ندهش من وجود احتلال مسيحي، سبق الاحتلال اليزيدي، وحتى انه رغم ريبته تجاه قضية النقوش التي اختفت في ذات اليوم الذي اردنا دراستها بقول: لن يستحيل علينا ان نجد مستقبلاً اليوم او غداً قطعه بنقوش كلدانية، ولكن قبل ذلك الاكتشاف انذاك سينظر اليه الاب كما هلوسات واوهام؟ (Cf. p. 798). واليكم اللؤلؤة الاخيرة من لالي الاب الموقر: يقول: ولكن يجب علينا رؤية النص قبل الصراخ امام الدير، كما لو ان ذلك شيئاً يسير

تلقائياً من ذاته. وفضلاً عن ذلك، كيف يمكن ان نجد نقوشاً في قطاع لم يكن فيه الا ناسك اوناكين.

٣. الشيخ عدي، او دير مار يوحنا و ايشو ساوران:

لايستطيع الاب فيبي في واقع الامر ان يتقبل ذلك التعريف، طالما انه كان قد دمج تعريفه لذلك الدير ومزار "دايكا چاكان" الذي اعتبرهما واحداً، فهو ان يقبل ما هو شئ كبير بالنسبة له، ان يتحول دير مسيحي الى معبد يزيدي. وقد حصل على هذه النتيجة بفرضية خالصة. وذلك بكل بساطة لانه اصر على رفض الرواية التي تتناقضها القرون.

ولنحاول تجريد، ((احكامنا المسبقة))، والا نترك انفسنا لنوع من ((الادراك المبسط)). ولنكتف وببساطة بقراءة متأنية باهتمام للنص الذي تقبله الاب الموقر نفسه، كما نص صحيح طالما انه وجد فيه كما يعتقد البرهان القوي الذي يؤكد فرضيته التي يتمتع باصالتها وبانها الامثل لها. وتسمح لنا تلك الفرضية اهمال جميع الروايات المسيحية المحلية دفعة واحدة وبالاجماع وكذلك ميول الوجهاء الكلدانيين الى الافكار والاراء الاقل خطورة (ص ٨١٢).

وليسمعوني جيداً، انني اعرف كما يعرف كل شخص اخر، انه يجب عدم الوثوق بالاراء الجاهزة والافكار الخطيرة لكثير ممن يسمون بالعلماء ويذكر منهم الاب بدوره، وانا اعرفهم تماماً، واحترمهم جيداً، ولكنني اشك في القدرة. واعرف ايضاً ان وثيقة واحدة حاسمة تكفي لهدم الاطروحة التي تبدو ظاهرياً قوية متماسكة. ولكنني ما زلت انتظر من الاب الموقر البرهان الحاسم.

١- نصوص تاريخية يجب التحقق منها:

هناك وثيقتان كلدانيتان من القرن الخامس عشر تؤكد ان حرفياً ان دير يوحنا و ايشو ساوران اصبحا بشكل قاطع معبداً للشيخ عدي:

رسالة الحبر راميشو، قس دير بيت عاو، التي ارسلها الى قرية الحبر يوسف، قس دير مار ميخائيل من تارئيل، وقصيدة ايشوع ياو بارمقدم، قس اربيل. الا ان الاب فيبي، وبشكل مثير للدهشة، ينفي بشكل قاطع اية سلطة لرسالة القس، لكنه اهتم بقصيدة (نشيد) الاسقف فلماذا ذلك الاختلاف في التعامل؟ ان الاب الموقر في رسالته الاولى التي ظهرت في مجلة الشرق الاوسط المسيحي، انكر حتى وجود القس نفسه لانه يفترض استناداً الى تأريخ الرسالة لم يكن هناك بيت عاو للكاتب، ولا دير مار ميخائيل من تارئيل للمرسل اليه. فالشخصيتان قد تم اختراعهما لمتطلبات القضية. وفي كتابه الحالي، ارى الكاتب الذي يمتلك المعارف الكثيرة تراجع الى موقع غير اساسي ان كانا موجودين الا ان الرسالة مفبركة، تجميع الاخبار. ومع ذلك، اذا كانت هناك في الواقع صعوبات امام تقبل صدق كتاب "راميشو" بالكامل، يبدو لي انذاك ان بعض الاخطاء في التفاصيل لانتجبت كثيراً صدق وحقيقة المضمون او حقيقة القصة، وللعلم كذلك حقيقة وقوع دير نسطوري في ايدي صوفيين مسلمين. وبالرغم من احتمالية الحدوث، تسمح رواية الطبيب "دانيال Daniel" بتحديد موقع اول مقر اكليركي شمال العراق: كما يتعرف عليه الاب الموقر فيبي، نفسه (ص ٣٢٤) انها الحالة نفسها تتكرر هنا. وانا لن اعود الى تنفيذ نص القس راميشو، (ص ٨٠٦-٨١٢)، ولكن علي اي حال، لا ارى دائماً ما الذي يستند عليه الاب الموقر لكي يؤكد على ان من يسمى راميشو، الاسم المستعار هو خياط (ص ٨٠٦)، في حين ان الشماس اوسانا هو مجرد نسّاج في العام ١٥٨٨، كما انه المزور الذي لا يتردد في تقديم كتابه تحت اسم مُستعار ليعطي له قيمة اكبر!".

ولنترك جانباً رسالة القس، ولناخذ النص الثاني من القرن الخامس عشر، المنسوب الى ايشو ياهو بار مقدم، وهو عالم في قواعد اللغة الى

جانب كونه كاتباً، وفي حوالي ١٤٢٦، كان اسقفاً في دازن، قبل ان يصبح اسقف اربيل حوالي ١٤٤٣، (ص٩٣). وهل نسبة الرسالة اليه صحيحة؟ اهو فعلاً صاحب ذلك النص؟ يقول لنا الاب فيبي، (ص٨٠٢) انه يمكن معارضة ذلك الامر ولتأكيد ذلك قدم الاب بهذا الخصوص بعض البراهين التي تدفعنا الى التفكير قليلاً. ويتعلق الامر في الواقع بنسخة نادرة جداً، (ص٤٠٧)، لانعرف لها سوى عدد قليل من النسخ (ص٨٠٢) والتي توجد لها نسخة في وردا لـ(كارامليس Cuarda de karamlais)، وهي نسخة ناقصة في مدينة "كولوفون Colophon" وتبدو المجموعة ونسبتها احياناً.. مثيرة للجدل، (ص٨٠٢). وهناك ما هو اكثر من ذلك: كاتبها المفترض هو الحبر هورميرز، الذي يتحدث عن معجزة يمكن ان تكون مفارقة تاريخية.. لكي يُضفى عليها لوناً محلياً (ص٣٥٨). وذلك لايشجع كثيراً. ومع ذلك يبدو ان الكاتب سيعود الى الخطأ، طالما انه يتحدث عن اغتصاب الدير علي يد الشيخ عدي (١٠٧٣-١١٦٢)، كما لو انه قد انقضى فجر اليوم لنعود للقرن الخامس عشر (ص٨٠٢). ومن الطبيعي في هذه الحالة، يمكننا ان نتفهم صمت بارحبرايوس عن الموضوع. ولكن من جهة اخرى، اذا كان الدير يعود الى اليعاقبة حين تحول الى تكية صوفية (او يزيدية)، فلا نرى سبباً وراء اصرار الاسقف النسطوري للتحدث عن "تروتيا" او "عمرتنا" الخ. ولا يخفي كل ذلك على الاب الموقر نفسه فيبي، ص٨٠٢، والذي ختم كلامه بقوله: ((ولن يدهشني ان تنسب القصيدة الى احد قساوسة الحبر هورميرز، الذي يوردها في تأريخ يسبق القرن الخامس عشر، بل على الاكثر القرن الثاني عشر او الثالث عشر. وسوف يعطي ذلك قيمة اكبر للنص (النشيد)، على الاقل فيما يخصنا هنا (ص٨٠٣). ولكنه يضيف في الحال بانه لم يفهم جيداً بعد، وانه يقول سوف استمر مؤقتاً باعتبار ان بار مقدم هو الكاتب.

ولكن ماذا تقول لنا تلك القصيدة الشهيرة؟ اننا نقرأ فيها الاسود مختلطاً بالابيض وان الدير قد اغتصبه الشيخ "عدي"، كما ان الجميع يتصورون ان الدير هو دير مار يوحنا. وحتى الاب فيي، يعتقد ذلك. ولكن لايتعلق الامر مطلقاً بالمعبد الحالي للشيخ عدي، كما يتصور الكثيرون، وان اولئك الذين قاموا بتحقيق الذاتية ذلك، لم يفهموا النص تماماً، ويردفا الاب بقوله انهم حتى قد فهموا النص تماماً، ويردفا الاب بقوله انهم حتى قد فهموا ان بيرية انسان، (بل ان بيرية مدينة يونانية – المترجمة) ص ٨١١، او بدقة اكثر يرون العكس. وقد حدث للاب الموقر نفس الحدث المؤسف^{١١}. وفهمنا ان الامر يتطلب منا بذل اهتمام مضاعف. ولننظر لذلك عن قرب ولربما قبل قيامنا بقراءة القصيدة اليس من المناسب ان نذكر نصيحة احد جهاذة النقد "الاب بيترز" الذي يذكره كثيراً "الاب فيي" والقائلة: من الضروري جداً التدريب على القراءة الجيدة، والتركيز على الوثائق بنظرة ثاقبة واعية لايفوتها شئ ولاترك تلك الوثائق الا بعد ان نتغلغل في مضمونها وسبر اغوارها في تشابك تنويعاتها المحكمة^{١٢} في حين ان عالم التأريخ له اسبابه ليستدعي تلك الضرورة. وكما ان الامر يتعلق من جهة اخرى هنا بترجمة نص سرياني شعري، يمكننا ان نذكر هنا زيادة على ذلك بعض ملاحظات الاب "ب. شابو P. Chabot" المتخصص كذلك، بخصوص ترجمته لاسطورة مار

^{١١} في مقالته المنشورة في مجلة الشرق الادنى المسيحية، ١٩٦٠، ص ١٩٥-٢١١، ويمكننا ان فيها: رسالة القس راميشو، الموجهة الى الحر ميخائيل في دير تارثيل، ص ٢٠٧، وايضاً دير تارثيل يعني صومعة مار ميخائيل بالقر من اربيل، حيث ان ميخائيل الذي اهدى له النص كان مشاكماً يدعوه. " بدون تعليق.

^{١٢} P. Peeters, Recherches d'histoire et de philologie orientales, t. I, 1951, p. 46. D'ailleurs c'est l'article conrentiere courentiere: philolosier histoire?, (انه النص كاملاً مع ذلك). p. 37-58, quiest a mediter.

(وذلك يدعو للتأمل)

باسوس (١٩٠٣): ((التكرار وتغري المتكلم والمخاطب، والانتقال المفاجئ من الاسلوب المباشر الى غير المباشر، والجمل الفخمة الرنانة، والتلاعب بالمفردات والتي نعتبرها عيباً في الاسلوب، هي السلسلة والاناقة ومنبع الشعر في اللهجات السامية))^{١٣}.

لقد ترجم السيوفي "النص الذي كتبه مار مقدم، ونُشرت الترجمة من مقالة القس تفنكجي، في مجموعة "ناو Nav " Nau Le Recueil de (ص ٦٠، رقم ٢) ومن ثم ترجمة افضل طلاب "اللاهوت الكلدانيين" لصالح الاب فييني نفسه (ص ٨٠٣، رقم ١، ص ٨٠٤).

وتبدو تلك القصيدة واضحة لاول وهلة. هناك اثنان من القساوسة "ايشو ساوران" و "يوحنان" شيّدا ديرا فخماً. وفي تاريخ لاحق، يتصادف وعصر مؤلف القصيدة (البيت ١٥)، جاء رجل مسلم، عدي، والذي كان تابعاً لرئيس الدير قضايا الفلسفة"^(٤) (ص ٨٠٤) و، رغم ذلك، طارد وعذب القسس (هكذا!)، وانتهى به الامر ان استولى على الدير وحوله الى مسجد او، جمع حول شخصه نابعين متحمسين، وحتى الى هنا لا يوجد اي التباس ممكن. ولكن ترجمة وتفسير البيتين الاخيرين (٦٧-٦٨) فيدفع للجدل:

كتب السيوفي: ((ان شهرة اسمه، الذي هو الشيخ عدي، انتشرت حتى يومنا هذا في جميع الضواحي وجميع المدن)). ولكن الاب "تفنكجي"، والذي كان يعرف الكلدانية جيداً يقول: ((بقي اسم الدير في كل مكان وفي كل مكان بقي الشيخ عدي حتى يومنا هذا)). في حين ان "الاب فييني" يقول: ((بقي اسمه في كل مكان وكل مدينة الشيخ عدي، حتى يومنا هذا)). مع ماذا يتطابق ذلك التعبير اسمه؟ هل يعود لشخص ام طيني؟ لقد اختار الحوري تفنكجي دون موارد، ولم يترك ما يشكك في

^{١٣} Cite` dans H. Leclercq, "Les Martyrs", tome III, p. 248-249.

افكاره. كما كان الاب فيبي واضحاً تماماً في تفسيره المعاكس: ان الاربعة ابيات المذكورة (من ٢٥-٢٨)، تتحدث كما سجل (ص ٨٠٥)، ان تلك الشخصية عدي (يعني الانسان ولاشئ عن المعبد)، قد اصبحت شهيرة، وله العديد من الاتباع، وكيف اصبحت ذلك المخرب مع الاسف شهيراً الشيخ عدي الشهير؟ في عيون المسلمين طالما انهم ربما لا يعرفون سوى القليل عن تأريخ الصوفية، ولكن مع الاسف لاتتناسب وذلك الوضع. وفي عيون مسيحيي البلاد؟ اذا كان الامر يتطلب ان يصبح (شهيرا ومع الاسف)، لكانت جائزة الشهيرة قد ذهبت الى "يعلى ب. حمران" من "بنى تيملا" الذي قام في العام ٨٠٠، بتدمير ونهب سلسلة من الاديرة والصوامع، قبل ان يقتل في احدى الغارات. وقد روى لنا الاب الموقر تلك القصة عدة مرات. ولكن من يذكره اليوم؟ من يعرف اسمه حتى؟ من يسجل اسمه؟ ولكن ماهو مؤكد اليوم، هو انه اذا ما سئل اي ساكن في الموصل، سواء كان مسيحياً، مسلماً او يزيدياً، اذا ما سئل عن عدي، وعن الحبر هورميرد او الشيخ متي، فلسوف يجيبك دون اي تردد ان الامر يتعلق في الواقع بمعبد او بدير، ولم يذكروا ابداً الاسم المجهول بالنسبة لهم فهم لا يعرفونهم. اذن، فهل يمكن ان يكون الامر واضحاً، عندما يعيش الاب فيبي عشرين عاماً في البلاد ويأتي من ينسب اسمه قبل (١٩٦٠) على تلك الشخصية الشهيرة؟ والزعم ان السيد المتخصص "بادجر" بتشويهه بنفس القدر رغم انه لايجهل، بل يعرف اخبار المعبد؟!

واذا ما رجعنا الى قواعد اللغة، فان الضمير المحلق بالاسم (اسمه) يمكن ان يعني الشخص او العمرة طالما ان الكلمتين مذكر في اللغة الانجليزية. ومع ذلك اذا ماكان الامر يتعلق بالشخص، فان ترديد اسمه يبدو خارجاً عن المألوف. وذلك لان عدي، قد ذكر مسبقاً، قبل ان يستولى على الدير. فما السبب وراء بقاء اسمه "الشيخ عدي" حتى اليوم؟ الا

يبدو ذلك تلقائياً؟ ولكن الامر لايسير بالمثل اذا ما اصرينا على الحقيقة القائلة بانه واتباعه بقوا في المعبد الذي استولوا عليه. وذلك لان الامر حينذاك كان يتعلق فعلاً بالمبنى. وقد حوله الشيخ عدي الى مسجد او الى تكية، واطلق عليه اسم الشخص الذي اعطاه توجهها جديداً، وهذا هو الاسم الذي بقى حتى ايامنا هذه.

٢- السياق الأثاري الذي لا يجب اهماله:

مهما كان من امر الترجمة او التفسير لهذا النص او ذلك، فان الروايات الشفاهية المتداولة مسيحية كانت او اسلامية او يزيديية والمجمعة على ان تجعل من الممكن بالتاكيد اعتبار وجود دير نسطوري في موقع المعبد الحالي للشيخ عدي امراً بعيد الاحتمال بل ومستعبداً تماماً وان نستنتج من ذلك كما فعل "الاب فيي" (ص ٨١٤) بان المعبد منذ البداية كان اسلامياً؟ ان استنتاجاً كهذا يبدو لي خرافياً وغير واقعي تماماً. وليحاول "الاب فيي" ان يبسط تبسيطاً شديداً براهين من الايوافقونه الراي. ان المتمسكين بالراي التقليدي - حتى يقول - يلجأون لادراك تبسيطي يؤدي الى مايلي: طالما ان جميع التكايا التي تقع في الوادي كانت اديرة عتيقة. فان تكية الشيخ عدي بدورها كانت ديروا عتيقاً لانها تقع في الوادي (ص ٨١٢).

انها حقيقة اذن ان موقعاً كهذا هو حكم مسبق لصالح الدير، وعلى العكس، انه لايتلاءم والعادات الاسلامية لاقامة مسجد هناك. كما اشار الى ذلك السيد "بيريزين Berezine" من قبل. ولكن لايتعلق الامر هنا ببساطة بوادي ولكنه يتعلق بسياق اثاري كامل، ففي النص في المخطوطة بين يدي، كان الاب الموقر قد رسم خارطة لم ينشرها كما هي في نسخته

المطبوعة من الكتاب^{١٤} وانها لخسارة بالفعل، لان هناك عاملاً يخترق النظر. وفي الواقع فان القطاع كله كان مليئاً بالاديرة، بالصوامع، بالمدارس... الخ. لدرجة انه يتطلب الامر معجزة ليكون موقع الشيخ عدي ملائماً للحياة الدينية والنسكية، كما يعترف بذلك كل من زار المعبد كما لو انه قد انتظر حلول القرن الثاني عشر، ومجئ الصوفي المسلم من سوريا لكي يفكروا آنذاك فقط ببناء المعبد. وفي رأبي انا، فان ذلك البرهان الذي ينبثق من بين الاحجار ينتصر على جميع الروايات المضمونة بهذا الشكل او ذاك، بل وعلى جميع النصوص المُفسرة بهذا الشكل او ذاك.

ولنرى ذلك اذن في الملموس. ان جميع المواقع التي صادفناها ذكرها الاب الموقر فيبي كلها. اذا ما اخذنا مثلاً، المعبد اليزيدي للشيخ عدي كما مركز محيطه عشرون كيلومتراً وهو رقم تعسفي، فانه يعادل مسيرة يوم في الجبال. ونجد انفسنا في منطقة مليئة باطلال الاديرة سواء كانت معروفة ام لا. بل ولوجدنا فيها آثار ست مدارس على الاقل كان قد اسسها باباي الموسيقىار: باعذرة، خنس، هاترا، تل جبة، بيسات، ومار ماشيه... الخ.

اما بخصوص الاديرة، فها هي دزينة منها وهي نسبة جيدة كافية. ولنبدأ رحلتنا اذن من الشمال ونسير مع عقرب الساعة. فعلى بُعد اقل من عشرين كيلومتراً وفي خط مستقيم من الشيخ عدي وفي اتجاه (گوميل Gomel)، وعلى بُعد نصف ساعة من (ديرا الوس)، سنجد دير (زخا ايشو) المعروف كذلك بدير (ب. ريان) (ص ٣٠٧-٣٠٨)، وقد تخرج "ديفيد" اسقف الكُرد من هذا الدير ما بين السنوات (٧٨٠-٨٢٣). وهو

^{١٤} Pour pouvoir suivre notre itineraire, il nous est maintenant necessaire de nous referrer a deux cartes: celle de Marga, p. 225 et celle de Ninive, p. 496.

صاحب كتاب "الفردوس الصغير"، ثم اقرب قليلاً، ولكن ابعد نحو الشرق، وما وراء كوميل، هذه المرة، في الوادي حيث يمر الطريق المؤدي الى الشيخ عدي، الى الشرق من قرية (ديرا حاترا)، يوجد دير عنان ايشو، ص ١٠٣. والى الشمال من (ديرا حاترا) وفي قرية (أضح Adeh) تمكن رؤية النبع المسمى "عُمر دير مار اوراها" الطيب، (ص ٣٠٢). علي بعد ساعة سيراً على الاقدام باتجاه الشمال-الشرقي في (هارماشة Harmashe)، يوجد "دير مار ايرام"، ص ٣٠٠. وبمواصلة السير شمالاً مابين هارماشية و بيللا، يوجد وادي الدير وهو مجهول الاسم (نفس المصدر). ثم نمر حينذاك الى منطقة (برتا) وتوجد كنيسة (تلا Tella)، على بعد اربعة كيلومترات من برتا: نوتردام ومار اسحق، (ص ٢٨٧). وعلى بعد مسيرة ساعة و نصف من هناك، وفي قرية بيللا نفسها، توجد كنيسة "مار ساوا"، (ص ٢٨٨)، ويوجد كذلك وليس بعيداً عن القرية توجد صومعة (راما عداي)، (ص ٢٩٠) وفي الضواحي، في "بربلي" يوجد دير القرية الكردية (باسافرية Basafre) التي تستخدم كنيسة (مار يوحنا) مخزناً للحبوب وقد تم اكتشاف اطلال ((قصر كبير))، (ص ٢٩١). الى الشمال من نفس القرية وفي مكان يسمى "كالواكا" توجد كنيسة مهدمة: مار عوديشو (?). (نفس المصدر). ولكننا لن نذهب بابحاثنا ابعد من ذلك في هذا الاتجاه لانخرج عن الحدود التي رسمناها لانفسنا.

والان الى الشرق من الشيخ عدي، في قرية (بيصات Beisat) (ب. ساطي)، نجد دير (ب. مار آوا B. Mar Awa)، (ص ٢٩٥). ويوجد موقع اقرب قليلاً فوق ال(كوميل)، في (خنس Himis) وهو مقر دير (ب. حويشة B. Hawisa)، حيث يعيش هو ورفاقه في عزلة في ذلك الدير المنعزل (ص ٧٨٩). واذا سرنا على الضفة الغربية لـ"كوميل" ندخل قرية (ب.

روستاقا) ونصل الى شارع الملك ليمر بالشيخ عدي بعد بضعة كيلومترات سيراً في خط مستقيم. ويعجُ ذلك الطريق بالعديد من المواقع المسيحية والتي اصبحت يزيديّة: اولاً: (عين سفني) مركز (ناهيا) وهي في القرن السادس اسقفية نسطورية قديمة تسمى عين سباني (شابو)، (ص ٧٩١). والى الغرب وعلى بعد خمسة كيلومترات الى الغرب في بيرىستاك (ب. روستافا)، وباتجاه اسيان (ب. آسيا) يوجد دير الصليب او دير (ر. شليوا R. Silwa) في (القرنين الثامن والتاسع) (ص ٧٩٣). وعاش في هذه القرية شيخ اليزيديين الاكبر او "ابا الشيخ" الذي يحمل ايضاً اسم (اختياري مارجية). في القرن السادس عشر وكان هناك كذلك مسجد وزاوية للشيخ عدي، وذلك استناداً على ماورد في كتاب "قلائد العُقبان" (١٥٥٦/٩٦٣). واليوم ترى فيها صومعة "الحاج رجب" الذي ذكره الدملوجي (op. cit p. 179). واذا نواصل السير الى الغرب وعلى بعد تسعة كيلومترات من قرية (عين سفني) نصل الى قرية باعذر المقر الحالي لامراء اليزيديين. وكانت تلك القرية ذات الخمسمائة نسمة، كانت شهيرة ومعروفة جداً في القرن الخامس لانها كانت آنذاك مركزاً لاجتماع "أكاس Acace"، عام (٤٨٥م). وكانت القرية كذلك مسقط رأس "القس يوسف بوسنايا" من القرن العاشر (ص ٤٧٥). ومن هناك، وعلى بعد بضعة كيلومترات ندخل قرية (بيوس Rios - Piyoz) وقد اصبحت اليوم قرية يزيديّة. وكانت تلك القرية نسطورية. واصبحت يعقوبية من القرن السابع وحتى القرن الثالث عشر، ثم عادت لتكون نسطورية في القرن الثامن عشر. وقد لعب الطاعون دوره في الخراب، واحتفظت شكوى قدمها "كاشا سومو" آنذاك بذكره المدمرة (١٧٨٨م). اما كنيسة المنطقة فقد كُرسّت للقديسة شموني، ص ٤٧٤. وفي مدينة بيبان، لم يعد هناك مسيحي واحد، لكن المدرسة اليعقوبية ازدهرت كثيراً في القرن السابع. والشخص اليزيدي

وليس (المعبد) والموجود فيها اسمه الشيخ سوار (وليس شاهسوار) ولكن الاب الموقر "فيبي"، قد غير اسم الكنيسة واطلق عليها "مار غورگيس" (ص ٤٧٢). وعلى بعد اربعة كيلومترات الى الجنوب الغربي لـ(بعاذرة) وفي قرية الناصرية توجد كنيسة (مار عوديشو Mar Awdiso)، وربما كانت ديراً قديماً، (ص ٥٥٠). وفي مراعي "بيت مريم"، توجد كنيسة صغيرة، وعين ماء، وعدة كهوف متتالية، (ص ٥٥٠). وفي الجبل، وعلى بعد مسيرة خمس واربعين دقيقة، سنرى اطلاقاً واضحة كانت ديراً للراهبات، (دير بي قيما)، او (بيت القيامة)، (ص ٥٥٠)، واخيراً، ها نحن في بوزان او بوزاي، وهي (با بوزا) القديمة التي اعطت اسمها للقطاع كله في القرن العاشر. واستناداً الى ما اورده "ريچ Rich" يقول لنا الاب الموقر "فيبي" انها العاصمة الرئيسية لليزيديين الآن، (ص ٤٧٢). ولكن من الجلي انها مقبرة كما يجب ان نقرأ المفردة (necropole) وليس (metropole). وذلك لان الدمولوجي اورد (op. cit., p. 180) انه كانت هناك مقبرة كبيرة تحوي الكثير من مقابر القديسين الصالحين. ولنذكر هنا ان اليزيديين يقدسون الاربعة اشجاء المدفونين فيها، ويحتفلون بذكراهم في عيد الشيخ عدي. الاربعة شهداء، واكتشفوا فيها نقوشاً كلدانية (ج. عواد). فان الاب الموقر "فيبي" سوف يُقر بان هناك ربما مجرد تغيير في العقيدة وليس مجرد صدفة واخيراً وصلنا القوش بعد مسيرة ساعة. وفي المضيق ما قبل القرية يوجد دير الحبر هوزميرد الشهير. اننا تماماً الان الى الغرب من الشيخ عدي، وهكذا اغلقنا الدائرة بشكل مناسب.

ان تلك الرحلة القصيرة الدائرية، والتي استغرقت وقتاً قليلاً و جهداً اقل مما لو كنا قمنا بها على الارض وقد سمحت لنا بمشاهدة الكثير من الذكريات المسيحية واطلال الاديرة. ومع ذلك فان مركز تلك المنطقة المميزة المحددة قسراً. ظلت خالية من الاديرة رغم موقعها الساحر. ففي

واقع الامر، ترى اشجاره مورقة، عديدة ومتنوعة، ووفرة مياهها البلورية التي تصب في عدة احواض والتي يتدفق اليها الماء مباشرة من بئر زمزم كما يقول اليزيديون المؤمنون. وبالدهشة العديد من الرحالة الغربيين الذين لم يتوقعوا مطلقاً ان يكتشفوا مكة "عبدة الشيطان" في ركن كهذا من الجنة. وبالتأكيد توجد هناك بعض الابنية القديمة، احدها يبعد عن المعبد اليزيدي مسيرة ربع ساعة. وقد صنفته الهيئة العامة للآثار العراقية على انه كنيسة وتحت رقم (٣٥/٦٧٤). في حين قال الاب الموقر "فيبي" انه مجرد (خان)، (ص ٧٨٩).

اما بالنسبة لمعبد الشيخ عدي نفسه، جدرانها السمكية وقبابه العالية ويذكرنا بقوة الكنائس الجبل القديمة نسطورية كانت او كردية، ولكن الامر هنا ليس الا تأثراً لا ارادياً لان ذلك المبنى منذ البداية كان مسجداً. وذلك على الاقل رأي الاب "فيبي"^{١٥} ولكنني وبعد كل ما قلته،

^{١٥} ولكي يقنعنا الاب الموقر "فيبي" برايه لجأ الى صديقه سعيد الديوجة، مدير متحف الموصل وهو رجل قدير على ما يبدو. ويمكن بالطبع مقارنة معبد الشيخ عدي مع مسجد قرية بامرني. وبامرني قرية كبيرة، يبلغ عدد سكانها الفا نسمة وتقع في وادي سبانا. وكانت قديماً مسيحية كما يشير الى ذلك اسمها الاصلي الارامي. وتتميز بانها كانت فصراً لشيخ بامرني وجماعة النقشبندية الذين يمتلكون تكية شهيرة فيها. والطريقة النقشبندية، اليوم حديثة نسبياً في كردستان. ودخلت السلمانية وقرية بارزان وقرية بامرني في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر. ولكن الصوفية كانت قائمة قبلها بوقت بعيد جداً، وكانت من العوامل التي جذبت الشيخ عدي للمجى ومنذ متى عاش في بامرني، ليس من السهل معرفة ذلك، وبالنتيجة لن نعرف تاريخ تشييد المسجد، ولذلك لن نستطيع مقارنة معبد الشيخ عدي. لقد تم تشييد تلك التكية المذكورة في مدخل المضيق، وتتمتع بميزة خاصة كما قال لي حديثاً احد المثقفين من ذوي الدراية بالشعائر الشرقية وقضايا الاسلام. ويوجد داخل المسجد باب منحوت ويبدو كما قيل لي انه يستخدم لاغلاق المعبد، كما في مار بهنام، ومن المحتمل ان يكون ذلك حالة فريدة في المسجد ينقلب ضده لانه لا يمكن ان تصور ان يتحول مسجد

مازلت مقتنعاً بالعكس. ولكن لا يمكن بالتالي ان يكون هو بالضرورة (دير مار يوحنا)، رغم ان كل ذلك لا يبدو مستحيلاً تماماً. وليس باستحالة ان يكون هناك قسس يقيمون فيه قبل مجئ الشيخ عدي، كما ذكرت ذلك في مكان اخر. وذلك لانه مازال هناك العديد من الاديرة التي مازالت تتطلب تحديد مواقعها واسمائها. وقبل ظهور الشيخ عدي في كردستان، كان قد تم نهب وسرقة اكثر من دير، او تم تدميره وتفرق رجاله.

كنت انوى ان انهى ذلك البحث باضافة ملحق يحوي خلاصة منهجية لاطلال الاديرة النسطورية واليعقوبية في كردستان العراقية، بوضعها في المناطق المناسبة من التقسيم الاداري المدني الحالي للعراق. وقد يكون ذلك افضل كثيراً من قائمة كنسية تكون باطلة الى جانب ذلك. ولكن ذلك منحني فرصة اختيار مايمكن الحصول عليه من ابحاثي في كتاب "فيبي" الضخم. كما ان ما منعني من تحقيق رغبتي تلك، اصابتي بأزمة صحية اجبرتني على ملازمة الفراش عدة اسابيع.

ولكنني لا اود هنا ان يدفع نقدي البعض الذي يراه قاسياً يدفعهم الى تجاهل او التقليل من شان تلك المميزات الواضحة العديدة الصادقة جداً. ان لا يجب ان تحجب بعض الاشجار الطارئة من التمتع بجمال الغابة كلها (يعني الا تمنع بعض الاخطاء الطارئة من تقدير القيمة الكلية للعمل [الترجمة]). كما ان حذف بعض الصفحات او بعض الاخطاء الصغيرة هنا او هناك سيحتفظ ويبرز انذاك كمال ودقة الكتاب. ان ذلك الكتاب بالتأكيد منجم لاينفذ حيث سيجد من يود دراسة تأريخ الحياة

الى معبد مسيحي في هذه المنطقة. لقد ذهبت الى بامرني ولكنني لم ازر المسجد في (١٩٢٨) ولذلك لا استطيع التحقق من وجود ذلك الباب، واعرف بالسمع بوجوده فقط. فهل كان الاب "فيبي" على معرفة خاصة بجميع الاماكن؟

النسبورية العديد من المعلومات الوفيرة الاكيدة والمفيدة، ولن يجد نفسه مرغماً على اللجوء الى العديد من الدراسات المتخصصة والتي من الصعب الوصول اليها. وامننى ان يقدر طلاب الاب الموقر "فيبي" الكثيرون تلك الابحاث الجادة التي توفر لهم المعلومات الوفيرة حيث سيختارون لانفسهم هذه النقطة او تلك التي تروقهم والذين هم بحاجة اليها. لقد جربت ذلك بنفسى، وسوف يشعرون بالرضا لانهم يستفيدون هكذا بامكانية التوصل الى معرفة اصول كنيستهم الخاصة بتوجيه قيادة رجل كهذا.

بالاجيية دُولت (اقبرون)

١٤ سبتمبر ١٩٦٦

